بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية السودان
جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية الدعوة الإسلامية
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

وضع المرأة في الحركات الإسلامية المعاصرة (حركتي الأخوان المسلمين وأنصار السنة المحمدية)

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الدعوة

إعداد الطالبة:
زينب محمد إبراهيم

إشراف الدكتورة:
احلام علي الحسن

العام الدراسي 1426هـ-2005م

k

قال تعالى:

(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ
وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ
وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ
وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ
كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا
عَظِيمًا)

سورة الأحزاب ، الآية 35

أ

الإهداء

إلي روح والدتي العزيزة أسأل الله لها المغفرة والرحمة

إلى والدي العزيزين، سائلة المولى عز وجل أن يطول في عمره وصحته

إلى كل الدعاة والمشايخ الذين تلقينا منهم العلم والتربية والأدب

إلى المرأة المسلمة؛ بنتاً .. وأختاً .. وأماً .. وشريكة للرجل في الدعوة إلى الله لإقامة الناس على الحق والميزان

إلى المرأة المسلمة وهي تفسر لأخواتها منهج الله في الحياة، وتشجعهن على الالتزام به في طريق الحق والخير والهدى

إلى كل امرأة مسلمة داعية، تشق درب الإصلاح والتغيير، نحو فجر جديد

إلى أخي العزيز/ عادل محمد إبراهيم

إلى كل الإخوة والأخوات في حركة الإسلام الممتدة

إلى أسرة كلية الدعوة الإسلامية بجامعة أم درمان الإسلامية

إليكم، أهدي هذا البحث

ب

شكر وتقدير

أرى من واجبي في مستهل هذه الرسالة وبعد الانتهاء منها، أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم فيها.

وفي البداية الشكر والحمد لله سبحانه وتعالى في توفيقي لكتابة الرسالة.

وأخص بالشكر د. أحلام علي الحسن التي أشرفت على البحث. والتمست فيها التواضع ولين الجانب والمساهمة التامة لإنجاح الرسالة وإظهارها بصورة جيدة. كما أتقدم بوافر الشكر لمكتبة جامعة أمدرمان الإسلامية والعاملين بالمكتبة ومكتبة جامعة القرآن الكريم ، كما لا يفوتني أن أشكر الأستاذ محمد صالح بمكتبة جامعة أمدرمان الإسلامية الذي ساهم بتقديم النصح والإرشاد والتوجيه ،كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلي الأساتذة العلماء الأفاضل الذين أعانوني بالنصيحة الصادقة والكلمة الطيبة والقول السليم ، وأخص منهم الدكتورة خديجة كرار التي لم تبخل بمساهماتها الفكرية، والبروفيسور محمد زين الهادي، والدكتورة مرضية عبد الرسول، والبروفيسور حسن مكي،والأخ أسامة طابع الرسالة وكل من ساهم في إنجاح الرسالة، والشكر إلى أخي العزيز عادل الذي كان له عظيم الأثر في دفع مسيرة ونجاح الرسالة.عاجزة عن التعبير والشكر لأسرتي لصبرها علي ولما قدمته لي من عون ولكل من علمي حرفاً أو أسدي إلي نصيحة أو يسر لي تعلما، وأتوجه بالشكر للأستاذين الفاضلين الذين تفضلا بمناقشة الرسالة الدكتور محمد موسى البر والدكتورة أحلام عبد الرحيم فجزاهم الله خيراً.

الإطار المنهجي للدراسة

المقدمة:

إن السمة المميزة لتاريخ البشرية منذ بدايته، تداول الأيام والحقب والسنن بين الناس، قال تعالى: (وتلك الأيام نداولها بين الناس)،[1] وعقب العهد الأول لرسالة الإسلام تردت مستويات المسلمين العقائدية وملحقاتها، فتعددت من ثم حركات الإحياء والإصلاح، فانتظمت كل أنحاء العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر، لإحياء نور الدين الإسلامي. تلك الحركات التي استفزها التحدي الغربي، كانت بادرة لإيقاظ المسلمين من غفوتهم العميقة وقد تشعبت في كل أنحاء العالم.

يتناول البحث الحركات الإسلامية خلال القرن العشرين وضع المرأة داعية ومدعوة، وما هو وضعها في خطاب تلك الحركات؛ أي ماذا تقدم تلك الحركات للمرأة في أمر الدعوة كداعية تدعو وتخاطب، وما تقدمه للمجتمع في إطار عمل المرأة وهل استطاعت الحركات الإسلامية ترقية وتوعية المرأة المسلمة وما دورها تجاه دينها ومجتمعها، كمدعوة مقدم لها هذا الخطاب الدعوي.

أسباب اختيار الموضوع:

تتلخص أهم أسباب اختيار الموضوع في الآتي:

1. قال الله سبحانه وتعالى: (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)،[2]. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما النساء شقائق الرجال).[3]

المرأة في الإسلام كائن إنساني موجه إليها الخطاب مباشرة، لا يتوسط إليها بولي من الرجال. وتكون عليها مسئولية متى ما استوت عندها أهلية الرشد، وبلغتها كلمة الذكر. وقد أسلمت المرأة دون أهلها، وهاجرت عند ظهور الإسلام، وهي أول من استشهد في فتنة المسلمين بمكة، وأول من هاجر بعده صلى الله عليه وسلم (أم كلثوم بنت عقبة).[1]

---

[1]) سورة آل عمران ، جزء من الآية {140}

[2] سورة التوبة ، جزء من الآية {71}

[3]) الإمام بن الأثير ، النهاية في غريب الحديث – (492/2) – أبي داود ، موسوعة كتب السنة(220/5).

[1] مهاجرة جليلة أسلمت بمكة وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة وخرجت في هدنة الحديبية، وكانت أول من هاجر من النساء لا يعرف قرشية خرجت من بيت أبويها مثل مهاجرة سواها (عمر رضا كحالة ، أعلام النساء ، الطبعة العاشرة ، سوريا، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع ، بيروت، 1412هـ-1991م) ص 285.

2. قلة الكتابة في هذا الموضوع.
3. تناقص أثر المرأة الدعوي منذ عهده صلى الله عليه وسلم.
4. وضع المرأة في داخل الحركات الإسلامية ضئيل أو غائب في الجانب الدعوي من حيث وضعية المرأة في هيكلة الحركات الإسلامية.
5. رؤية المجتمع للمرأة رؤية تقليدية ظالمة جامدة، لم تتحرر بعد بالصورة التي يهدي إليها الإسلام.
6. ضرورة تبيين دور المرأة الداعية في العصر الحديث.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. هل للحركات الإسلامية خطاب خاص للمرأة؟ وما طبيعة هذا الخطاب؟
2. ما أثر خطاب الحركة الإسلامية على المرأة؟ وما طبيعة التأثيرات التي تحققت وسط النساء؟
3. ما هي العوامل المؤثرة في إحداث التغيير القيمي والسلوكي للمرأة؟
4. هل الحركات الإسلامية أنشأت مؤسسات تهتم بقضايا المرأة؟ ما هي وما أثرها؟

أهداف البحث:

تتلخص أهداف هذا البحث في الآتي:

1. التعرف على أثر المرأة الدعوي للحركات الإسلامية كداعية ومدعوة.
2. التعرف على الخطوات العملية من تلك الحركات تجاه المرأة.
3. إظهار جهود الداعية المسلمة في عصرنا الحاضر.
4. التعرف على ما قامت به الحركات الإسلامية لتقديم الدعوة للنساء.

أهمية البحث:

تتلخص أهمية البحث في الآتي:

كلفت المرأة شرعاً بالقيام بالدعوة إلى الله تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون

الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)[1]. يمكن أن نأتي على ذكر الأسباب التي جعلت قيام المرأة بالدعوة أمراً هاماً ، وحسبنا أن نلم بأهمها:

1. يتميز عمل المرأة بالشمولية بأنه يحيط بمفهوم الوسط النسائي بحكم معايشتها للمجتمع النسائي، فهي تستطيع أن تطرق كافة المجالات التي تحتاجها النساء.
2. إمكان القيام بالدعوة الفردية ومشاركة المرأة في العمل الدعوي الجماعي يؤدي إلى إبراز مكانة المرأة من حيث الشعور بالمساواة والإنسانية.
3. تكمن أهمية الدراسة باعتبارها تبين النموذج الأمثل في تجربة الحركات الإسلامية في خطابها للمرأة، وخاصة بعض الحركات الإسلامية العالمية، وذلك للوقوف على أثر التجربة ونقدها وتقييمها.
4. تعريف للداعية المسلمة وأثرها وأهميتها.

حدود البحث:

يقتصر البحث على وضع المرأة في الخطاب الدعوي والجوانب الدعوية للمرأة المسلمة، والتحديات التي تواجه المرأة في حركتي الأخوان المسلمين وأنصار السنة المحمدية.

منهج البحث:

سوف تستخدم الباحثة منهجين هما:

1. الوصفي التحليلي: لأن المنهج الوصفي التحليلي يدرس الواقع والمعلومات الخاصة بالمواقف والأحداث، ويقود في النهاية إلى اتخاذ وضع الداعية في مجتمع الحركات الإسلامية.
2. المنهج التاريخي: وذلك للاستعانة بالوثائق التاريخية، لأن البحث يتناول وضع المرأة في حركتي الأخوان المسلمين وأنصار السنة المحمدية، وأثرهما في المجتمع، وتتبع الظواهر تاريخياً.

أدوات البحث:

المكتبة، المقابلة، الملاحظة، وثائق الحركات الإسلامية.

[1] سورة التوبة ، الآية 71.

مصطلحات البحث:

1. لفظ المعاصرة معنيات الأول لغوي من عاصر يعاصر معاصرة علي وزن فاعل مفاعلة فيقال عاصر فلان إذا عاش معه في عصر واحد. ، الثاني إصطلاحي بمعني التعامل مع قضايا العصر أي العالم القائم ويطلق العصر علي الزمان وهو العصر الذي نعيش فيه الآن.[1]
2. الحركات الإسلامية هي مجموعات من الناس التقت علي هدف واحد ضمن إطار تنظيمي واحد ونقصد بالحركات الإسلامية تلكم التي تعمل علي تجديد الدين والعودة به إلي قيادة الحياة بعد عهود الانحطاط التي مر بها المسلمون وذلك بعد إزالة العقبات عن الطريق.[2] وستقتصر الدراسة علي حركتي الأخوان المسلمين وأنصار السنة والمحمدية.

الدراسات السابقة:

إن تناول موضوع وضع المرأة في الحركات الإسلامية المعاصرة (حركتي الأخوان المسلمين وأنصار السنة المحمدية) ليس موضوع منفصل عن البحث العلمي وإنما هو إمتداد لبحوث واجتهادات سبقت هذا الموضوع تتحدث في نفس المجال وسأتناول الحديث علي دراسات سابقة تحدثت عن عمل المرأة والآراء الفكرية وتلك كانت دراسة نقدية من وجهة نظر إسلامية.

ولكني أتناول وضع المرأة في حركتي الأخوان المسلمين وأنصار السنة دراسة عن قرب تحكي واقع المرأة وأهمية وجودها داخل تلك الحركات.

بحث ماجستير بعنوان: الدعوة وسط النساء، المناهج ... الأساليب ... الوسائل دراسة لنيل درجة الماجستير مقدمة من الطالبة (الطالبة: نجوى بابكر عبد الله – جامعة أم درمان الإسلامية، عام 1999م). متون الدراسة علي ثلاثة فصول ، الفصل الأول تحدث عن القضايا التي تواجه المرأة المسلمة وكيفية مواجهتها، والفصل الثاني عن كيفية استخدام نشر الدعوة من النساء الخطوات العملية لتقديم الدعوة للنساء، الفصل الثالث عن وسائل الدعوة وسط النساء.اتبعت الباحثة

1) محمد مجد الدين بن يعقوب ، القاموس المحيط ، فصل العين ، ج2، الطبعة 2، ص 36

[2]عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، ط 1، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1412هـ ص 21

المنهج الوصفي التحليلي وقدمت الباحثة توصيات لدراسة مجتمع النساء والبيئة التي عشن فيها ودعم المؤسسات الدعوية بالوسائل المعنوية ووضع أساليب لنشر الدعوة.

تحدثت الباحثة عن دور المرأة الداعية في المجتمع وما تقدمه من دعوة في أوساط النساء ولوضع أسس ومناهج لنشر الدعوة. أما البحث المقدم خطته سيتناول دور المرأة الدعوى في بعض الحركات الإسلامية (حركتي الأخوان المسلمين وأنصار السنة المحمدية).

بحث ماجستير بعنوان: الداعية المسلمة رؤية معاصرة مقدمة من الطالبة (الطالبة: إقبال أحمد عبد الرحمن – جامعة أم درمان الإسلامية، عام 2002م)

تناولت تعريف بالدعوة والداعية. وتناولت المؤتمرات التي تدعو لتحرير المرأة والدعوة إلى الله. وتناولت المرأة في القرآن والسنة، وآفاق المستقبل ومشكلاته واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التاريخي وذلك للاستعانة بالوثائق تاريخية. وتوصي علي إيجاد دعاة في جميع التخصصات وضرورة فهم النصوص الشرعية ودراسة التيارات المعادية للدعوة والتحديات التي تواجه الداعية من منظور عام.

أما البحث المقدم هنا، فخطته تتناول حركتي الأخوان المسلمين وأنصار السنة المحمدية المعاصرة، ووجود المرأة فيها، وأثرها في كل حركة من تلك الحركات ولم يحظ هذا الموضوع بالدراسة العلمية الواضحة في حدود إطلاع (الباحثة).

ملخص البحث:

تتكون متون الدراسة من ثلاثة فصول يتناول الفصل الأول المرأة في القرآن الكريم وحكم الدعوة علي النساء وما ورد من آيات تتحدث عن المساواة بين الرجل والمرأة في أصل القيمة الإنسانية والعبادات والمعاملات ونماذج للنساء ورد ذكرهن في القرآن ويتناول المبحث الثاني المرأة في العهد النبوي ومشاركتها في عهد الخلافة الراشدة ونماذج من النساء في ذلك العهد والفصل الثاني يتحدث عن المرأة في جماعة الأخوان المسلمين يتحدث المبحث الأول عن مؤسس الحركة وأهدافها وجهودها في الدعوة والمبحث الثاني عن دور المرأة داخل الجماعة وعن نشأة فرقة الأخوات والصعوبات التي واجهت المرأة والمبحث الثالث عن نماذج للأخوات المسلمات الداعيات.

ويتناول الفصل الثالث المرأة في جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر، يتناول المبحث الأول تعريف ونشأة وأهداف وأصول الجماعة ورؤية الجماعة للمرأة ويتناول المبحث الثاني عن نشأة وأهداف الدعوة السلفية ويتناول الحديث عن مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية مصر وأهدافها وتكوين الجماعة وعن دور المرأة داخل الجماعة في مصر. والمبحث الثالث عن مكانة المرأة من حيث الخلق والتكوين ومن حيث الأدوار الدعوية والاجتماعية والسياسية.

الفصل الأول

مشاركة المرأة في عهد النبوة

المبحث الأول

المرأة في القرآن الكريم

يحتوي علي خمسة مطالب:

المطلب الأول: حكم الدعوة علي النساء

المطلب الثاني: السيدة مريم بنت عمران رضي الله عنها

المطلب الثالث: أم موسى عليها السلام

المطلب الرابع: آسيا بنت مزاحم رضي الله عنها

المطلب الخامس: خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها

المطلب الأول
حكم الدعوة على النساء

كانت المرأة في عصور الجاهلية عاراً يجب دفنها، وشر يجب القضاء عليه. ومرت المرأة عبر العصور والدهور بأدوار مختلفة من الظلم والجور والهوان واستبداد الرجل الجاهلي. فلما جاء الإسلام أول حق صانه لها هو حفظ الحياة، فقد كانت تؤد البنت وهي حية، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ {8} بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾[1]. فرفع شأنها، وأعطاها حقوقها، لأن خالق هذا الكون كرم جميع بني آدم –ذكوراً وإناثاً- لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[2]. والبشرية كلها تنسب لآدم وحواء – عليهما السلام –سواء كان رجلاً أو امرأة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[3].

ووجدت المرأة في الإسلام درعاً حامياً، وسنداً قوياً، يدافع عنها، ويحمي حريتها وشخصيتها، كما منح الرجل حقوقه. وإذا كانت هنالك فروق محددة فاحتراماً لأصل الفطرة والخبرة الإنسانية. ولقد أنبأنا القرآن الكريم عن عدد النساء اللاتي كان لهن شأن عظيم في بناء الإنسانية، وسنوردهن لاحقاً في البحث، فقد قمن بوظيفتهن خير قيام في جميع مراحل تاريخهن.

وقد جعل الله في القرآن سورة كاملة باسم السيدة مريم – رضي الله عنها – وجعل ثاني أكبر سورة في القرآن باسم آل عمران، وآل عمران هم حنة زوجته، ومريم ابنته، وعيسى عليه السلام ابنها، وجعل ثالث أكبر سورة باسم النساء. وقد حوت من الأحكام ما أبطل عادات الجاهلية في ظلم المرأة، فتحدثت عن حق المرأة في الميراث، والكسب، والزواج، والمهر، وإحسان الرجل للعشرة. وتناولت السورة العلاقات الزوجية، وبينت أنها ليست علاقة جسد فقط؛ وإنما علاقة إنسانية، وأن المهر ليس أجراً ولا ثمناً، وإنما هو عطاء يوثق المحبة، ويديم

---

[1] ، سورة التكوير، آيتان 8 – 9
[2] سورة الإسراء آية 70،
[3] ، سورة النساء آية 1

العشرة، ويربط القلوب. وتناولت حق الزوج على زوجته، وحق الزوجة على زوجها، وبينت معنى القوامة للرجل[4].

إذا كانت الدعوة واجبة على الرجال عيناً أو كفاية، فذلك الحكم ينطبق على المرأة. فالدين الإسلامي لا يفرق بين الرجل والمرأة، إلا عندما تختلف الإمكانات. فطالما المرأة قادرة على أمر التبليغ وجب عليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[5]. ونرى القرآن جعل المرأة مثل الرجل في القيام بالفرائض والعبادات على حد سواء. وفرض عليها أمر الدعوة، لأن الدعوة من الأشياء التي تدخل الإنسان في مرتبة الصلاح والتقوى.

والإسلام يوجب مسئولية الرجال والنساء جميعاً لبناء المجتمع وإصلاحه، فإذا قال تعالى: (يا أيها الناس) أو (يا أيها الذين آمنوا) فالمرأة داخلة في هذا الخطاب. ولم ينزل الدين للرجال فقط، ولهذا لما سمعت أم سلمة – رضي الله عنها – النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (يا أيها الناس) هرعت لتلبية النداء، فحينما استغرب بعضهم من سرعة إجابتها قالت لهم: (أنا من الناس)[6].

قالت الداعية زينب الغزالي: ''إنني لأعجب أشد العجب حين يكتب الكتاب ويقول المحاضرون المرأة في الإسلام، حقوق المرأة في الإسلام، قضية المرأة في الإسلام، كرامة المرأة في الإسلام، نعم وأتساءل: ولم لا يقال مثل ذلك للرجل؟ ولقد جاء الإسلام منادياً للإنسان في مجموعه ذكوره وإناثه، فإذا قيل: ولكن الرجل اختص بالولاية الكبرى. قال تعالى: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)[7]، قلنا نعم، وكان آدم، ولكن من تلقى من آدم أمر الخلافة، وأعانه على قيامها، فكانت بهما معاً لآية واحدة عمارة الأرض وأمر الخلافة، أليس حواء؟ إذاً المرأة والرجل ضروريان لعمران الأرض وقيام الخلافة، فإذا قيل الرجال أفضل

---

4 محمد علي الصابوني - صفوة التفاسير ، ج1 ،ط1 ، بيروت، دار القرآن الكريم، ص256
5 سورة التوبة ، آية 71
6 أخرجه مسلم بشرح الإمام النووي – كتاب الفضائل – باب حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصفته، ج5، ص56
7 سورة البقرة ، من الآية 30

لأن منهم الأنبياء قلنا وهل ربت الأنبياء إلا أمهاتهم؟ أوليس تفضيلاً للمرأة أن شرفها الله وحدها بتربية حملة الرسالات السماوية إلى الإنسان[8].

ساوى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بين الرجل والمرأة في أصل الخلق والقيمة الإنسانية، بحيث لا يوجد تمايز أو تنافر، بل إنهما يرجعان إلى أصل واحد حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[9].

''إن الله خلق الخلق من أصل واحد – وهو نفس آدم – ويقول في تفسير قول الله سبحانه وتعالى: (وخلق منها زوجها) معطوف على محذوف؛ كأنه قيل: من نفس واحدة أنشأها وخلق منها زوجها. والمعنى شعبكم من نفس واحدة أنشأها من تراب وخلق منها زوجها، حواء من ضلع من أضلاعه (وبث منهما): ونشر من آدم وحواء (رجالاً كثيراً ونساءً)''[10].

مما تقدم يثبت أن المرأة مخلوقة من عنصر الرجل نفسه، ولم تكن مستقلة عنه في الخلق، وقد أنبت منهما مجتمعين جميع الرجال والنساء، فالجنسان كلاهما يرجعان إلى أصل واحد. وعلى هذا الأساس ينظر الإسلام إلى جنس النساء بمنظار واحد، وهما في نظره من جوهر واحد وعنصر واحد، ليس لأحدهما من مقومات الإنسانية أكثر مما للآخر[11]. ويؤكد هذا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[12]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[13]. وفي هذه الآية الأخيرة يبين الله سبحانه وتعالى سبب جعل الخليقة شعوباً وقبائل لأجل التعارف فيما بينهم فقط. أما الكرامة عند الله سبحانه وتعالى فهي بسبب التقوى، فمن فضلت

---

[8] أبو الهاشمي – هموم المرأة المسلمة والداعية – ط1، دار الاعتصام ص57 – 59

[9] سورة النساء آية 1،

[10] أبي بركات عبد الله بن أحمد محمود النسفي – تفسير النسفي، ج1؛ القاهرة، مطبعة المدني، 1385هـ - 1966م، ص204

[11] د. أحمد بن عبد الله بن أحمد أبا بطين - المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسئوليتها في الدعوة – ط1، الرياض، دار عالم الكتب 1411هـ - 1991م، ص56

[12] سورة الأعراف مجزء من الآية 189،

[13] سورة الحجرات ، الآية 13،

تقواه على غيره فهو الأكرم عند الله عز وجل، وليست الكرامة بسبب تفضل جنس على آخر؛ ذكراً أو أنثى أو شعباً على شعب[14].

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى وهو يخاطب الناس رجالاً ونساءً يوم فتح مكة في الحديث المروي عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب في الناس يوم فتح مكة فقال: (يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية[15] الجاهلية وتعاظمها بآبائها، فالناس رجلان؛ رجل بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم، وخلق آدم من تراب)[16].

والله سبحانه وتعالى قد أكرم الإنسان وجعل الإيمان معياراً للتكريم وليس الجنس، حيث أعطى الله سبحانه وتعالى المرأة مكانتها في ذلك مساوية للرجل، فقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[17]. فالآية الكريمة توضح ما بين المؤمنين من ولاء وأخوة ومسئولية وتكافل وامتداد لهذه المكانة الإنسانية للرجل والمرأة في نظر الإسلام، فإنه يحذر من الوقوع في الإثم بسبب إيذاء المؤمنين والمؤمنات على حد سواء، من غير تفريق بين الرجل والمرأة، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[18].

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[19].

---

[14] د. أحمد بن محمد بن أبا بطين – المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسئوليتها في الدعوة – مرجع سابق، ص57

[15] العبية والعبية: الكبر والفخر. حكى اللحياني: هذه عبية قريش وعبية، ورجل فيه عبية وعبية أي كبر وفخر. وعبية الجاهلية نخوتها. وفي الحديث: إن الله وضع عنكم عبية الجاهلية، وتعاظمها بآبائها يعني الكبر بضم العين وتكسر. وهي فعولة أو فعيلة، فإن كانت فعيلة فهي من التعبية؛ لأن المتكبر ذو تكلف وتعبية خلاف المسترسل على سجيته، وإن كانت فعولة فهي من عباب الماء وارتفاعه

[16] سنن الترمذي – أبواب التفسير – تفسير سورة الحجرات، ج9، ص121، رقم الحديث 3266. قال عنه الإمام الألباني: حديث صحيح (صحيح الجامع الصغير وزيادته) رقم الحديث 7744

[17] سورة التوبة، الآية 71،

[18] سورة الأحزاب، جزء من الآية 58،

[19] آية 71، سورة التوبة

قال سيد قطب[20]: "إذا كان المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض إذاً كانوا جبلة واحدة وطبيعة واحدة، فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض. إن المنافقين والمنافقات مع وحدة طبيعتهم لا يقبلون أن يكونوا أولياء بعضهم لبعض، فالولاية تحتاج إلى شجاعة والى خبرة وتكاليف. إن طبيعة المؤمن هي طبيعة الأمة المؤمنة، طبيعة الوحدة وطبيعة التكافل، وطبيعة التضامن في تحقيق الخير ودفع الشر. (يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر) وتحقيق الخير ودفع الشر الذي يحتاج إلى التضامن. ومن هنا تقف الأمة المؤمنة صفاً واحداً، لا تدخل بينهما عوامل الفرقة، وحيثما وجدت الفرقة في الجماعة المؤمنة فثمة ولا بد تدخل عنصر غريب عن طبيعتها وعن عقيدتها، هو الذي يدخل بالفرقة، وثمة عرض أو مرض يمنع السمة الأولى ويدفعها إلى السمة التي يقررها العليم الخبير"[21].

قال القرطبي: (يأمرون بالمعروف) أي بعبادة الله تعالى وتوحيده وكل ما أتبع ذلك، (وينهون عن المنكر) عن عبادة الأوثان وكل ما أتبع ذلك. وذكر الطبري عن أبي العالية أنه قال: كل ما ذكر الله في القرآن من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فهو النهي عن عبادة الأوثان والشياطين[22].

(بعضهم أولياء بعض) يتجهون بهذه الولاية إلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واعلاء كلمة الله، وتحقيق الوصاية لهذه الأمة في الأرض[23].

(ويقيمون الصلاة) معطوف جملة على جملة، وإقامة الصلاة أداؤها بأركانها وسننها وهيأتها في أوقاتها على ما يأتي بيانه. يقال: أقام الشيء أي أدام وثبت، وليس من القيام على الرجل، وانما هو من قولك قام الحق: أي ظهر وثبت. وقيل: يقيمون يديمون، وأقامه أدامه، والى هذا المعنى أشار بقوله: فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع. وقال ابن عباس: هي الصلوات الخمس. وبحسب هذا تكون الزكاة هنا المفروضة (ويؤتون

---

[20] سيد قطب (1324 – 1387هـ) (1906 – 1966م) بن ابراهيم مفكر إسلامي مصري من مواليد قرية موشا في أسيوط. انضم للإخوان للمسلمين وترأس قسم نشر الدعوة وسجن معهم وعكف على تأليف الكتب ونشرها داخل السجن إلى أن صدر حكم بإعدامه وأعدم ومن آثاره في ظلال القرآن، معالم في الطريق

[21] سيد قطب – في ظلال القرآن– طبعة السابعة عشر، دار الشروق د1452- 1979 ، ص1675

[22] القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – مرجع سابق، ص263

[23] سيد قطب – في ظلال القرآن- مرجع سابق، ص1675

الزكاة) الفريضة التي تربط بين الجماعة المسلمة، وتحقق الصورة المادية والروحية للولاية والتضامن[24]. (ويطيعون الله) في الفرائض (ورسوله) فيما سن لهم[25].

قال سيد قطب في الآية: ''فلا يكون لهم هوى غير أمر الله وأمر رسوله، ولا يكون لهم دستور إلا شريعة الله ورسوله، ولا يكون لهم منهج إلا دين الله ورسوله، ولا يكون لهم الخيرة إذا قضى الله ورسوله. وبذلك يوحدون نهجهم وهدفهم وطريقتهم، فلا تتفرق بهم السبل. (أولئك يرحمهم الله) والرحمة لا تكون في الآخرة وحدها، إنما تكون في هذه الأرض أولاً. ورحمة الله تشمل الفرد الذي ينهض بتكاليف الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة. وتشكل الجماعة المكونة من أمثال هذا الفرد الصالح رحمة الله في اطمئنان القلب وفي الاتصال بالله وفي الرعاية والحماية من الفتن والأحداث. ورحمة الله في صلاح الجماعة وتعاونها وتضامنها، واطمئنان كل فرد إلى الحياة واطمئنانه إلى رضاء الله تعالى''[26].

إن هذه الصفات الأربع في المؤمنين: الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، لتقابل من صفات المنافقين الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وأن نسيان الله وقبض الأيدي، وأن رحمة الله بالمؤمنين لتقابل لعنته للمنافقين والكفار، وأن تلك الصفات لهي التي وعد الله المؤمنين عليها بالنصر والتمكين في الأرض ليحققوها في وصايتهم الرشيدة على البشرية. (إن الله عزيز حكيم) قادر على إعزاز الفئة المؤمنة ليكون بعضهم أولياء بعض في النهوض بهذه التكاليف، حكيم في تقدير النصر والعزة لها لتصلح في الأرض، وتحرس كلمة الله بين العباد[27].

إن المفسرين لم يختلفوا في تفسير المعنى في آيات الله سبحانه وتعالى الواردة، ولكنهم اختلفوا في الشرح والاستدلال بالشواهد. إن هذا يؤكد لنا أن الإسلام قوته في تلاقي أفراد جماعته صفوفاً متراصة حول كتاب الله، تتلو آياته

---

[24] سيد قطب – المرجع نفسه - ص1675
[25] القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – مرجع سابق، ص6204
[26] سيد قطب – في ظلال القرآن– مرجع سابق، ص1676
[27] القرطبي - الجامع لأحكام القرآن – مرجع سابق، ص6204

في تلاق وحب، فهل آن لنا الأوان لأن ننظر في أمر الأمة، وأين هي من كتاب الله، ومن وحدة صفها رجالاً ونساءً في إخاء وبذل وتضحية في ساحات العمل الدعوي، لنخرج أجيالاً تحمل معاني الإيمان والصبر والثبات على أمر الدين.

يتضح لنا أن القرآن الكريم أكد على مساواة الرجل والمرأة في الخطاب الرباني الداعي للإيمان والعمل الصالح كدحاً إلى الله تعالى، وأكد على المساواة والعدل في الجزاء، ثواباً وعقاباً للعالمين.

وبما أن هذا الخطاب الرباني تحده حدود زمان ومكان لكونه رسالة للعالمين، خاتمة للرسل والرسالات، فإن إيصال هذا الخطاب إلى الناس جميعاً لا ينتهي بموت الرسول صلى الله عليه وسلم، بل أمر الله تعالى المؤمنين أن يكون من بينهم من يقوم على أمر الدعوة إلى الله وبلاغ الناس[28]. قال تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[29]. ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام، ويكلفها بأن تعمل على تكوين جماعة منها، تقوم بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، دعوة إلى الخير في العموم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر في الخصوص[30].

ومن المعلوم أن كل أمة تتكون من الرجال والنساء، فالخطاب للجميع. وتقوم هذه الأمة بدعوة الناس إلى الإسلام وشرائعه التي شرعها لعباده، وتأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه، وتنهاهم عن الكفر بالله والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به من الأوامر والنواهي، بجهادهم بالأيدي والجوارح حتى ينقادوا بالطاعة، وهؤلاء هم المفلحون الفائزون بالجنان في دار القرار''[31].

وهنا يرد سؤال نحو حكم الدعوة ذو شقين، أحدهما: هل هذه الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين على كل مسلم؟ أم أنها فرض

---

[28] د. أحمد بن محمد عبد الله بن أبا بطين – المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسئوليتها في الدعوة – مرجع سابق، ص106

[29] سورة ال عمران، اية 104

[30] انظر تفسير الطبري، ج1، في تعريف كلمة أمة – تحقيق محمود شاكر – ص111

[31] الطبري – المرجع نفسه ، البرهان في أصول الفقه ج7، ص91 – 91 ، لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف

كفاية؟ وإذا كان هذا الفرض فرض كفاية، فهل يكفي فيه قيام فئة من الرجال فقط، أم لا بد أن تقوم فئة من النساء بالدعوة في محيطها الأسري وذوي أرحامها وبني جنسها[32].

الشق الأول من السؤال فيه حكمين: بعض المفسرين يقول بأن الدعوة فرض عين على جميع المسلمين، واستدلوا بقوله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)[33].

قال الشوكاني: ''كنتم في اللوح المحفوظ، وقيل: منذ آمنتم. وفيه دليل على أن هذه الأمة الإسلامية خير الأمم على الإطلاق، وأن هذه الخيرية مشتركة ما بين أول هذه الأمة وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم، وان كانت متفاضلة فيما بينها، كما فضل الصحابة على غيرهم، وقوله تعالى: (أخرجت للناس) أي ظهرت لهم''[34].

عن بهز بن حكيم[35]، عن أبيه، عن جده، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله (كنتم خير أمة أخرجت للناس)، قال: (أنتم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله). وقال: هذا حديث حسن. وقال أبو هريرة: نحن خير الناس، نسوقهم بالسلاسل إلى الإسلام. وقال ابن عباس: هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، وشهدوا بدراً والحديبية. وقال عمر بن الخطاب: ومن فعل كان منهم. وقيل: هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، يعني الصالحين منهم وأهل الفضل، وهم الشهداء على الناس يوم القيامة. وإذا ثبت بالتنزيل أن هذه الأمة خير الأمم، فقد روى الأئمة في حديث قوله صلى الله عليه وسلم: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم) وهذا يدل على أن أول هذه الأمة أفضل من بعدهم[36]. وإلى هذا ذهب معظم العلماء أن من صحب النبي صلى الله عليه وسلم، ورآه كان أفضل ممن كان من جملة الصحابة. وقد قال رسول

---

32 د. أحمد بن محمد عبد الله بن أبا بطين – المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسئوليتها في الدعوة – مرجع سابق، ص106

33 سورة آل عمران ، آية 110

34 محمد بن علي الشوكاني – فتح القدير – ، الجزء الأول ، ط1 ، القاهرة ، دار الحديث: ، 1413هـ - 1993م ، ص371

35 بهز بن حكيم بن معاوية بن حضرة بن عبد الملك القشيري البصري له عدة أحاديث، روى عنه الزهري

36 القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – مرجع سابق، ص1412 - 1413

الله صلى الله عليه وسلم لمن هو في قرنه: (لا تسبوا أصحابي). وقال لخالد بن الوليد في عمار: (لا تسب من هو خير منك). وروى أبو أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى سبع مرات لمن لم يرن وآمن بي). وفي مسند أبو داود الطيالسي عن عمر قال: وكنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أتدرون أي الخلق أفضل إيماناً؟ قلنا: الملائكة. قال: وحق لهم، بل غيرهم؟ قلنا: الأنبياء. قال: وحق لهم، بل غيرهم؟ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضل الخلق إيماناً قوم من أصلاب الرجال، يؤمنون بي ولم يروني، يجدون ورقاً فيعملون بما فيه، وهم أفضل الخلق إيماناً)[37].

ومن العلماء من قال بأنها فرض كفاية استدلالاً بقوله تعالى: (ولتكن منكم أمة) مجازاً كقوله تعالى: (يغفر لكم من ذنوبكم). والإمام الفخر الرازي – رحمه الله – يؤيد القائلين بفرض الكفاية في القيام بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فهو بعدما نقل رأي القائلين بعموم التكليف قال: والقول الثاني أن (من) هنا للتبعيض، والقائلون بهذا القول اختلفوا أيضاً على قولين: أحدهما أن فائدة كلمة (من) هي أن في القوم من لا يقدر على الدعوة، ولا على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مثل النساء والمرضى والعاجزين. والثاني أن هذا التكليف مختص بالعلماء[38].

الشق الثاني: خطاب التكليف في أصله شامل للرجال والنساء، ومجيئه بضمير المذكر للتغليب. وهذا أسلوب معروف في اللغة العربية، وفي الاستعمال القرآني والسنة. فكلمة أمة في قوله تعالى (ولتكن منكم أمة) تعني في هذا الخطاب جماعة الرجال والنساء. كما أنه بالنظر إلى كلمة (من) في قول الله سبحانه آ مراً رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: (قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[39]. وقوله صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع

[37] القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – المرجع نفسه ، ص1413 – 1414
[38] د. أحمد بن محمد عبد الله بن أبا بطين – المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسئوليتها في الدعوة – مرجع سابق، ص108
[39] سورة يوسف، آية 108

فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[40]، الذي لم يعين فيه جنس الخطاب، دل ذلك على وجوب قيام فئة من النساء بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حدود مسئولياتهن، مثل محيط الأبناء والبنات وعموم النساء[41].

من العجيب أن الإمام الفخر الرازي لم يرد على التعليل الذي استند عليه القائلون بفرض الكفاية في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث كان ضمن ما ذكروه كسبب لعدم عموم التكليف وجود من لا يقدر على الدعوة، أمثال النساء والمرضى[42]، مع أن الزعم بعجز النساء خاصة عن القيام بمثل هذه الأعمال لا دليل له في الكتاب والسنة، بل إن القرآن الكريم يبين قدرة النساء على الدعوة إلى الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[43].

كما أن القرآن يبين قدرة النساء على الدعوة إلى الكفر والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف كما في قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[44].

إن الآيتان تؤكدان على أهلية المرأة وقابليتها للتجاوب مع الخطاب الرباني، فإما مؤمنة مصدقة به؛ قائمة بالدعوة إليه أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وإما كافرة به داعية للمنكر وناهية عن المعروف.

وعليه لم يكن غريباً الحضور الفاعل للمرأة في الخطاب الرباني وفي خطاب المصطفى صلى الله عليه وسلم في مرحلة سرية الدعوة ومرحلة الجهر بها. لم يكن غريباً في مرحلة سرية الدعوة أن كان أول من آمن به وآزره امرأة

---

[40] صحيح مسلم، الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، ط2، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، (69/1)، رقم الحديث 78

[41] د. أحمد بن محمد عبد الله بن أبا بطين - المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسئوليتها في الدعوة - مرجع سابق، ص111

[42] انظر تفسير الفخر الرازي، ج8، ص167

[43] سورة التوبة ، اية 71

[44] سورة التوبة ، من الآية 67

هي السيدة خديجة رضي الله عنها، ولم يكن غريباً حينما أمر الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم: (فاصدع بما تؤمر)، أي الجهر بالدعوة أن يشمل جهره بها من أعلى الصفا وبصورة حاسمة المرأة، إذ قال: (يا معشر قريش: اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا عباس بن عبد المطلب: لا أغني عنك من الله شيئاً. يا بني عبد مناف: لا أغني عنكم من الله شيئاً. ويا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا أغني عنك من الله شيئاً. ويا فاطمة بنت محمد: سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً)[45].

ساوى الله سبحانه وتعالى بين الرجل والمرأة فيما أعد لهما من المغفرة والأجر العظيم، قال سبحانه وتعالى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)[46].

قال الشوكاني: ''(إن المسلمين) بدأ سبحانه وتعالى بالإسلام الذي هو مجرد الدخول في الدين والانقياد له مع العمل، كما ثبت في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن الإسلام، قال: هو أن تشهد أن لا إله إلا الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت، وتصوم رمضان''[47]. وقال: ''ثم عطف على المسلمين (المسلمات) تشريفاً لهن بالذكر، وهكذا فيما بعد وإن كن داخلات في لفظ المسلمين والمؤمنين ونحو ذلك، والتذكير إنما هو لتغليب الذكور على الإناث كما في جميع ما ورد في الكتاب العزيز من ذلك. ثم ذكر (والمؤمنين والمؤمنات) وهم من يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر – خيره وشره – كما ثبت في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. والقانت العابد المطيع، وكذا القانتة، وقيل المداومين على العبادة والطاعة، والصادق والصادقة هما من يتكلم بالصدق ويتجنب الكذب ويفي بما عوهد عليه،

---

45 البخاري: كتاب تفسير سورة الشعراء، باب (وأنذر عشيرتك الأولين واخفض جناحك)، ج10، ص120 / مسلم: كتاب الإيمان، في قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين)، ج1، ص133

46 سورة الأحزاب ، آية 35

47 محمد بن علي الشوكاني - فتح القدير – مرجع سابق، ص397

والصابر والصابرة هما من يصبر على الشهوات وعلى مشاق التكليف[48]. والخاشع والخاشعة هما المتواضعان لله الخائفان منه الخاضعان في عبادتهم لله، والمتصدق والمتصدقة هما من تصدق من ماله بما أوجبه الله عليه، وقيل ذلك أعم من صدقة الفرض والتنفل، وكذلك الصائم والصائمة، قيل: ذلك مختص بالفرض، وقيل: هو أعم. (والحافظ والحافظة) لفرجيهما عن الحرام بالتعفف والتنزه والاقتصاد على الحلال. والذاكر والذاكرة وهما من يذكر الله على أحواله وفي ذكر ذلك لكثرة دليل على مشروعية الاستكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى بالقلب واللسان. وقال الشوكاني: واكتفى في الحافظات بما تقدم في الحافظين من ذكر الفروج، والتقدير: والحافظين فروجهم والحافظات فروجهن. وكذا في الذاكرات، والتقدير والذاكرين الله كثيراً والذاكرات الله كثيراً، والخبر لجميع ما تقدم هو قوله تعالى: (أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً) أي مغفرة لذنوبهم التي أذنبوها، وأجراً عظيماً على طاعاتهم التي فعلوها من الإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدق والصوم والعفاف والذكر ووصف الأجر بالعظم للدلالة على أنه بالغ غاية المبالغة ولا شيء أعظم من أجر هو الجنة ونعيمها الدائم الذي لا ينقطع ولا ينفذ[49].

قال الإمام الطبري في قوله تعالى: (والصائمين والصائمات): والصائمين شهر رمضان الذي فرض الله صومه عليهم والصائمات. وأورد حديث مجاهد قال: قالت أم سلمة: يا رسول الله يذكر الرجال ولا نُذكر، فنزلت الآية (إن المسلمين والمسلمات ...). وحديث ابن عباس قال: قالت نساء النبي صلى الله عليه وسلم: ماله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات، فأنزل الله (إن المسلمين والمسلمات ....)[50].

قال القرطبي: ''الآية فيها مسألتان:

[48] محمد بن علي الشوكاني - المرجع نفسه، ص397

[49] محمد بن علي الشوكاني – المرجع نفسه – ص398

[50] ابو جعفر محمد بن جرير الطبري – جامع البيان عن تأويل اي القران، المجلد الرابع عشر،ج28، ، بيروت: دار الفكر، 1408 هـ - 1988، ص68

الأولى: روى الترمذي عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء! فنزلت هذه الآية (إن المسلمين والمسلمات ...)، وقال: هذا حديث غريب.

والثانية: بدأ تعالى في هذه الآية بذكر الإسلام الذي يعم الإيمان وعمل الجوارح، ثم ذكر الإيمان تخصيصاً له وتنبيهاً على أنه أعظم الإسلام ودعامته. والقانت: العابد المطيع. والصادق: معناها فيما عوهد عليه أن يفي به. والصابر عن الشهوات وعلى الطاعات. والخاشع: الخائف الله. والمتصدق بالفرض والنفل. وقيل: بالفرض خاصة، والأول أمدح والصائم كذلك''[51].

قال ابن كثير: (الصائمين والصائمات) في الحديث الذي رواه ابن ماجة: (والصوم زكاة البدن) أي: تزكية وتطهرة وتنقية من الأخلاط الرديئة طبعاً وشرعاً.

قال سعيد بن جبير: من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر دخل في قوله تعالى: (والصائمين والصائمات)[52].

إن الله تعالى لما خاطب البشر وكلفهم بعبادته وطاعته ونشر دعوته ودينه خاطبهم رجالاً ونساءً ولم يخص جنساً دون جنس بهذا التكليف العام، إلا ما ورد فيه الاستثناء صريحاً، ومن ذلك تفهم المساواة في أصل التكليف بين الرجال والنساء، وكذا المساواة في الجزاء والحساب.

''إن العمل الصالح لا بد له من قاعدة أصيلة يرتكز عليها؛ قاعدة الإيمان بالله (وهو مؤمن). فبغير هذه القاعدة لا يقوم بناء، وبغير هذه الرابطة لا يجتمع شتاته، إنما هو هباء كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، والعقيدة هي المحور الذي تشد إليه الخيوط جميعها، وإن العمل الصالح جزاؤه حياة طيبة في هذه الأرض، لا يهم أن تكون ناعمة رغدة ثرية المال، فقد تكون به، وقد لا يكون معها''[53].

قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[54]. فيقرر بذلك القواعد الآتية:

---

[51] أبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - المجلد الرابع، ج7، ص 69

[52] أبي الفداء محمد إسماعيل ابن كثير – تفسير القرآن الكريم – الجزء السادس، ص415

[53] سيد قطب – في ظلال القرآن– مرجع سابق، ص2193

[54] سورة النحل ، آية 97

إن الجنسين؛ الذكر والأنثى، متساويان في قاعدة العمل والجزاء، وفي صلتهما بالله، وفي جزائهما عند الله. ومع أن لفظ (من) حين يطلق يشمل الذكر والأنثى، إلا أن النص يفصل (من ذكر أو أنثى) لزيادة تقرير هذه الحقيقة، وذلك في السورة التي عرض فيها سوء رأي الجاهلية في الأنثى، وضيق المجتمع بها، واستياء من يبشر بمولدها، وتواريه عن القوم حزناً وغماً وخجلاً وعاراً[55].

وعلى أساس وحدة القيمة الإنسانية بين الرجل والمرأة ساوى بينهم في أصول التكاليف البشرية، ورتب على ذلك جزءاً واحداً يتساوى فيه الرجل والمرأة، سواء كان الجزاء ثواباً أو عقاباً. ففي جانب الثواب قال الله تعالى: (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا)[56].

وقد تكفل الله بحفظ العمل للجميع دون استثناء، فقال تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)[57].

وفي سورة الليل يقول تعالى: (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى {3} إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى {4} فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى {5} وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى {6} فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى {7} وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى {8} وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى {9} فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)[58]، ففي جمع الذكر والأنثى في القسم قرينة على نظرة الله تعالى المتساوية لهما أولاً. وتنوع القول إنما جاء بعد الآية الأولى، من الإشارة إلى اختلاف الناس في فصل ما هو حسن صالح، وما هو عكسه، وتيسير الله لهم وفق ذلك، ليشمل الذكر والأنثى على السواء؛ تكليفاً متساوياً، بكل ما يتصل بشئون الدين والدنيا. وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا

55 سيد قطب - في ظلال القرآن - مرجع سابق، ص2194
56 سورة النساء، من الآية 124،
57 سورة آل عمران، آية 195
58 سورة الليل، آيات 3 - 10

وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)[59].

والسورة من السور الطوال، وتنطوي الآية على تقرير كون الرجل والمرأة زوج يكمل أحدهما الآخر، وكونهما بناءً على ذلك في مرتبة واحدة من ناحية الحياة الإنسانية، وكل ما في الأمر أن لكل منهما وظيفة تناسبه، مختلفة عن وظيفة الآخر.

---

[59] سورة النساء، آية 1

المطلب الثاني

السيدة مريم ابنة عمران

تحدث القرآن الكريم عن السيدة مريم العذراء في العديد من الآيات، وسنشير إلى بعضها على سبيل المثال لا الحصر.

قال تعالى: (إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {35} فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ {36} فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)[60].

وقال تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا {16} فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا {17} قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا {18} قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا {19} قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا {20} قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا {21} فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا {22} فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا {23} فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا {24} وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا {25} فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا {26} فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا {27} يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا {28} فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا {29} قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا {30} وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا {31} وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا

---

[60] سورة آل عمران ، الآيات 35 – 37

{32} وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا {33} ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ)[61].

وقال تعالى: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ {42} يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ {43} ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ {44} إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ {45} وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ {46} قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[62].

هي مريم بنت عمران بن ماثان، من ولد سيدنا سليمان عليه السلام بن داود. وكان ماثان من رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم، وكان متزوج بحنة بنت فاخور. وقد وصف القرآن الكريم هذه الأسرة بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)[63]. هذا بيان بالدين الواحد منذ بدء الخلق ليكون طلائع الموكب الإيماني في شتى مراحله المتصلة على مدار الأجيال والقرون، فيقرر أنهم ذرية بعضها من بعض، وليس من الضروري أن تكون ذرية النسب، وإن كان نسب الجميع يلتقي في آدم ونوح. فهي أولاً رابطة الاصطفاء والاختيار الإلهي، ونسب هذه العقيدة في ذلك الموكب الإيماني الكريم. ولقد ذكر السياق آدم ونوح فردين، وذكر آل إبراهيم وآل عمران أسرتين، إشارة إلى أن آدم بشخصه، ونوح بشخصه هما اللذان وقع عليهما الاصطفاء. أما آل إبراهيم، فقد كان الاصطفاء لهما ولذريتهما، فكانت هاجر وسارة واسحق واسماعيل عليه السلام، وآل عمران كانت حنة ومريم وعيسى[64].

حنة هذه زوجة عمران رضي الله عنه، ولكن طالت بها الأيام دون أن ترزق الولد، فأخذت تدعو الله أن يرزقها الولد وقالت: "اللهم لك علي، إن رزقت

---

[61] سورة مريم ، الآيات 16 - 34

[62] سورة آل عمران ، الآيات 42 – 47

[63] سورة آل عمران ، من الآية 33

[64] انظر ابن الأثير – الكامل في التاريخ – مرجع سابق، ص229 / سيد قطب – في ظلال القرآن – مرجع سابق، ص391

ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس". ومرت الأيام، وإذ بحنة تجد نفسها حاملاً. إذن قد استجاب الله دعاءها، وها هي أحلامها تخطو على درب الأمل، بالرغم من أنها عجوز. وأخذت حنة تعيش الأمل يوماً بعد يوم، وها هو ذا يوم وضعها يقترب، والعهد الذي عاهدت الله عليه سوف تفي به، وسوف يكون ولدها محرراً عتيقاً من الدنيا، خادماً للهيكل - بيت الرب - متفرغاً للعبادة. وكانت عادة بني إسرئيل أن المحرر إذا حرر ونذر للمعبود لا يبرح المكان حتى يبلغ الحلم، وبعد ذلك خير بأن يقيم أو يذهب حيث شاء. وكانت حنة تذكر ذلك وتقول إنها سوف تصحبه لخدمة الرب حتى يكبر ليكون ما حلمت به نذراً لله سبحانه وتعالى طوال العمر.

وتمضي الأيام، ويقترب أوان الوضع، وإذا بزوجها عمران يفارق الحياة، ولم يكن يخفف عليها بعد حزنها على زوجها أختها اليشاع وزوجها زكريا. وجاء اليوم الموعود لتضع حملها. ووضعت حنة وليدها، فإذا بها بنت!!! فاعتذرت لله لهقاقال تعالى: (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)[65].

وأخذت حنة وليدها مريم، ولفته في قماش، ومضت بها وفاء لنذرها[66] ويذكر المولى عز وجل في كتابه الكريم بأن الله سبحانه وتعالى تقبلها من أمها نذيرة، وأنه أنبتها نباتاً حسناً؛ أي جعل لها شكلاً مليحاً، ومنظراً بهياً، ويسر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين من عباده، تتعلم العلم النير والدين، وانما قدر الله كون زكريا، كفلها لسعادتها لتقتبس منه علماً جماً نافعاً، وعملاً صالحاً. ''وكلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها طعاماً؛ يعني فاكهة الصيف في الشتاء، والشتاء في الصيف''[67].

---

[65] سورة آل عمران ، آية 36

[66] جابر الشال – قصص النساء في القرآن الكريم – مرجع سابق، ص65

[67] تفسير ابن كثير، الجزء الثالث، ص539 / انظر الكامل في التاريخ، ص298 / البداية والنهاية – الجزء الثاني، ص65 / الدر المنثور، ص494

الجوانب الدعوية في قصة مريم بنت عمران:

1. المشاركة في العمل الطوعي: السيدة مريم تعتبر أول امرأة تشارك في خدمة بيت المقدس، والقيام بتنظيمه طوعاً ودون مقابل مادي. فقد كانت عادة بني إسرائيل أن المحرر إذا حرر ونذر لله، لا يبرح المكان حتى يبلغ الحلم، وبعد ذلك خير بين أن يقيم أو أن يذهب حيث يشاء.
2. نجد أن السيدة مريم عليها السلام قد أبرت بنذر والدتها: فالداعية لا بد أن يكون قدوة يقتدى بها، فلم تخالف والدتها، وأصبحت أول نموذج نسوي يقوم بالعمل الطوعي، حيث قامت بخدمة الهيكل.
3. أثبتت مريم لتاريخ البشرية جمعاء أن الذكر والأنثى سواسية في العبادة: وإنما التفاوت بقوة الإيمان، قال تعالى: (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا)[68]. ويظهر ذلك في قيامها بخدمة بيت المقدس.
4. لقد أخبرنا القرآن الكريم من الملائكة أنهم أمروها بكثرة العبادة والخشوع والركوع والسجود والدأب من العمل الصالح. قال تعالى: (يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين)[69]، لما يريد الله بها من الأمر الذي قدره وقضاه مما فيه من محنة لها ورفعة في الدارين. ومن هذا نخلص لأهمية الإعداد الروحي للداعية.
5. في سيرة السيدة مريم صورة واضحة لأهمية الدعاء والتبتل.
6. الصبر على قضاء الله وقدرته: فعندما وقع بها الحمل لم تنقطع عن المحراب، بل كانت مستمرة في عبادتها، واثقة بأن قدرة الله لن تضيعها. وما هذا إلا دليل على صدق إيمانها بالله سبحانه وتعالى.
7. الاعتصام بحبل الله والتقوى يعينان صاحبهما في المحن والملمات. قال تعالى: (ومن يتق الله يجعل له مخرجا {2} ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه)[70].

---

[68] سورة ال عمران ، من الآية 37
[69] سورة ال عمران ، من الآية 43
[70] سورة الطلاق ، ايتان 2 – 3

المطلب الثالث

أم موسى عليها السلام

وردت قصة أم موسى في سورتين فقط، هما سورتي طه والقصص. قال تعالى: {إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى {38} أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي {39} إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى}[71].

قال تعالى: {طسم {1} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {2} نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {3} إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ {4} وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ {5} وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ {6} وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ {7} فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ {8} وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ {9} وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {10} وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ {11} وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ {12} فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {13}}[72].

تبدأ قصة أم موسى عليها السلام بميلاد سيدنا موسى عليه السلام ولم يذكر ما فيها قبل ولادة سيدنا موسى عليه السلام، وكذلك من خلال الآيات نجد أن قصة أم موسى مرتبطة بطغيان فرعون في الأرض، وحماية الأم الحنون

---

[71] سورة طه، الآيات 38 – 40

[72] سورة القصص، الآيات 1 – 13

لابنها من جبروت فرعون وجنوده. فقد كان فرعون متكبراً ظالماً مفسداً في الأرض، يذبح الأبناء، ويستحي النساء. قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[73]. كان شأن فرعون قبل ولادة موسى أنه رأى في منامه كان ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتعلت على بيوت مصر، فأحرقت الغيط وتركت بني إسرائيل وخربت بيوت مصر، فدعا السحرة والحذاة والكهنة فسألهم عن رؤياه، فقالوا: "يخرج من هذا البلد – يعنون بيت المقدس الذي جاء بنو إسرائيل منه – رجل يكون على وجهه هلاك مصر". فأمر أن لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح، ويترك الجواري.

وقيل إنه لما تقارب زمن موسى، أتى منجمو فرعون وحذاته إليه قائلين له: "اعلم إنا نجد في علمنا أن مولوداً في بني إسرائيل قد أظلك زمانه الذي يولد فيه ويسلبك ملكك ويقلبك على سلطانك ويبدل دينك". فأمر بقتل كل مولود يولد من بني إسرائيل. وقيل: تنكر فرعون وجلساؤه معاً ما وعد إليه بني إسرائيل لينتظرن ذلك. وقد كانوا يظنون يوسف عليه السلام، فلما هلك قالوا: ليس هكذا وعد الله إبراهيم كيف ترون؟ فأجمعوا على أن يبعث رجالاً يقتلون كل مولود لبني إسرائيل.

وسيدنا موسى كغيره من المواليد في خطر، ولكن إرادة الله فوق إرادة فرعون. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[74]. وقال تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾[75]، ماذا أوحى الله إلى أم موسى؟ أوحى الله إلى أم موسى بالكيفية المثلى التي تمكنه من العيش دون أن تصل إليه يد فرعون. وأوضح المولى عز وجل أنه حينما أمرها بـ: أرضعيه وألقيه في اليم نهائياً في نفس الآية، أن لا تخافي ولا تحزني، كما بشرها سبحانه وتعالى بأنه سوف يرده إليها ويجعله من المرسلين.

---

[73] سورة البقرة، آية 49
[74] سورة القصص، آية 7
[75] سورة طه، آية 38

وبعد أن ألهم الله أم موسى ما كان منها أن علمت بأمر الله سبحانه وتعالى، فوضعت صغيرها في صندوق وألقته في اليم. ورغم أن الله سبحانه وتعالى ألهمها بأنه سوف يأخذه عدو الله وعدوه، قال تعالى: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾، ولكنها لم تتوقع أن يكون مستقره بين فرعون. فمن العجب أن يكون هذا المستقر، والأعجب عندما علمت بهذا المستقر لم تفزع وتتهور، كما هو معروف من عادات النساء، ولكنها صبرت.

وتستمر القدرة الإلهية، ويرفض سيدنا موسى عليه السلام أن يلتقم ثدي كل المراضع اللاتي في القصر. وعندما دخلوا به على أم موسى إذا بها تنظر إلى ابنها – موسى – بين واحدة منهن، كادت تنطق صائحة: "ولدي"، ولكن واحدة أسرعت لتقول لها: هل لك أن ترضعي ذلك الطفل؟ فقد دلتنا طفلة عليك. وأخذت أم موسى وليدها ووضعته على صدرها لترضعه، والتقم الثدي وعلامة الرضا في وجه الصغير، بعد أن عاف كل المرضعات من قبل. نظرت أم موسى إلى وجه وليدها وهي ترضعه، وتمتمت شاكرة الله سبحانه وتعالى، ولقد وعدها حفظ موسى ورده إليها، وها هو ذا قد تحقق ذلك[76].

الجوانب الدعوية في قصة أم موسى عليها السلام:

1. الإلهام من الله سبحانه وتعالى لعباده المتقين الصالحين: كما حدث لأم موسى عليها السلام.
2. البشر مهما خططوا ونظموا أو درسوا فإن كل ذلك يضيع ويتلاشى: ولا يكاد يذكر أمام تقدير الله سبحانه وتعالى وتدبيره والبشر قد يعجزون عن فعل أمر من الأمور، ولكن الله إذا أراد شيئاً يقول له: كن، فيكون. والبشر قد يعجزون عن الدفاع عن الأشخاص ونصرتهم، ولكن من ينصر الله فهو المنتصر.
3. قد يبتلي الله أولياءه وأحبابه: وقد يصيبهم بالمحن، فإن حصل هذا لهم فلا يكون دليلاً على سخط الله، ولا عدم رضاه عنهم، فالابتلاء لصقل

[76] انظر جابر الشال – قصص النساء في القرآن الكريم – ص31 / انظر ابن الاثير – الكامل في التاريخ – ج1، ص170 / انظر ص1 - 2 في قصة آسيا بنت مزاحم – رضي الله عنها - وردت أخت موسى عليه السلام

النفوس، وتعميق الإيمان، ورفع الدرجات والمقامات عند الله تعالى، كما حدث لموسى وأسرته.

4. يعتبر امتناع شفتي موسى عن قبول أي ثدي إلا ثدي أمه رداً قوياً على الملحدين والماريين الذين ينكرون عالم الغيب ومجال الروح، ولا يجعلون العقل والاختيار الواعي والحياة للإنسان فقط.

5. وجوب الأخذ بأنجح وأفضل الأساليب البشرية للتخطيط والتنظيم، وأخذ الحيطة والحذر، وكتمان الأسرار عن الأعداء، والفطنة والذكاء وحسن التصرف، مهم، كما فعلت أخت موسى عليها السلام.

المطلب الرابع
أسيا بنت مزاحم

ورد ذكر السيدة آسيا بنت مزاحم في القرآن الكريم مصاحباً لميلاد سيدنا موسى – عليه السلام – وطغيان فرعون وجبروته في الأرض. قال تعالى: (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)[77]. وقال تعالى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[78]. وقال تعالى: (إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى {38} أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)[79].

ورغم المصير الذي كان ينتظر كل مواليد بني إسرائيل – وسيدنا موسى من بينهم – تتدخل إرادة الله سبحانه وتعالى، ويصبح سيدنا موسى في حماية الطاغية فرعون، في الوقت الذي كان فرعون يبحث عنه ليقتله؛ حفاظاً على سلطانه. وهنا يأتي دور السيدة آسيا، عندما قالت لفرعون، قال تعالى: (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)[80]. قال ابن كثير: ''يعني أن فرعون هم بقتل موسى – عليه السلام – خوفاً من أن يكون من بني إسرائيل، فشرعت امرأته؛ آسيا، تخاصم عنه، وتذب عنه، وتحببه إلى فرعون، فقالت: (قرة عين لي ولك)، فقال فرعون: "أما لك فنعم، أما لي فلا". ثم تابعت آسيا بنت مزاحم قولها: (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً). وقد حدث واستجاب لها فرعون. وعند ذلك أخذته، وقامت برعايته. وعندما استشعر الوليد بالجوع أرسلت إلى من حولها، فعرضوا عليها المراضع في دارهم، فلم يقبل منهم ثدياً، وأبى أن يقبل شيئاً من ذلك، فخرجوا به إلى السوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته. قال تعالى: (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ)[81]. في ذلك الحين قالت أم موسى: "لأخته قصيه واطلبيه هل تسمعين له ذكراً؟ أم

---

77 سورة القصص، آية 9
78 سورة التحريم ، آية 11
79 سورة طه ، آيتان 38 – 39
80 سورة القصص ، آية 9،
81 سورة القصص ، من الآية 12

أكلته دواب البحر وحيتانه؟"، فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون، فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤات[82]: (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون)؟ فقالوا: وما يدريكم ما نصحهم له تعرفينه حتى شكوا في ذلك. فقالت نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في ظؤورة الملك ورجاء منفعته، فتركوها فانطلقت إلى أمها وأخبرتها الخبر، فجاءت. فلما وضعته في حجرها وأنزأ إلى ثديها حتى امتلأ جنباه، انطلق البشير إلى امرأة فرعون يبشرها أن قد وجدنا لابنك ظئراً، فأرسلت إليها فأتيت بها وبه، فلما رأت ما يصنع بها قالت: امكثي عندي ترضعين ابني هذا، فإني لم أحبه حبه شيئاً قط. قالت: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع، فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي ألا آلوه خير فعلت، وإلا فإنني غير تاركة بيتي وولدي. وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فتعاثرت على امرأة فرعون، وأيقنت أن الله عز وجل منجز وعده. فرجعت بابنها إلى بيتها من يومه، فأنبته الله نباتاً حسناً وحفظه.

وتتوقف الأحداث عن سيرة آسيا حيناً، فلم تحرك الغلام حملته أمه إلى آسيا فأخذت ترقصه وتلعب به وناولته فرعون، فلما أخذه إليه أخذ الغلام بلحيته فنتفها، فقال فرعون: "علي بالذباحين يذبحونه وهو هذا". قالت: "لا تقتلوه، عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً. إنما هو صبي لا يعقل، وإنما فعل هذا من جهل. وقد علمت أنه ليس في مصر امرأة أكثر حلياً مني، وأنا أضع له حلياً من ياقوت وجمر، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه، وإن أخذ الجمر فإنما هو صبي"، فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طستاً من جمر، فجاء جبريل فوضع يده في جمرة فأخذها فطرحها موسى في فمه فأحرقت، فهو الذي يقول لله سبحانه وتعالى: (واحلل عقدة من لساني {27} يفقهوا قولي)[83]. فدارت عن موسى بتلك الحيلة.

سمعت آسيا قول سيدنا موسى مع فرعون، قال تعالى: (فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام

---

[82] الظؤات: المراضع

[83] سورة طه، آيتان 27 - 28

عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى)[84]، فكانت أول من آمن بدعوته التي بعثه الله عز وجل بها، ولكنها كانت خائفة على موسى من بطش فرعون، فكانت تحنو عليه كما لو كان ابناً لها، ولدته من أحشائها، وتخاف عليه من بطش فرعون ومؤامرات هامان.

صبرها على إسلامها وتعذيب فرعون لها:

كان فرعون يحدث آسيا عن حقده الدفين على موسى، وأنه لن يستريح حتى يقتله بيديه، فكانت تغير دفة الحديث، ولم تحدث فرعون في ذلك الأمر، حتى أنه في يوم صاح فيها: "لم لا تشاركيني في الغضب من موسى؟!" فقالت: "لم؟". جن جنون فرعون حين سمع ذلك، وقال لها: إنه لا يقر أنني الإله، إنه يريدني وأنا الإله العظيم أن أعبد إلهه، أي جنون هذا الذي يدعوني إليه موسى! قالت له: "إن هامان وزيرك هو الذي يريد الفجوة التي بينك وبين موسى أن تتسع" لكن فرعون قاطعها: "هامان وزيري من أشد المخلصين لي، لا بد أن يمتلئ قلبك حقداً على موسى، وأنا أعلم الناس أنك اتخذتيه ولداً حين كان صغيراً، لكنه عاق لي ... عاق لي"[85].

وعندما أحرق فرعون زوجة حذقيل[86] وأبناءها لأنهم آمنوا بموسى، صعد إلى حجرته، فوجد زوجته فقال لها: "لعلك شاهدت ما حاق بتلك الكافرة بإلهها العظيم فرعون؟" فقالت له: "ويلك يا فرعون من عذاب الله"، فسمع فرعون ذلك فلم يصدق أن التي تتحدث هي امرأته آسيا، فقال لها: "لعلك قد اعتراك الجنون

---

[84] سورة طه، آية 47

[85] انظر عز الدين بن الحسن بن أبي الكرم محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، بيروت، ج1، 1402هـ دار صادر: 1982م، ص153

جابر الشال – **قصص النساء في القرآن** – ط2، بيروت، دار الجيل: ، 1405هـ - 1985م، ص121

انظر الطبري – تاريخ الأمم والملوك – ج1، ط1، بيروت، دار القلم: ص203

ابن كثير – تفسير القرآن الكريم – ج3، ص608

[86] حذقيل: هو خازن فرعون، وكانت امرأته ماشطة ابنته، وكانت مثالاً للمرأة المؤمنة الصادقة الإيمان، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون، فوقع المشط من يدها، فقالت: تعس من كفر بالله! فقالت لها بنت فرعون: أو لك رب غير أبي؟ قالت: ربي ورب أبيك ورب كل شيء. فلطمتها بنت فرعون وضربتها، وأخبرت أباها، فأرسل إليها فرعون فقال: تعبدين رباً غيري؟ قالت: نعم، ربي وربك ورب كل شيء، وإياه أعبد. وأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها وأرسل عليها الحيات، فكانت كذلك، فأتى عليها يوماً: ما أنت منتهية؟ فقالت: ربي وربك ورب كل شيء، فقال لها: إني ذابح ابنك إن لم تفعلي. فقالت له: اقض ما أنت قاض. فذبح ابنها من فيها. وإن روح ابنها بشرها فقال لها: أبشري يا أمه، فإن لك من الثواب عند الله كذا وكذا، فصبرت. ثم أتى عليها فرعون يوماً آخر فقال لها مثل ذلك، فقالت له مثل ذلك فذبح ابنها الآخر، فبشرها روحه أيضاً، وقال لها: اصبري يا أمه، فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا. قال: سمعت امرأة فرعون كلام روح ابنيها الأكبر ثم الأصغر فآمنت امرأة فرعون. وقيل أيضاً: آمنت قبل ذلك. إلا أنه عندما قبض الله روح امرأة خازنة كشف الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون حتى رأته فازدادت إيماناً ويقيناً وتصديقاً.

الذي اعترى صاحبتك!" قالت: "ما اعتراني من جنون، ولكن آمنت بالله ربي وربك ورب العالمين"[87].

وقيل إنها آمنت عندما "كانت تسأل من غلب" فيقال: غلب رب موسى وهارون. فتقول: "آمنت برب موسى وهارون". فأرسل إليها فرعون فقال: "انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها، فهي امرأته". فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها في الجنة، فمضت على قولها وانتزعت روحها، وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح[88].

الجوانب الدعوية في قصة آسيا بنت مزاحم رضي الله عنها:

1. العطف والشفقة من صفات الداعية: يتمثل ذلك في عطفها على الرضيع عندما هم فرعون بقتله، حين قال تعالى: (قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ)[89].
2. الذكاء والفطنة من صفات الداعية: عندما أخذ موسى عليه السلام بلحية فرعون فنتفها، قال فرعون: "علي بالذباحين يذبحونه هو هذا". قالت آسيا: "لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، إنما هو صبي لا يعقل". وأشارت إليه بالفكرة التي وردت سابقاً.
3. الاستجابة لنداء الحق في سرعة ويقين قاطع: عندما سمعت آسيا قول سيدنا موسى مع فرعون قوله تعالى: (فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى)[90]. فكانت أول من آمن بدعوته التي بعثه الله عز وجل بها، ولكنها كانت خائفة على موسى من بطش فرعون. وهذا دليل على اتباع الحق عند ثبوته.

---

[87] انظر زينب بنت يوسف – الدر المنثور في طبقات ربات الخدور – ط2، بيروت، دار المعرفة: ص430 – ابن كثير – تفسير القرآن الكريم – مرجع سابق، ص615

[88] انظر الدر المنثور في طبقات ربات الخدور – المرجع نفسه – ص343

[89] سورة القصص ، آية 9

[90] سورة طه ، آية 47

4. التدرج في إعلان الدعوة: نجد أن السيدة آسيا كتمت إيمانها ولم تظهره إلا عندما أحرق فرعون زوجة حذقيل وأبناءها، إذ ليس من الضرورة الجهر بالدعوة إلا في الوقت المناسب.
5. الصبر على الأذى وصدق العزيمة والثقة بالله تعالى: وذلك عندما قال فرعون: "انظروا أعظم صخرة، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت من قولها فهي امرأتي". فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في الجنة، فمضت على قولها. وهذا أكبر دليل على أن الله سبحانه وتعالى في عون عباده المتقين.
6. البيع المربح: فقد باعت حياة القصور والترف، واختارت طريق الواحد الأحد لتكسب قصور الجنة، حيث آمنت بسيدنا موسى ولم تتبعه بفرعون وملكه وحياة النعيم التي كانت فيها، إذ ليس هنالك مفاضلة بعد أن كشف فرعون أمرها، ولكنها أثناء التعذيب لم تنطق بغير دعاء الله تعالى: (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[91].

- طلب فرعون من آسيا مشاركته كره موسى دليل على أن آسيا امرأة فرعون كانت تشارك زوجها همومه وأفراحه. وهذه من صفات الزوجة الصالحة.
- كانت آسيا من خلال سيرتها هادئة تتصف بالهدوء والروية، ولم تتعجل بالإفصاح عن دينها إلا عندما حان الوقت المناسب وتعدي فرعون حدود الصبر.

---

[91] سورة التحريم، آية 11

فضل آسيا بنت مزاحم:

كانت آسيا بنت مزاحم من أكمل النساء، وقد كفلت كليم الله موسى عليه السلام. عن أبي موسى الأشعري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسيا امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد. وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)[92].

[92] أخرجه البخاري في كتاب فضل الصحابة، باب فضل عائشة، ج3، رقم الحديث 3869، ص48

المطلب الخامس

خولة بنت ثعلبة[93] رضي الله عنها

من ربات الفصاحة والبلاغة. خاطبت عمر بن الخطاب لما خرج من المسجد ومعه الجارود[94] العبدي، فسلم عليها فردت السلام فقالت: هيهات عمر عهدتك وأنت تسمي عمير في سوق عكاظ ترعى الضأن بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين. فاتق الله في الرعية، وأعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت. فقال الجارود: قد أكثرت أيتها المرأة. فقال عمر: دعها، أما تعرفها؟ هذه خولة التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات، فعمر أحق – والله – أن يسمع لها.

وذلك أن زوجها تظاهر منها فقال لها: أنت علي كظهر أمي. فقالت: والله لقد تكلمت بكلام عظيم، ما أدري ما مبلغه. ثم عمدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصت أمرها وأمر زوجها عليه صلى الله عليه وسلم فأرسل صلى الله عليه وسلم إلى زوجها أوس بن العباس بن الصامت، فأتاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا تقول ابنة عمك؟ فقال: صدقت، قد تطهرت منها، وجعلتها كظهر أمي، فما تأمر يا رسول الله في ذلك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: لا تدن منها ولا تدخل عليها حتى آذن لك. قالت خولة: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما له من شيء، وما ينفق عليه إلا أنا. وكان بينهم في ذلك كلام ساعة أنزل الله تعالى قوله: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)[95]، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أمره من كفارة الظهار، فقال أوس: لولا خولة لهلكت[96].

---

[93] يقال خويلة وخولة أكثر، وقيل خولة بنت حكيم، وقيل خولة بنت مالك بن ثعلبة، وقيل التي نزلت فيها هذه الآية جميلة امرأة أو من بني الصامت، وقيل بل خولة بنت دليج، وقيل لا يثبت شيء منها، والله أعلم. وإن المجادلة هي خولة بنت ثعلبة زوج أوس بن الصامت أثبت وأصح.

[94] الجارود: هو حاجب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه

[95] سورة المجادلة، آية 1

[96] انظر أعلام النساء، الجزء الأول، ص382 / سنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب الظهار، رقم الحديث 2213، ص90

الجوانب الدعوية في قصة خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها:

1. طلاقة اللسان من الصفات الذاتية للداعية: لا بد أن تكون الداعية طلقة اللسان حتى يفهم خطابها. والسيدة خولة بنت ثعلبة من ربات الفصاحة.
2. الشجاعة مطلوبة في الداعية للحق: لا بد أن تكون الداعية شجاعة لا تخاف إلا من الواحد الأحد. والسيدة خولة بنت ثعلبة كانت من الشجاعة في الحق، ويمثل ذلك في موقفها من سيدنا عمر بن الخطاب حين نصحته وقالت له: اتق الله في الرعية، واعلم أن من خاف الوعيد قرب إليه البعيد ... كما ذكرنا.
3. استمرارية البحث عن المعرفة من صفات الداعية: ويشمل ذلك في ذهابها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم تسأل عن أمر الظهار.

المواقف الكريمة من الأقارب والأرحام وسيلة دعوية: وذلك في وقوفها وحوارها مع زوجها حتى أنزل الله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا)، وقول زوجها: لولا خولة لهلكت.

المبحث الثاني
المرأة في السنة النبوية
ويحتوي على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: إكرام النبي صلى الله عليه وسلم للمرأة

المطلب الثاني: المرأة والعلم

المطلب الثالث: مشاركة المرأة في إرساء قواعد الدين والدولة

المطلب الأول

إكرام النبي صلى الله عليه وسلم للمرأة

حين بعث الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، نادى بما أنزل عليه، فلم يفرق في ندائه بين الرجل والمرأة، قال للناس: (يا أيها الناس: إني رسول الله إليكم)[97]. وفي نداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)[98].

إذن منذ اللحظة الأولى لانبثاق نور الإسلام، سارعت المرأة المسلمة إلى الإسلام. فالمرأة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم عرفت دينها ومسئوليتها، وقامت خير قيام لإعلاء كلمة الله، ولرفع راية الإسلام، لأنها مكلفة مثل الرجل، مطالبة بعبادة الله تعالى، وأداء فرائضه، واجتناب محارمه، والوقوف عند حدوده، والدعوة إليه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكل خطاب الشارع يشملها إلا ما دل دليل معين على أنه خاص بالرجال. والأصل العام أن المرأة كالرجل في التكليف لقوله صلى الله عليه وسلم: (النساء شقائق الرجال)[99]؛ أي نظائرهم وأمثالهم في كل شيء، وأنهن شققن منهم.

جعل الله ذرية أحب الخلق إليه صلى الله عليه وسلم بنات فقط دون الذكور، وجعله أبا للبنات. وأحب النبي صلى الله عليه وسلم بناته حتى قال عن ابنته فاطمة: (فاطمة بضع مني، فمن أغضبها فقد أغضبني)[100]. وانقطع نسله من كل أولاده إلا من فاطمة رضي الله عنها. يقول محمد العفيفي: ''رأى المسلمون أن الله لم يختص فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم بذرية رسوله إلا ليشيد بالمرأة وينهض بأمرها، ويرفع شأنها، ويأخذ العرب بحبها، والابتهاج بها. فغدوا من بعده يحبون بناتهم ويكرمونهن. وقد استخلص وهب بن منبه من تقديمه سبحانه الإناث على الذكور في قوله تعالى: (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ)[101] أن من يمن المرأة أن تلد الأنثى قبل الذكر[102].

---

97 أخرجه الطبراني – المعجم الوسيط – 206/2، رقم الحديث 1672، عن طريق معقل

98 أخرجه الإمام أحمد بن حنبل، 341/4

99 النهاية في غريب الحديث – الإمام ابن الأثير – (492/2). ولأن حواء خلقت من آدم عليه السلام، وشقيق الرجل أخوه لأبيه

100 رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب فاطمة عليها السلام، رقم الحديث في فتح الباري 3767، ص

101 سورة الشورى ، آية 49

102 عبد الله عفيفي – المرأة العربية – ج2، القاهرة، دار الاعتصام، ص18

جعل الإسلام الخطاب الإلهي مباشراً، فكل خطاب في القرآن موجه للرجل والمرأة على حد سواء، بل رفع كثيراً من النساء فوق كثير من الرجال، وأرسل لها السلام مع رسول الأنبياء جبريل عليه السلام.

روى ابن هشام[103] في سيرته، قال: "أتى جبريل رسول الله فقال له: أقرئ خديجة السلام من ربها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا خديجة، هذا جبريل يقرئك السلام من ربك)، فقالت: الله السلام، وعلى جبريل السلام"[104]. ويبشرها النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، ويجعل أولاد المسلمين في رعايتها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أولاد المسلمين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة عليهما السلام، فإذا كان يوم القيامة دفعوا إلى آبائهم)[105].

قال صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته)[106]. فالإسلام حمل المرأة مسئولية رعاية بيت زوجها وأولادها، وحمل الرجل مسئولية رعاية المرأة، يرعاها بحسن المعاشرة، والمحافظة عليها والنفقة، وهي ترعى بيته في توفير الراحة والهدوء، والإشراف على الخدم الذين يقومون بأعمال البيت، والعناية بالأولاد وتعليمهم.

يتحمل الرجل مشاق الحياة، ويكابد صعابها ليجلب الرزق للمرأة، ويكفيها هم وتعب ومكابدة ذلك بنفسها. ومن هنا أصبح الزوج بالنسبة للمرأة مصدر رزقها ومعاشها، إضافة إلى ما هو عليه من سكنها وراحتها ومأواها، لذلك تقدسه المرأة؛ أي تقدس فيه عمله وعطاءه، ونعيم سكنها وراحتها معه. أما الزوجة فهي بالنسبة للرجل متعة جنسية شهوانية أولاً، ثم هي سكن وراحة ثانياً. لذلك لم يأمر الرجل أن يقدس زوجه، لئلا يكون في ذلك تقديس لشهوته ونزوته. ومن هنا كاد

---

[103] ابن هشام: أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري، المتوفى بمصر سنة 313هـ

[104] ابن هشام – السيرة النبوية، القاهرة المكتبة التوفيقية: (241/1) – لكي نعلم أن فضل الله على المرأة كفضله على الرجل، وأن عطاء الله للمرأة كعطائه للرجل قد يكون أكبر، ولا فرق عنده بين رجل وامرأة، فالكل عباده

[105] محمد نور سويد – منهج التربية النبوية للطفل ط2، دمشق، دار ابن كثير: 1999م، ص336. والحديث أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك عن الصحيحين، (541/1)

[106] رواه البخاري – كتاب الجمعة – باب (الجمعة في القرى والمدن)، رقم الحديث في فتح البخاري 893

النبي صلى الله عليه وسلم أن يأمر المرأة بالسجود لزوجها، حيث قال: (لو كنت آمراً بشراً أن يسجد لبشر، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها)[107]. ولم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل بذلك، لكنه أمر باحترام المرأة عندما تكون أماً، أكثر مما تحترم المرأة زوجها، وحرم عليه دخول الجنة إلا تحت قدميها. فالعلاقة متبادلة، ولا فضل لأحد على الآخر. فالتي تكون زوجة اليوم تحترم زوجها لتصبح أماً يحترمها ولدها. والزوج الذي تحترمه زوجته في الوقت نفسه خاضع لأمه، محترم لها.

سألت عائشة – رضي الله عنها – النبي صلى الله عليه وسلم: أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: زوجها. قالت: فعلى الرجل؟ قال: أمه[108]. فالمرأة تحترم الرجل، والرجل يحترم المرأة، ولا أحد يجهل أن حق المرأة قدم على الرجل. جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك[109]. إذاً الدعوة باب مفتوح للرجال والنساء، ينهل كل منه قدر استطاعته، وفق ما شرعه الله في كتابه وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. كما أن العلم ليس قدراً معيناً ولا محدوداً؛ علواً أو نزولاً، والكل تعظم مسئوليته على قدر علمه.

بلغ من علو شأن المرأة في عهده صلى الله عليه وسلم أن اعتبرها النبي صلى الله عليه وسلم مصدر السعادة، فقال: (من سعادة بني آدم المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح)[110]، فالمرأة الصالحة هي منبع السعادة في الأسرة. وقد مدح الله تعالى في القرآن النساء الصالحات، وأهاب بكل النساء أن يحملن صفاتهن الحسنة، حيث قال تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي

107 مسند الإمام أحمد بن حنبل (227/5) – رواه الترمذي (1159)، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة قال: حسن غريب، وصححه الألباني في الجامع (68/5)

108 محمد بن عبد الله النيسابوري – المستدرك على الصحيحين – (167/4)، كتاب (البر والصلة)، رقم الحديث 7244

109 رواه البخاري في كتاب الأدب – باب (من أحق الناس بحسن الصحبة)، رقم الحديث في فتح الباري 597

110 مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج1، ص168 – مجمع الزوائد، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، الجزء الرابع، ص306

الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا)[111]؛ أي المرأة الصالحة في خير الدنيا.

وبلغ من شأن تكريم الرسول صلى الله عليه وسلم أن المرأة تجير الرجال وتشفع لهم من القتل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقبل النبي صلى الله عليه وسلم منها ذلك. في رواية ابن هشام في سيرته عن أم هاني بنت أبي طالب قالت: "لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة – يوم الفتح – فر إلي رجلان من أحمائي من بني مخزوم، فدخلا على أخي علي ابن أبي طالب، فقال: والله لأقتلهما. فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (مرحباً وأهلاً يا أم هاني، ما جاء بك؟) فإخبرته خبر الرجلين، وخبر علي. فقال: (قد أجرنا من أجرت، وأمنا من أمنت، فلا يقتلهما)[112]. وبلغ من تكريم النبي صلى الله عليه وسلم للمرأة أن أوصى الرجال بها، ونهى أن يعطي الرجل عطية من ماله لأولاده الذكور أكثر من الإناث، فقال: (سووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلاً أحد لفضلت النساء)[113].

ويعلن النبي صلى الله عليه وسلم كرامة الأنثى حين يحملها في صلاته، فكان يصلي وهو يحمل أمامة ابنة زينب[114]. يحملها في القيام ويضعها في الركوع والسجود. يحملها صلى الله عليه وسلم وهو إمام يأتم به الرجال والنساء.

وأخيراً نرى من تكريم الرسول صلى الله عليه وسلم للمرأة، أنه يذهب بنفسه ليصلي على الأمة السوداء التي كانت تقيم في المسجد، والتي تدعى محجنة[115] يوم ماتت فدفنوها ولم يعلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، لظنهم أنه لا يهتم لشأن هذه المسكينة. لكنه صلى الله عليه وسلم لامهم على ذلك، وقال: (ألا آذنتموني بها؟)، فخرج فصلى عليها[116].

---

[111] سورة النساء ، آية 34

[112] ابن هشام – السيرة النبوية – (41/2)

[113] أخرجه السيوطي في الجامع الصغير – المجلد الرابع، حرف السين، رقم الحديث 4632

[114] رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب (إذا حمل جارية صغيرة)، رقم الحديث في فتح الباري 516

[115] محجنة: الأمة السوداء التي صلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم

[116] البخاري – كتاب الصلاة – باب كنس المسجد وارتقاط الخرق، ج2، ص99. مسلم – كتاب الجنائز – باب الصلاة على القبر، ج3، ص56

هكذا كرم الرسول صلى الله عليه وسلم المرأة ورفع شأنها، حتى علماء الغرب المنصفين، وفي عصرنا هذا، يعترفون بتكريم الإسلام للمرأة على نحو لم يشهدوه في سواه من الأديان أو التشريعات الوضعية.

فكما كان الرجال يأتون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتعلموا فيه، كذلك كانت النساء يأتين إليه، حيث كان المسجد النبوي مركز إشعاع ديني وثقافي واجتماعي، للرجل والمرأة على حد سواء. فالمرأة تقصده لسماع القرآن، أو سماع الوعظ، أو لتعلم أحكام الدين.

هكذا كانت المرأة المسلمة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، تصلي مع الرجال في المسجد، وتسمع حلقات العلم، حتى وصلت مكانة عالية في العقيدة وقراءة القرآن والفقه والفرائض والحديث، وقامت برسالتها العلمية خير قيام[117].

وفي صلاة الفريضة أيضاً قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: كنا نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر متلفعات بمروطهن، ثم ينقلبن إلى بيوتهن حيث يقضين الصلاة لا يعرفهن أحد من الغلس[118].

وأيضاً شاركت المرأة في صلاة الجنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الإمام النووي: "والصحيح الذي عليه الجمهور أنهم صلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرادى، فكانوا يدخل فوج يصلي فرادى، ثم يخرجون، ثم يدخل فوج آخر فيصلون كذلك، ثم دخلت النساء بعد الرجال ثم الصبيان"[119].

وكانت المرأة فقيهة ولها مشاركات. عن أم الفضل بنت الحارث[120] رضي الله عنها أن أناساً تماروا عندها يوم عرفة في صوم النبي صلى الله عليه وسلم،

---

[117] ابن حجر العسقلاني – الإصابة في تمييز الصحابة – ج4، ص281

[118] البخاري: كتاب الصلاة، باب وقت الفجر، ج2، ص195 – مسلم: كتاب المساجد ومواقع الصلاة، باب استحباب التبكير بالفجر، ج2، ص118

[119] عبد الحليم محمد أبو شقة – تحرير المرأة في عصر الرسالة – ج1، ط5، الكويت دار القلم للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999م، ص123

[120] أم الفضل بنت الحارث بن حزن بن بجير الهلالية، زوجة العباس عم النبي، اسمها لبابة الكبرى، روت أحاديث، حدث عنها ولداها عبد الله وتمام، وأنس بن مالك، خرجوا لها في الكتب الستة. لم يسلم أحد قبلها بعد خديجة. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويقيل عندها

فقال بعضهم هو صائم، وقال بعضهم ليس بصائم، فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه[121].

ونرى ذلك من الحصافة لأنها فطنت لحل وفض هذا الاستفسار والتساؤل بأن بعث أمام القوم له لبن ليرى الجميع ما هو مستحب. وشاركت المرأة أيضاً في الاعتكاف في المسجد. عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف في المسجد العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده[122].

فالمرأة المسلمة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كانت عابدة تقية، وإن أعبد أهل المرأة كانت امرأة. عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كانت عندي امرأة، فلما قامت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من هذه يا عائشة؟ فقلت: يا رسول الله، أما تعرفها؟ هذه فلانة، لا تنام الليل، وهي أعبد أهل المدينة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه مه، عليكم من العمل ما تطيقون، فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا، وكان أحب العمل أدومه وإن قل)[123].

وكانت النساء يطالبن الرسول صلى الله عليه وسلم بالمزيد من فرص التعليم. عن أبي سعيد الخدري[124] قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله. فقال: (اجتمعن في يوم كذا وكذا، فاجتمعن، فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلمهن مما علمه الله، ثم قال: ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كان لها حجاباً من النار. فقالت امرأة منهن: يا رسول الله، اثنين؟ قال: فأعادتها مرتين، ثم قال: واثنين واثنين واثنين)[125].

---

[121] البخاري: كتاب الحج، باب الوقوف على الدابة بعرفة، ج4، ص259 – مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب الفطر للحاج بعرفة يوم عرفة، ج3، ص145

[122] البخاري: كتاب التراويح، باب الاعتكاف في العشر الأواخر، ج5، ص17. مسلم – كتاب الاعتكاف – باب الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، ج3، ص185

[123] أخرجه البخاري في أبواب تفسير الصلاة، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، ج2، ص124

[124] الإمام المجاهد، مفتي المدينة سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة، شهد الخندق وبيعة الرضوان، وحدث عن النبي وعن أبي بكر وعمر

[125] البخاري: كتاب العلم، باب هل يجعل النساء يوما على حدة، ج1، ص206

حقاً إنه حرص بالغ من النساء. لم يكتفين بمشاركة الرجال في سماع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في المسجد، فأردن أن يكون لهن حديث خاص بهن. ثم إنه تقرير من الرسول صلى الله عليه وسلم لهن على هذا الحرص، واستجابة كريمة وسريعة لمطلب النساء.

كانت المرأة تغالب حياءها للتفقه في الدين. عن عائشة رضي الله عنها قالت: (إن أسماء بنت شكل سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسل المحيض، فشرح لها واستفاض في الشرح. وعندما خرجت قالت عائشة: رحم الله نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء من معرفة أمور دينهن)[126].

وأيضاً في الاحتفال بالعيد، كانت لها مشاركة واضحة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. وكانت المرأة تحرم من الخروج إلى صلاة العيد. روى البخاري، عن حفصة بنت سيرين قالت: كنا نمنع جوارينا أن يخرجن، فجاءت امرأة، فنزلت في قصر خلف فأتيتها فحدثت أن زوج أختها غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر، قالت: فكنا نقوم على المرضى، فنداوي الجرحى، فقالت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أعلى أحد منا إذا لم يكن لها ألا تخرج؟ فقال: (تلبسها صاحبتها من جلبابها، فيشهدن الخير ودعوة المؤمنين). فقالت حفصة: فلما قدمت أم عطية[127] أتيتها فسألتها: أسمعت كذا وكذا؟ قالت: نعم بأبي. وقيل ما ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقالت بأبي. قال ليخرج العواتق[128] وذوات الخدور[129] منكن.

عن أم عطية رضي الله عنها قالت: (كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد، حتى تخرج البكر من خدرها، وحتى تخرج الحائض فيكن خلف الناس، فيكبر الناس فيكبرن بتكبيرتهم، ويدعون بدعائهم، يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته)[130]. وفي رواية: "وليشهدن الخير ودعوة المؤمنين"[131] مما يلفت النظر، ويثير الإعجاب

[126] مسلم: كتاب الحيض، باب استحباب وضع المغتسلة فرصة مسك في موضع الدم، ج1، ص179
[127] أم عطية: هي نسيبة بنت الحارث، وقيل نسيبة بنت كعب. من فقهاء الصحابة. لها عدة أحاديث
[128] العواتق: وهي جمع عاتق، وهي الفتاة التي بلغت الحلم، واستحقت الزواج
[129] ذوات الخدور: وهو جمع خدر، وهي ستر يكون من ناحية البيت تقف المرأة خلفه عند حضور غريب لحيائها
[130] البخاري: كتاب الحيض، باب شهود الحائض للعيدين ج1، ص439
[131] البخاري: كتاب العيدين، باب التكبير في أيام منى، ج3، ص1115 – مسلم: كتاب صلاة العيدين، باب خروج النساء في العيدين، ج3، ص20

أنه رغم فرض الحجاب على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فإنهن لم يعتزلن الحياة من حولهن، بل ظل قدر من المشاركة والمتابعة لنشاط الرسول صلى الله عليه وسلم. كما أنه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم كان لهن دور عظيم في تعليم المسلمين، فضلاً عن استمرارية تواصلهن مع الحياة المحيطة، ومحادثتهن الرجال لمصالح متعددة، وإن كان كل ذلك من وراء حجاب، لم يقطع في كل سبيل للمشاركة في الحياة، وإنما ضيق مجالها، ولم يمنع لقاء الرجال، إنما كان أدباً من آداب اللقاء خاصاً بنساء النبي صلى الله عليه وسلم، يتميزون به عن عامة نساء المؤمنين[132]. وقد كانت المرأة تتمتع بقوة الشخصية وحسن الإدراك لحقوقها وواجباتها. تحدثت أم سلمة رضي الله عنها قائلة: إنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر وهي تمشط: (أيها الناس). فقالت لماشطتها: استأخري عني. قالت الجارية: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء. فقالت أم سلمة: إني من الناس[133].

شاركت المرأة في الحياة الاجتماعية مشاركة فعالة في مجتمع العهد النبوي في أخص الأحوال قضى الشرع الحكيم أن يضيق مجالها ولا تزول شروطها ولا تنمحي. فقد كانت المرأة في عهده صلى الله عليه وسلم تقصد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان الرجال يقصدونهم للشفاعة والزيارة والعبادة. وأيضاً كن يعلمن المسلمين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. عن علقمة[134] قال: سألت أم المؤمنين عائشة، قلت: كيف كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هل كان يخفي شيئاً من الأيام؟ قالت: لا. كان عمله دائم، وأيكم يستطيع ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطع[135].

''وأكبر مشاركة للمرأة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث تتعلم وتتفقه. إن المسجد هو المؤسسة الأولى في المجتمع المسلم، فهو مركز العبادة أولاً ، ومركز العلم ثانياً ، ومركز النشاط الاجتماعي والسياسي ثالثاً، ثم هو

132 انظر فصل خصوصية الحجاب لنساء النبي صلى الله عليه وسلم، الفصل الثاني، الباب الرابع، ص140، من مرجع عبد الحليم محمد أبو شقة تحرير المرأة في عصر الرسالة

133 مسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته، ج7، ص67

134 علقمة: فقيه الكوفة و عالمها ومقرؤها، الإمام الحافظ والمجتهد

135 مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل و غيره، ج2، ص189

قاعة الاجتماعات العامة، وساحة الرياضة عند الحاجة لهذه العوامل مجتمعة. كان يفسح المجال للمرأة في العهد النبوي لتغشى المسجد كلما تيسر لها ذلك. وكان ترددها على المسجد بين حين وآخر يجعلها ترتبط مباشرة بحياة المسلمين العامة''[136]. فضلاً عن مشاركتها في العبادة وسماع القرآن يتلى في الصلاة، فإنها تستمع لدروس العلم وكلمات التوجيه العامة، وتعرف شيئاً من أخبار المسلمين. وفوق كل ذلك تتعرف على أخواتها المؤمنات، وتوثق علاقة الصداقة والمودة.

''وهذا يعني أن المسجد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم مركز إشعاع عبادي واجتماعي وثقافي عام، وللقاء المؤمنات لتوثيق المودة، وللتعاون على المعروف. فهي وما قصدت من خير، فهذا الخير قد يكون مندوباً أو واجباً''[137].

إن نشاط المرأة في المسجد لم يقتصر على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفضيلته بل أمته إلى مساجد الأحياء في أطراف المدينة وخارج المدينة. وقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تأكيد حق المرأة في غشيان المسجد وصيانة هذا الحق من أي عدوان. فعن عبد الله بن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المساجد فأذنوا لهن)[138].

وكانت المرأة تقوم على خدمة المسجد. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أسود "أو امرأة سوداء" كان يقيم في المسجد. وفي رواية البخاري: "ولا أراه إلا امرأة" فمات، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه فقالوا: مات. فقال: (أفلا كنتم آذنتموني به؟ دلوني على قبره "وقال: قبرها". فأتى قبرها فصلى عليها)[139].

---

[136] عبد الحليم محمد أبو شقة – تحرير المرأة المسلمة في عصر الرسالة، ج2، الكويت ، دار القلم للنشر والتوزيع، ط5، 1420هـ - 1999م، ص178

[137] أبو شقة – المرجع نفسه – ص 178

[138] البخاري: كتاب أبواب صفة الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس، ج2، ص492 – مسلم: كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد، ج2، ص32

[139] البخاري: كتاب الصلاة، باب كنس المسجد والتقاط الخرق والقذى والعيدان، ج2، ص99 – مسلم: كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر، ج3، ص56

وأورد البخاري بعد ترجمة الباب قول ابن عباس معلقاً: وتذرت لك ما في بطني محرراً للمسجد يخدمه، وهو يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[140].

عن عائشة أن وليدة كانت سوداء لحي من العرب فأعتقوها، فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت، فقالت عائشة: فكان لها خباء[141] في المسجد أو حفش[142]. قالت: فكانت تأتيني فتحدث عني[143].

وقال الحافظ ابن حجر[144]: ''وفي الحديث إباحة المبيت والمقيل في المسجد لمن لا مسكن له من المسلمين؛ رجلاً كان أو امرأة، عند أمن الفتنة''.

لقد جاء القرآن الكريم ليجعل المساواة بين المؤمنين والمؤمنات لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[145]، وليجعل النساء شقائق الرجال. يذكر محمد سليم العوة: ''ممارسة المرأة لجميع أوجه التجارب؛ جنباً إلى جنب مع الرجال المسلمين، وأن النساء كن يغزون مع النبي صلى الله عليه وسلم''[146].

وأيضاً شاركت المرأة في الحياة الاجتماعية مع زوجها ومنفردة وبغير زوج، حتى كان بعض نساء الأنصار تعرف بكثرة الضيوف وترددهم على دارها. وأن النساء لم يكن في العادة ينتقبن، وأن حجاب زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم خاص بهن وأحكامه لا تهم النساء المسلمات الأخريات[147]. والواقع أن شراح الحديث بينوا أن معناه هو أن النساء نظائر الرجال في الخلق والطبائع

---

[140] سورة آل عمران ، آية 35

[141] خباء: خيمة من وبر أو صوف

[142] حفش: بيت من الشعر ضئيل الارتفاع

[143] البخاري: كتاب الصلاة، باب نوم المرأة في المسجد، ج2، ص179

[144] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

[145] سورة التوبة ، آية 71

[146] محمد سليم العوة – الإسلاميون والمرأة – ط1، دار الوفاء، 1421هـ - 2000م، ص9

[147] د. عبد الرحمن عميرة –رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا – ج9، ط1، دار اللواء للنشر والتوزيع، 1338هـ - 1978م، ص211

والأحكام، كأنهن شقق منهم، فما ثبت للرجال من الأحكام يثبت للنساء، إلا ما قام عليه دليل الخصوصية[148].

ويجب أن يؤدي الرجال والنساء جميعاً الواجب عليهم من المشاركة في جوانب الحياة كافة، مشاركة تجعل المجتمع مستفيداً من كل طاقة قادرة فيه مستثمراً كل جهد نافع، لا فرق بين ما يؤديه الرجال وما تؤديه النساء. ولو لم يكن هذا المعنى صحيحاً لما قال القرآن الكريم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[149]. فالأمر بالمعروف هو فرض كفاية للواجبات كافة، وإيجاب الله تعالى على الرجال والنساء، وذلك إشارة إلى مباشرة المرأة نشاطها العلمي والتجاري جنباً إلى جنب مع الرجال المسلمين.

---

148 العلامة الشيخ محمود خطاب السبكي، المنهل العذب المورود بشرح سنن الإمام، ص 44

149 سورة التوبة ، اية 71

المطلب الثاني
المرأة والعلم

لعل أعظم إصلاح جاء به الإسلام للمرأة في مجال العلم، فقد فتح النبي صلى الله عليه وسلم للمرأة منذ أول يوم، وجعل الإسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، فقال صلى الله عليه وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[150]. وفي هذا يقول ابن الجوزي[151]: ''المرأة شخص مكلف كالرجل، فيجب عليها طلب علم الواجبات عليها، لتكون من أدائها على يقين''[152].

لذلك نرى النبي صلى الله عليه وسلم يسارع إلى تعليم المرأة، فأول علم جاء به جبريل – عليه السلام – للنبي صلى الله عليه وسلم عاد به النبي صلى الله عليه وسلم وعلمه خديجة رضي الله عنها، وهو قوله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)[153]. وأول عبادة نزل بها جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم عاد بها إلى خديجة، فأول ما تعلم الوضوء والصلاة علمه لخديجة رضي الله عنها، فكانت أول شخص يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. روى ابن هشام في سيرته قال: ''فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة، فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صلى به جبريل فصلت بصلاته[154].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعهد المرأة بالتعليم، فيقول لها قولي كذا وافعلي كذا، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا نساء المؤمنين عليكن بالتهليل والتسبيح والتقديس، ولا تغفلن فتنسين الرحمة، وأعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات مستنطقات)[155].

---

[150] سنن ابن ماجه – فضل العلم – باب فضل العلماء، ج1، (221/124). وورد في صحيح الجامع الصغير (3808)

[151] أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي (508 - 597)

[152] أحكام النساء – الإمام ابن الجوزي – 17، تحقيق: أحمد شوحات، مطبعة الغوال: دمشق، الطبعة الأولى

[153] سورة العلق ، آية 1

[154] ابن هشام - السيرة النبوية - (244/1). فرضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ركعتين، فكانت قبل الإسراء صلاة قبل غروب الشمس وصلاة قبل طلوع الشمس، ثم فرضت الصلوات الخمس في الإسراء على ما هي عليه الآن

[155] محمد بن سعد الواقدي- الطبقات الكبرى – القاهرة: دار التحرير للطبع والنشر: 1388هـ من رمضان – 24 من نوفمبر 1968م، (5/7)، ص227

وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سليم، فصلى ببيتها صلاة تطوع، وقال: (يا أم سليم، إذا صليت المكتوبة فقولي: سبحان الله عشراً، والحمد لله عشراً، والله أكبر عشراً، ثم سلي ما شئت، فإنه يقال لك نعم نعم نعم)[156].

ولا يصد رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة تسأله عن علم، بل يجيبها ويعلمها. فكثيراً ما كانت المرأة تأتيه، تسأله عن مسألة فيرشدها ويرحب بها، ويعنى بسؤالها ويبارك قدومها، ويعجب لفطنتها أيما إعجاب. كل ذلك على مرأى من الناس، وفي محضر من الصحابة الكرام.

روى ابن الأثير إن أسماء بنت يزيد بن السكن[157]، أتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين الصحابة، فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك. إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبإلهك. وإنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضى لشهواتكم، وحاملات أولادكم. وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل. وإن الرجل إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً، حفظنا لك أموالكم، وغزلنا أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفما نشارككم في هذا الأجر والخير؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه كله إلى الصحابة، ثم قال: (هل سمعتم مقال امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟ فقالوا: ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا![158] فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها فقال: افهمي أيتها المرأة، وأعلمي من خلفك من النساء، إن حسن تبعل[159] المرأة لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله. فانصرفت المرأة وهي تهلل)[160].

---

[156] ابن سعد – المرجع نفسه – ص312

[157] يقال فكيهة بنت يزيد، لها صحبة، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث صحيحة، روى عنها أبو سفيان بن أبي أحمد. وأسماء من اللاتي بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهدت اليرموك

[158] هكذا كانت نظرة الجاهلية للمرأة، وهذا ظنهم؛ عديمة رأي، عديمة فكر

[159] أصل الكلمة بعل: المباشرة بالحسن والمداعبة، وتطلق كلمة بعل على الزوج؛ فهو بعلها، وتطلق على الزوجة؛ فهي بعلته

[160] ابن الأثير – أسد الغابة في معرفة الصحابة - (19/7)

وكثيراً ما كان الرجال يسمعون سؤال المرأة للنبي صلى الله عليه وسلم، ويحفظون جوابه لها، ثم يروونه للناس. تقول بريرة[161]: بينما أنا جالسة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية، وإنها ماتت. قال: (وجب أجرك وردها عليك الميراث)[162]. فقد حرصت المرأة المسلمة على طلب العلم، وخرجت من بيتها في سبيل تلقي العلم.

وقد ساوت السنة الشريفة بين الرجال والنساء في الحصول على فضيلة العلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المروي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة)[163].

لقد احتلت المرأة المسلمة مكانة علمية عالية في العقيدة والفقه والفرائض والحديث المروي وقراءة القرآن والفتوى، وقامت برسالتها العلمية خير قيام. وقد برزت عدة نساء في هذه العلوم، وكانت المرأة تستضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسمع كلامه؛ وترى أفعاله، فتحفظها وترويها. فقد حدثت أم هانئ[164] رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة، فاغتسل وصلى ثمان ركعات، فلم أر صلاة قط أخف منها غير أن يتم الركوع والسجود[165].

وهكذا سعت المرأة المسلمة إلى طلب العلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أزواجه، حتى صار من النساء عالمات يحملن القرآن في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فهذه الصحابية التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويبشرها بالشهادة، وكانت قد جمعت القرآن، وجعل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً خاصاً يؤذن لها، وأمرها أن تؤم أهل دارها، فكانت تؤمهم بصوت عال يسمعه من يمر بدارها[166].

---

[161] بريرة: كانت مولاة لعائشة رضي الله عنها، فأعتقتها

[162] رواه مسلم في كتاب الصيام، باب قضاء الصيام على الميت، وهو بشرح النووي، (25/8)

[163] سنن ابن ماجة – باب فضل العلماء، ج1، (125/125). وورد في صحيح الجامع الصغير تحت رقم 6173

[164] أم هانئ بنت أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب الهاشمية. اسمها فاختة وقيل هند. تأخر إسلامها. روت الحديث. حدث عنها حفيدها جعدة. بلغ مسندها 46 حديث، لها من ذلك حديث واحد أخرجاه البخاري ومسلم

[165] رواه البخاري، كتاب أبواب التطوع، باب صلاة الضحى في السفر، رقم الحديث 1176

[166] شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد (ابن حجر) – الإصابة في تمييز الصحابة – ج4، ص505

أما زوجات النبي صلى الله عليه وسلم فقد أكرمهن الله بصحبه مبلغ الوحي ومصدر العلم، فقد أصبحن عالمات يأخذ عنهن كبار الصحابة شتى أنواع العلوم؛ علم الحديث، والفقه، والتفسير، والطب، والشعر. فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قد حازت شتى أنواع العلوم.

وهكذا اعتنت زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، وحفظن منه صلى الله عليه وسلم أحكام الشريعة، وروت كل واحدة منهن ما روت من سنن، قد لا تكون الأخرى اطلعت عليها، وبهذا يعدون مرجعاً للعلماء بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فما اختلف الصحابة في مسألة إلا وأتوا يسألون عنها إحدى زوجاته.

أما المرأة المسلمة فكانت حكماً ومرجعاً عند اختلاف الصحابة في علم ما. روى أبو سلمة قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما وأبو هريرة جالس معه، فقال: أفتني في امرأة ولدت بعد وفاة زوجها بأربعين ليلة، فقال ابن عباس: آخر الأجلين[167]. فقال أبو سلمة[168]: فقلت له قال تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[169].

قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي – يعني أبا سلمة –فأرسل غلاماً إلى أم سلمة يسألها، فقالت: قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة، فخطبت، فأباحها رسول الله صلى الله عليه وسلم[170].

وتزداد المرأة علماً وفقهاً بما تعلمت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تعود معلمة الرجال. تحدثت عائشة بنت طلحة – تلميذة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها –: إن الناس كانوا يأتونها من كل مصدر؛ الشيوخ والشباب، يكتبون لها أسئلتهم، فتقول: أي بنية فأجيبيهم[171].

---

[167] الأجلين: أي عدتهما لأجلين؛ وهما إما أربعة أشهر وعشرة أيام، أو حتى تضع حملها
[168] أبو سلمة بن عوف بن عبدالحارث، كان ثقة فقيهاً، كثير الحديث
[169] سورة الطلاق، آية 4
[170] رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة الطلاق، ج9، ص490
[171] رواه البخاري في الأدب المفرد، باب الكتابة إلى النساء وجوابهن، ص299

وكذلك روت أم سلمة[172] رضي الله عنها ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثاً، وسائر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم والصحابيات أيضاً، روين أعداداً مختلفة من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كثرت العالمات في المجتمع الإسلامي فيما بعد، فقد ألف الحافظ المزي[173] كتاباً أسماه "تهذيب الكمال في أسماء الرجال"، ثم اختصره وسماه "تهذيب التهذيب"، ثم اختصره وسماه "تقريب التهذيب". في هذا الكتاب الذي هو اختصار اختصار الاختصار، ترجم المؤلف لتسعمائة وأربع وثمانين امرأة عالمة من عالمات السلف الصالح والصحابة والتابعين. وعندما تعلمت المرأة، وغدت فقيهة، عملت بعلمها، وازدادت ثقتها بنفسها، فراحت تنصح الرجال ولا تهاب سلطاناً أو خليفة.

وهذه أم الدرداء الصغرى[174] عندما تتعرض لعبد الملك بن مروان[175] – الخليفة الأموي – وكانت في ضيافته، فتسمعه ذات ليلة دعا خادماً له فكأنه أبطأ عليه فلعنه، فلما أصبح قالت أم الدرداء: سمعتك البارحة لعنت خادمك حين دعوته. فقالت: سمعت أبي الدرداء يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة)[176].

حتى الأمة التي علمها الإسلام ورفع شأنها، استمع لها كبار الرجال وهي تنصحهم وتنطق بالحكمة. وروى الخليفة عبد الملك بن مروان، قال: أجالس بريرة بالمدينة، فكانت تقول لي: يا عبد الله، إني أرى فيك خصالاً، وإنك لخليق أن تلي هذا الأمر، فإن وليته فاحذر الدماء، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[172] هند بنت أبي أمية بن المغيرة، من المهاجرات الأول، وكان آخر من مات من أمهات المؤمنين، لها جملة أحاديث، وكانت تعد من فقهاء الصحابيات. روى عنها السعيد بن مسيب. توفيت سنة تسع وخمسين من ذي القعدة

[173] الحافظ المزي: جمال الدين الحافظ المزي، (654 – 742هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1414هـ - 1994م

[174] هي زوجة أبي الدرداء الثانية، وهي تابعية محدثة فقيهة، تلقت الدروس بالمسجد الأموي بدمشق، وكان يحضر لها عبد الملك أعظم خلفاء بني أمية

[175] عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الخليفة الفقيه أبو الوليد الأموي، ولد سنة 26هـ حدث عن عروة وخالد والزهري. توفي في شوال سنة 86هـ

[176] رواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، (2006/4)، رقم الحديث 2598

يقول: (إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها، بملء محجمه[177] من دم يريقه من مسلم بغير حق)[178].

هكذا درجت المرأة المسلمة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وما بعده، على مختلف أنواع العلوم، وتعلمتها بشغف، ونقلتها بدقة، وروتها بأمانة. وحين كثر الوضاعون والكذابون في الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا كلهم من الرجال. ويكفي المرأة فخراً في الأمانة العلمية أنه ما روي قط أن امرأة كذبت في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول الحافظ الذهبي[179]: ''لم يؤثر عن امرأة أنها كذبت في حديث''[180].

ويقول الشوكاني: ''لم ينقل عن أحد من العلماء بأنه رد خبر امرأة لكونها امرأة، فكم من سنة قد تلقتها الأمة بالقبول من امرأة واحدة من الصحابة، وهذا لا ينكره من له أدنى نصيب من علم السنة''[181].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد)[182].

يشهد لكثرة النساء العالمات الباحثون والأئمة الأربعة والعلماء في عصرنا الحاضر. فما قيل عن المرأة الرسالية الداعية في روايتها للسنة، وتبرئتها من الكذب والتدليس، وإثبات دورها الفقهي في مختلف القضايا، إثبات كامل لها في الحق في التشريع الإسلامي. وهذا هو حال الداعية في المجتمعات الإسلامية اليوم، ففي المساجد وحلقات التلاوة تعلم بنات جيلها وأمهات المسلمين، وتحاول بث الدعوة، بل وفي غير صفوف المسلمين والدعوة إلى الدين الإسلامي.

---

177 المحجمة: الإناء الذي يجمع فيه دم الحجامة. ومعنى الحديث أن الرجل قد توصله أعماله الصالحة إلى الجنة، حتى إذا وصل إلى بابها رد عنها بسبب إراقته لدم مسلم، ولو كان قليلا

178 ابن حجر العسقلاني – الإصابة في تمييز الصحابة – ج4، ص252

179 الحافظ الذهبي: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773 – 852هـ)، تقريب التهذيب، ط1، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع: 1420هـ - 1999م

180 عبد الحليم أبو شقة – تحرير المرأة في عصر الرسالة – ج1، ط4، 1995، ص118. انظر مقدمة الميزان للذهبي بتحقيق أبي الفضل إبراهيم

181 محمد بن علي بن محمد الشوكاني – نيل الأوطار – بيروت،دار الجيل ، ص122

182 البخاري: كتاب الصلح، باب إذا صلحوا على صلح جور فهو مردود، ج6، ص230 – مسلم: كتاب الأقضية، باب الأحكام الباطلة، ج5، ص132

المطلب الثالث

مشاركة المرأة في إرساء قواعد الدين والدولة

من أوجه مشاركة المرأة في أمر الدعوة في صدر الإسلام مبايعتها للرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كفل الإسلام للمرأة حق مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم مثل الرجل تماماً. والبيعة عهد الانتماء لعقيدة التوحيد، وميثاق الولاء لله، وتأكيد العزم على الالتزام بقيم الدين وأخلاقه ومثله. وهي ليست بيعة لشخص المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولكنها لله والدين، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[183].

أي من أقرت بهذا الشرط من المؤمنات يقول لها الرسول صلى الله عليه وسلم قد بايعتك على ذلك، قالت أميمة[184] بنت رقيقة[185]: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في نساء لنبايعه، فأخذ علينا ما في القرآن أن لا نشرك بالله شيئاً حتى بلغ (ولا يعصينك في معروف) فقال: (فيما استطعتن وأطقتن)، فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا يا رسول الله، ألا تصافحنا؟ قال: (إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة)[186].

(ولا يعصينك في معروف) إنما هو شرط شرطه الله للنساء. عن أم سلمة الأنصاري قالت: قالت امرأة من النسوة: ما هذا المعروف الذي لا ينبغي أن لا نعصيك فيه؟ قال: (لا تنحن)، قلت: يا رسول الله إن بني فلان أسعدوني على عمي لا بد لي من قضائهن، فأبى علي فعاودته مراراً، فأذن لي قضائهن، فلم أنح بعد، ولم يبق من النسوة امرأة إلا وقد ناحت غيري[187]. وقالت أم عطية[188]: ما وفت منا امرأة إلا أم سليم، وأم العلاء، وبنت أبي سبرة؛ امرأة معاذ[189].

---

183 سورة الممتحنة، آية 12

184 أميمة بنت رقيقة، أمها رقيقة بنت خويلد بن أسد، أخت خديجة بنت خويلد، وأميمة ابنة خالة أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت من المبايعات، روى عن أميمة محمد بن المنكدر وابنتها حكيمة بنت أميمة

185 صحيح أحمد (459/454/357/6)، والنسائي (141/7)، وابن ماجة (2874)، وصححه الألباني في ابن ماجة

186 الطبري – ج28 (18/35)

187 صحيح الترمذي (3307)، وابن ماجة (1579)، وصححه الألباني

188 البخاري: كتاب المناقب، باب: وفود الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم، ج8، ص222

189 البخاري – كتاب الجنائز – باب ما ينهى عن النوح والبكاء والزجر عن ذلك، ج3، ص240. مسند كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، ج3، ص46

وقد ورد في السنة أن بيعة الرجال كانت أحياناً على وفق بيعة النساء، فعن عبادة ابن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصبة من أصحابه: (تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف)[190].

تحملت المرأة كالرجل تماماً تبعات إيمانها بالإسلام، وتصديقها النبي صلى الله عليه وسلم في بيئة جاهلية قاسية، فقد تعرضت للتعذيب مثل سمية بنت الخياط، حينما كانت تضرب وتوضع الصخرة على صدرها، فما كان منها إلا أن قالت: أحد أحد. وتحملت المرأة الحصار في شعاب مكة، فتلك السيدة خديجة بنت خويلد الداعية الأولى التي قال صلى الله عليه وسلم فيها: (ما قام الإسلام إلا بسيف علي ومال خديجة)[191]. وهاجرت المرأة في سبيل الله طاعة له وحباً لعقيدتها.

هاجرت المرأة مع الرسول صلى الله عليه وسلم، مثل أم كلثوم بنت عقبة[192] التي هاجرت بدينها وفرت به لحاقاً بالرسول صلى الله عليه وسلم. وأيضاً أسماء بنت عميس[193]، وهي من الذين أطلق الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم أصحاب الهجرتين، لأنهم أصحاب السفينة التي كانت تسير فألقتهم السفينة إلى النجاشي بالحبشة، فوجدوا جعفر بن أبي طالب فأقاموا معه حتى قدموا. وأيضاً هاجرت مع الرسول صلى الله عليه وسلم زينب[194] بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والشفاء بنت عبد الله[195]، وصفية بنت عبد المطلب[196] عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسماء بنت أبي بكر[197]، وليلى بنت أبي حثمة العدوية[198]، وغيرهن كثير[199].

---

190 زينب بنت يوسف فواز – الدر المنثور في طبقات ربات الخدور – ص253

191 أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ج5، ص2

192 تم ترجمتها

193 أسماء بنت عميس بنت معد بن الحارث، أسلمت قديماً، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، وهاجرت إلى المدينة

194 زينب بنت محمد صلى الله عليه وسلم، أكبر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفيت سنة ثماني للهجرة، وكان صلى الله عليه وسلم يحبها ويثني عليها. عاشت نحو ثلاثين سنة

195 الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف، أسلمت قديماً ، وهي من المبايعات والمهاجرات الأول. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيل عندها، وكانت ترقي من النملة، وكان عمر رضي الله عنه يقدمها في الرأي ويرضاها

196 صفية بنت عبد المطلب الهاشمية، وهي شقيقة حمزة. قالت: أنا أول امرأة قتلت رجل حينما ضربت اليهودي في الخندق. توفيت سنة 20هـ

وقد كان للمرأة دور عظيم في تأمين هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأبي بكر إلى المدينة، فها هي السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق تنطلق حاملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبيها الزاد والطعام، تقطع قرابة ثلاثة أميال في جوف الليل متخفية وماشية، تقصد جبل ثور، حيث يتخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه، فتوافيهما بالزاد والأخبار. كانت أسماء واسطة الاتصال في أخطر وأعظم رحلة في تاريخ الإسلام؛ رحلة الهجرة التي غيرت مسار التاريخ. ولقد وعت بعقلها النير – على حداثة سنها – خطورة ما تقوم به، ولم تجد ما تستر به الطعام فشقت نطاقها، وربطت السقاء بواحد، والسفرة والطعام بالآخر، فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مبتسماً وقال: (قد أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة). فحملت أسماء بنت أبي بكر ذلك اللقب "ذات النطاقين"[200].

كان للمرأة هجرة إيمانية معنوية بعد صلح الحديبية، إذ عرضت النساء على النبي صلى الله عليه وسلم مرافقته إلى المدينة، وهنا جاء الوحي بأبلغ الآيات، وأدق الأحكام التي أخضعت المرأة لمقاييس التمحيص والتدقيق. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[201].

قال الشوكاني: "لما ذكر الله سبحانه وتعالى حكم فريقي الكافرين في جواز البر والأقساط للفريق الأول دون الفريق الثاني حكم من يظهر الإيمان، فقال: (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) من بين الكفار، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صلح قريشاً يوم الحديبية على أن يرد عليهم

---

[197] أسماء بنت أبي بكر، زوجة الزبير بن العوام، أم عبد الله بن الزبير، وهي ذات النطاقين. ماتت ولها مائة سنة

[198] ليلى بنت أبي حثمة بنت حذيفة بن عامر بن غانم. أسلمت قديماً، وهاجرت إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعها مع زوجها

[199] عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (555 – 630هـ)، مجلد 7، ص162

[200] محمد سعيد مبيض، موسوعة حياة الصحابيات – ط1، توزيع مؤسسة الريان، نشر مكتبة الغزالي، 1421هـ - 2000م

[201] سورة الممتحنة، الآية 10

من جاءهم من المسلمين، فلما هاجر إليه النساء أبى الله أن يردهن إلى المشركين[1]، وأمر بامتحانهن، فقال: (فامتحنوهن) أي اختبروهن، وقد اختلف فيما كان يمتحن به، فقيل: كن يستحلفن بالله ما خرجن من بغض زوج، ولا رغبة من أرض إلى أرض، ولا لالتماس دنيا، بل حباً لله ولرسوله ورغبة في دينه، فإذا حلفت كذلك أعطى النبي صلى الله عليه وسلم زوجها مهراً، وما أنفق عليها ولم يردها إليه. وقيل: الامتحان هو أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وقيل: ما كان الامتحان إلا أن يتلو عليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية، وهي: (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات).

وقوله تعالى: (والله أعلم بإيمانهن) قال الإمام الطبري: ''الله أعلم بإيمان من جاء من النساء مهاجرات إليكم. وقوله: (فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار) أي فإن أقررت عند المحنة بما يصح به عقد الإيمان لهن، والدخول في الإسلام، فلا تردوهن عند ذلك إلى الكفار، وإنما قيل ذلك للمؤمنين، لأن العهد كان قد جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركي قريش في صلح الحديبية أن يردوا المسلمين إلى المشركين من جاءهم مسلماً، فأبطل ذلك الشرط في النساء إذا جئن مؤمنات مهاجرات فامتحن، فوجدهن المسلمون مؤمنات''. فإذا[2] وجدوهن مؤمنات (فلا ترجعوهن إلى الكفار) (لا هن حل لهم، ولا هم يحلون لهن).

قال سيد قطب: 'كان الأمر في أول الهجرة متروكاً بغير نص. لم يكن يفرق بين الزوجة المؤمنة والزوج الكافر، ولا بين الزوج المؤمن والزوجة الكافرة، لأن المجتمع الإسلامي لم يكن قد استقرت قواعده بعد. تتجلى المساواة مع إجراء التفريق مع إجراء التعويض على مقتضى العدل والمساواة، فيرد على الزوج الكافر قيمة ما أنفق من المهر على زوجته المؤمنة التي فارقته تعويضاً للضرر، كما يرد على الزوج المؤمن قيمة ما أنفق من المهر على زوجته الكافرة التي يطلقها من عصمته. وبعد ذلك يحل للمؤمنين نكاح المؤمنات المهاجرات متى ما

[1] الشوكاني – فتح القدير الجامع بين فني الرواية وفن علم التفسير – مرجع سابق، ص305
[2] الطبري – جامع البيان عن تأويل أي القرآن – مرجع سابق، ص68

آتوهن مهورهن، مع خلاف فقهي: هل لهن عدة؟ أم لا عدة للحوامل حتى يضعن حملهن؟ وإذا كانت لهن عدة، فهل عدة المطلقات ثلاثة قروء؟ أم هي عدة استبراء الرحم بحيضة واحدة[202] (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون). وقال: ''وهي لمسة للمؤمنين بالله عميقة الأثر في القلوب، وهكذا تكون تلك الأحكام بالمفاصلة بين الأزواج تطبيقاً واقعياً للتصور الإسلامي عن قيم الحياة وارتباطاتها، وعن وحدة الصف الإسلامي، وتميزه عن سائر الصفوف، وعن إقامة الحياة كلها على أساس العقيدة، وربطها كلها بمحور الإيمان، وإنشاء عالم إنساني تذوب فيه فوارق الجنس واللون واللغة والنسب والأرض، وتبقى شارة واحدة تميز الناس؛ شارة الحزب الذي ينتمون إليه، وهما حزبان اثنان؛ حزب الله وحزب الشيطان''[203].

من مظاهر مشاركة المرأة في الدعوة مشاركتها في الجهاد، بل وأكرمها الله بأن تكون أول شهيدة في الإسلام امرأة؛ وهي سمية بنت الخياط، التي عذبت في رمضاء مكة، وكانت من السباقين للإسلام، قيل إنها كانت سابع سبعة في الإسلام. عذبت أشد العذاب، فقد عذبها آل المغيرة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بعمار وأمه وهم في رمضاء مكة بالأبطح ويقول: (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة)[204].

فالصبر من صفات الداعية، فقد صبرت سمية بنت الخياط على التعذيب، قال مجاهد: ''أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة؛ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق وبلال وخباب وصهيب وسمية، فأما الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فمنعهما قومهما، وأما الآخرون فألبسوا أدراج الحديد ثم صهروا في الشمس، وجاء أبو جهل إلى سمية بنت الخياط فطعنها بحربة فقتلها)[205].

ونجد الترغيب من الوسائل الدعوية، فترغيب الرسول صلى الله عليه وسلم عندما كان يراهم يعذبون ويقول: صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة، فتتذكر

---

[202] سيد قطب – في ظلال القرآن – مرجع سابق، ص3546

[203] سيد قطب – المرجع نفسه، ص3546

[204] كنز العمال، ج13، حديث رقم 3766، ص526

[205] زينب بنت فواز – الدر المنثور في طبقات ربات الخدور – ص253

الداعية سمية ما وعده الله بها من نعيم في الآخرة يكون عوناً لها على الصبر وعلى الأذى.

نجد أن المرأة تقدمت في المعارك، وخير دليل على ذلك السيدة خولة بنت الأزور "الفارس المقنع" التي كانت تتلثم وتحارب دفاعاً عن عقيدة الإسلام. تلك الداعية التي اتخذت طريق الجهاد للتعبير الصادق عن الدعوة والجهاد والمدافعة لنصرة الدين الإسلامي.

وليس هناك أعظم من موقف خولة بنت الأزور[206] التي كانت تتشبه بخالد ابن الوليد في حملاتها[207]. وليس هنالك أعظم مما فعلته في معركة أجنادين، حينما أسر ضرار بن الأزور في واقعة أجنادين، فقد أبلت فيها بلاًء حسناً تقنعت ولم تخرج إلا حدقات العيون حتى أدركت صفوف الروم، وزعزت كتائبهم، وحطمت مواكبهم، فلم تكن تبالي وعظم الروم ما خذل بهم منها، فانقلبوا على أعقابهم. وكانت تجول في كل مكان علها تعرف أين ذهب القوم بأخيها، فلم تر له أثراً، ولا وافق له على خبر. على أنها لم تزل على جهادها حتى استنقذ لها أخوها.

ومن مواقفها الرائعة، موقفها يوم أسر النساء في موقعة صحورا، فقد وقفت في النساء، وكانت قد أسرت معهن، فأخذت تثير نخوتهن، وتضرم نار الحمية في قلوبهن، ولم يكن من السلاح شيء معهن، فقالت: خذن أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب، ونحمل على هؤلاء اللئام، فلعل الله ينصرنا عليهم، فقالت عفراء بنت غفار: والله ما دعيت إلى ما هو أحب إلينا مما ذكرت. ثم تناولت كل واحدة منهن عموداً من أعمدة الخيام، وصحن صيحة واحدة، وألقت خولة على عاتقها عمودها وتتابعت النساء وراءها فقالت لهن خولة: لا ينفك بعضكن عن بعض، وكن كالحلقة الدائرة، ولا تتفرقن، فتهلكن، فيقع بكن التشتيت، وأحطمن رماح القوم، واكسرن سيوفهم. وهجمت خولة، وهجم النساء وراءها، وقاتلت بهن قتال المستيئس، حتى استنقذتهن من أيدي الروم، وخرجت وهي تقول:

---

[206] خولة بنت الأزور: من ربات الشجاعة والفروسية، خرجت مع أخيها ضرار بن الأزور، خلد التاريخ اسمها في سجل الأبطال. توفيت في أواخر خلافة عثمان بن عفان ، عمر رضا كحالة . أعلام النساء – ج3، ط10 ، سوريا ، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع ، 1412هـ-1990م ص46

[207] خير الدين الزركلي - الأعلام – الجزء الثاني، ط 3، لبنان ، دار العالم للملايين ، ص325

نحن بنـات حمير وضربنا في القوم ليس ينكر

لأننا في الحرب نار تستعر اليوم تسقون العذاب الأكبر[208]

وهكذا كانت تتطوع النساء الداعيات، ويحظين بشرف الجهاد، ويخرجن مرات ومرات في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم حتى آخر غزوة غزاها دون لقاءهن الرجال المجاهدين، وتقديم العون لهم. عن أم عطية: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، وأصنع لهم الطعام[209]. وأيضاً في سقي العطشى، قد اتخذت إحداهن خنجراً لتدافع به عن نفسها. عن أنس رضي الله عنه: (أن أم سليم[210] اتخذت يوم حنين خنجراً، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا الخنجر؟ قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه. فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك)[211].

روى ابن حجر[212] قال: هاجرت أم أيمن وحدها؛ لا زاد معها ولا ماء، ماشية على قدميها، فلما أحست بالنصر ودون الدوحاء[213] عطشت وليس معها ماء، فلما أجهدها العطش، دلى عليها من السماء دلو من ماء، برشاء أبيض، فأخذته فشربت حتى رويت، فكانت تقول ما أصابني بعد ذلك عطش، تعرضت للعطش بالصوم بالهواجر فما عطشت[214].

وزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمت قبل زوجها أبي العاص ابن الربيع، وفارقته، وهاجرت إلى المدينة، وصبرت على فراقه؛ وهو الحبيب إلى قلبها حتى أتاها مسلماً بعد خمس سنوات.

---

208 عبد الله عفيفي – المرأة العربية – الجزء الثاني، القاهرة دار الاعتصام: ص96 – 98

209 كتاب الجهاد والسير ، باب النساء الغازيات يرضخ لهن (812/142)، ص1447.

210 أم سليم، ويقال الرميصاء، ويقال سهيلة، ويقال رميثة بنت ملحان بن خالد الأنصارية. شهدت حنين وأحد. من أفاضل النساء. روت 14 حديث، اتفق البخاري ومسلم على حديث، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين ، عمر رضا كحالة . أعلام النساء – ج3، ط10 ، سوريا ، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع ، 1412هـ-1990م ص46

211 كتاب الجهاد والسير (1442/2)، باب غزو النساء مع الرجال، رقم الحديث 1809

212 وائل بن حجر: هو أبو هنيدة الحضرمي، أحد الأشراف. كان سيد قومه، له وفادة وصحبة ورواية. روى له الجماعة سوى البخاري

213 الدوحاء: موضع بين مكة والمدينة

214 أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (773 – 853) – الإصابة في تمييز الصحابة – القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر: (432/4)

ورملة بنت أبي سفيان[215]، هاجرت قبل أبيها بعشرين سنة، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش[216]، وهناك ارتد عن الإسلام وتنصر، ومات في الحبشة، ومع ذلك ثبتت على دينها، وصبرت على مصيبتها في غربتها.

وخرجت المرأة مع أول مهاجر بدينه إلى الله تعالى، فهذه أم سلمة تخرج مع زوجها أبي سلمة مهاجرة إلى الحبشة مرتين على التوالي في؛ الهجرتين الأولى والثانية، ثم خرجت معه إلى المدينة وهو مهاجر إلى الله تعالى، ولكن قومها لحقوا بها وانتزعوها من زوجها وردوها إلى مكة مع طفلها. ثم إن قومها وقوم زوجها اختلفوا في الولد فتجاذبوه حتى خلعت يده أمام أمه، وأخذ منها، فصارت وحيدة في قومها؛ دينها على خلاف دينهم، وزوجها في المدينة، وولدها عند أحمائها[217].

وهذه ليلى بنت أبي حثمة التي هاجرت مع زوجها عامر بن ربيعة إلى الحبشة، عادت وهاجرت معه ثانية إلى المدينة. فكان زوجها ثاني رجل يهاجر بعد أبي سلمة، وكانت هي أول امرأة تصل إلى المدينة؛ مهاجرة في سبيل دينها.

هكذا كانت المرأة ونساء قريش آمن بالله، وأحسن رسول الله، وضحين من أجل الدعوة في سبيل الله بحياتهن وبأهلهن، لذلك استحقت مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: (خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على زوج في ذات يده، وأرعاه لطفل في صغره)[218]. فإذا رأينا صفات المرأة القرشية، وثباتها على الحق، وكيف زادها الإيمان بالله قوة وصلابة ورسوخاً فهمنا لماذا اختار الله تلك المرأة لتحتوي رسالة السماء ورسول السماء.

---

[215] رملة بنت أبي سفيان: أسلمت قبل أبيها بعشرين سنة. أسلمت أم حبيبة في السنوات الأولى للبعثة، بينما أسلم أبو سفيان سنة ثمانية للهجرة؛ عام الفتح. عمر رضا كحالة ـ أعلام النساء – ج3، ط10 ، سوريا ، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع ، 1412هـ–1990م ص46

[216] ابن عبد البر ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب –(404/4)

[217] عبد الحليم محمد أبو شقة –تحرير المرأة في عصر الرسالة – ج1، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع: ص233

[218] البخاري – كتاب النكاح – باب إلى من ينكح وأي النساء خير، ج11، ص26. مسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل نساء قريش، ج7 ، ص182

المبحث الثالث

المرأة في عهد الخلافة الراشدة

ويحتوي علي خمسة مطالب

المطلب الأول: مشاركة المرأة في الحياة العلمية

المطلب الثاني: مشاركة المرأة في الحياة السياسية

المطلب الثالث: السيدة خديجة بنت خويلد

المطلب الرابع: السيدة عائشة بنت أبي بكر

المطلب الخامس: السيدة أم كلثوم بنت عقبة

المطلب الأول

مشاركة المرأة في الحياة العلمية

وفيها ثلاث صور:

1. اعتراضها في مجال التشريع.
2. اعتراضها في مجال السياسة والاجتهاد.
3. اعتراضها في مجال خطأ الحاكم في تصرفه.

1/ في مجال التشريع:

كانت المرأة تحضر مجلس التشريع وتبدي رأيها بقوة، لا أدل على ذلك من قصة المرأة في مجلس عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين كان الخليفة، وأصحاب المشورة أهل الحل والعقد – الذي يقابل اليوم مجلس التشريع وسن القوانين الدستورية – يجتهدون في سن قانون جديد، يحدد فيه مهر المرأة نظراً لتغالي الناس في المهر. واقترح عمر – وهو رئيس المجلس ورئيس الدولة – وأقر الصحابة – وهم أعضاء المجلس الشوري – وكاد يبرم الدستور، فقامت امرأة وقالت: ليس له هذا يا ابن الخطاب[219].

ومن الواضح أن اعتراض المرأة هذا كان في شأن من شئون المرأة والأسرة، وهنا لا بد من أخذ رأي المرأة، لعلها تكون أنفذ بصراً من الرجال في الأحوال التي تخصها.

2/ اعتراض المرأة في مجال السياسة والاجتهاد:

طالما أن للمرأة حرية الكلمة وإبداء الرأي – إن كانت من أهل الرأي – فليس هناك حدود فيما يجوز أن تتكلم به أو لا تتكلم. فطالما لديها رأي سديد؛ ووجهة نظر معقولة، فهي تجد آذاناً صاغية، وقبولاً حسناً عند الناس، ولو كان اعتراضاً على الحاكم في مجال السياسة. فهذه عائشة رضي الله عنها، تعترض على عثمان بن عفان – الخليفة الثالث – في بعض اجتهاداته[220]، حيث قالت

---

219 هذه ليست لك يا ابن الخطاب (إذا اتيتم إحداهن قنطاراً ذهب) كما في قراءة ابن مسعود. قال عمر: "أصابت امرأة وأخطأ عمر" اختلفوا في القنطار

220 اعترضت السيدة عائشة على بعض مواقف الخليفة عثمان رضي الله عنهما. وهذه أعمال الحرية والرأي في الإسلام، وللنهوض بالأمة نحو الأفضل. ولكن اعتراضها لم يبلغ أن تأمر بقتله. وقد نقل الناس كثيراً من الروايات الموضوعة، والتي لا يصح أن تصدر عنها؛ رضي الله عنها

عنه فيما بعد: "والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يستحل دمه، ولقد قتل مظلوماً"[221].

كذلك اعترضت الإمام علي – رضي الله عنه – وسارعت بالمطالبة بدم عثمان. ولبى دعوتها أمهات المؤمنين، وآزرنها في المطالبة بدم عثمان. وكان رأيهن أن تقصد عائشة المدينة، فلما تحولت إلى البصرة تخلين عنها[222].

فقد انتصرت السيدة عائشة للحق من معاوية، حينما قتل حجر بن عدي وأصحابه، فإنه لما حج مر على عائشة فقالت له: "أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه؟"[223].

3/ اعتراضها في مجال خطأ الحاكم في تصرفه:

وهذه أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – تعترض على الحجاج في قتاله لابنها عبد الله بن الزبير – رضي الله عنه – وتخاطبه بأقسى العبارات. روى مسلم أن الحجاج بعدما قتل عبد الله وصلبه، أرسل لأمه أسماء، فأبت أن تأتيه، فأعاد عليها الرسول لتأتين أو لأبعثن من يسحبك بقرونك[224]. قال: فأبت. وقالت: والله لا آتيك حتى تبعث إلي من يسحبني بقروني. قال: فقال: أروني سبتي[225]، فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذف[226] حتى دخل عليها، فقال: كيف رأيتني صنعت بعبد الله؟ قال: رأيتك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك، بلغني أنك تقول له: يا ابن ذات النطاقين، أنا والله ذات النطاقين. أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام لأبي بكر من الدواب، وأما الآخر فنطاق المرأة لا تستغني عنه. أما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً[227]. فأما الكذاب[228] فرأيناه، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه. قال: فقام عنها، ولم يراجعها[229].

---

221 عمر رضا كحالة ـ أعلام النساء – ج3، ط10 ، سوريا ، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع ، 1412هـ-1990م ص46
222 عمر رضا كحالة – المرجع السابق – ص36
223 عمر رضا كحالة .. المرجع السابق - ص121
224 قرونك: جمع قرن، وهو شعر المرأة وضفيرتها
225 سبتي: كل جلد مدبوغ، والمقصود نعله
226 يتوذف: يسرع متبختراً
227 المبير: المهلك، وتشير إلى كثرة قتله
228 الكذاب: هو المختار بن أبي عبيد الثقفي، الذي تنبأ، وحورب هو وأتباعه حتى قتل
229 رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها، وهو في صحيح مسلم بشرح النووي، ج16، ص98

إن المرأة المسلمة نالت حقها في المشاركة السياسية من إفتاء وتصويب قرارات وتصويت، قبل خمسة عشر قرناً من الزمان، دون ضوضاء وثورة، والتي تتأثر من قبل نساء الغرب في المطالبة بحقوقهن السياسية وغيرها، فقد شاركت الشفاء بنت عبد الله العدوية، وعينت ضابطاً للسوق في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – إذاً هي المرأة السياسية الداعية لتثبيت أمر دينها ودعوتها، لأن الدين لا ينفصل عن السياسة.

المطلب الثاني
مشاركة المرأة في الحياة السياسية

لم تكن المرأة غائبة عن الأحداث السياسية، ولم تكن معزولة، إنما كانت حاضرة في المجتمع الإسلامي، تشارك جل نشاطاته. وأول ما ظهرت مشاركة المرأة المسلمة السياسية في بيعة العقبة الثانية، حيث أتت مع الرجال من يثرب إلى مكة لمبايعة النبي صلى الله عليه وسلم. يقول كعب بن مالك[230]: اجتمعنا عند العقبة ثلاثة وسبعين رجلاً، ومعنا امرأتان؛ أم عمارة بنت كعب[231]، وأسماء بنت عمرو[232]. ثم تتابعت النساء يبايعن النبي صلى الله عليه وسلم يوم جاء إلى المدينة، يبايعنه على السمع والطاعة في أمور الدين والدنيا. وقد خرجت نساء المؤمنات من قريش فراراً من الضغط والإكراه الذي مارسه زعماء قريش على حريتهن الدينية، فجئن رسول الله صلى الله عليه وسلم مستسلمات لحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد ثبتت المرأة المهاجرة ولم تتراجع عن دينها، وقال: ''وما نعلم أحداً من المهاجرات ارتدت عن إيمانها''[233].

وأداء المرأة واجب الهجرة عمل أساسي يقوم به المهاجر عندما تضيق به أرضه الأصلية، وتحول بينه وبين أداء واجبات دينه، وبالعمل المنظم لنصرة العقيدة، وليس فراراً إلى أرض لأداء العبادات فقط''[234].

ومن اهتمام الإسلام بالمرأة واحترامها وتقديرها أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يشجعهن على الاستفسار عما يجول بخاطرهن فيما يتعلق بشئون الدين والدنيا، دون أن يكون بينهم قيود[235].

وهنالك مشاهد ومواقف كثيرة جليلة تدل الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال سنته الكريمة، المشتملة على أقواله وأفعاله وتقريراته، على الأمة الإسلامية، بل والبشرية، على احترام المرأة وعدم انتقاصها، لأنها لا تقل عن

---

[230] كعب بن مالك بن كعب: شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خلفوا، فتاب الله عليهم. شهد العقبة. له عدة أحاديث تبلغ الثلاثين. مات سنة 40، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي – سير أعلام النبلاء – ط7، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1410هـ-1990م، (277/2)

[231] نسيبة بنت كعب بن عمرو، المجاهدة، شهدت ليلة العقبة، وشهدت أحد والحديبية ويوم حنين واليمامة. روي لها أحاديث، عمر رضا كحالة – أعلام النساء – الجزء الثالث، الطبعة الخامسة، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1404هـ - 1984م، ص9

[232] أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي بن سواد بن كعب ، من المبايعات تحت العقبة وهي ابنة عم معاذ بن جبل

[233] عبد الحليم محمد أبو شقة – تحرير المرأة في عصر الرسالة – مرجع سابق، ص426

[234] محمد سليم العوة – النظام السياسي للدولة الإسلامية – ص44 – 47

[235] عبد الحليم محمد أبو شقة، المرجع السابق، ص227

الرجل في شيء. وحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على توجيه الأمة ولفت انتابهها للعناية بالمرأة، كونها صانعة الأجيال وصاحبة التضحيات في كل زمان ومكان. فقدمت الأجيال على إيثار الأم بالطاعة والرعاية وتقديم طاعتها على طاعة الأب، اعترافاً من النبي صلى الله عليه وسلم بتضحياتها الجليلة[236].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: (أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من. قال: أبوك، ثم أدناك أدناك)[237].

إن تأكيد الرسول صلى الله عليه وسلم على الامتثال والإحسان للأم دليل قاطع على الاعتراف بدورها المقدس في التربية والإعداد للحياة. وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم كلها عظات وعبر ودروس للأمة، فيواصل تعليمهم وتربيتهم على الوفاء لمن يحسن إليهم فتكون الأم، وكذلك المرضعة صاحبة القدر المعلى. عن أبي الطفيل[238] قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لحماً لجيرانه، إذ أقبلت امرأة حتى دنت من النبي صلى الله عليه وسلم، فبسط لها رداءه، فجلست عليه، فقلت: من هي؟ فقالوا: يا هذا، هي أمه التي أرضعته[239].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستمع إلى النساء، حتى أن مشورة أم سلمة في يوم صلح الحديبية هي التي أنقذت الموقف، بعد أن رفض الصحابة الامتثال لأمره إياهم بالحلق والنحر، فلما أشارت أم سلمة عليه أن يبدأ بنفسه ففعل، تتابعوا يتسابقون في تنفيذ أمره صلى الله عليه وسلم[240].

---

236 أبو شقة، المرجع نفسه، ص227

237 رواه البخاري: كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، ج13، ص4، رقم الحديث في فتح الباري 597

238 أبو الطفيل: هو عامر بن واثلة الكناني كان من شيعة الإمام علي، مولده بعد الهجرة. روى عن أبي بكر وعمر

239 أم أيمن الحبشية: هي مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته، ورثها من أبيه ثم أعتقها

240 ابن سعد – الطبقات الكبرى – (224/1)، مرجع سابق، ص 232

المطلب الثالث

السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها[241]

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. ولدت بمكة سنة 68 قبل الهجرة[242].

تعتبر السيد خديجة بنت خويلد رائدة النضال الأولى للمرأة الرسالية في دولة النبوة، لأنها أول من ضحى في سبيل العقيدة بلا حدود، وأعطت نساء العالم بشكل عام، ولنساء دولة النبوة بشكل خاص، عبر تعاقب الأجيال، النموذج الأمثل للتضحية من أجل نصرة العقيدة والسمو بها على كل الماديات. وتعتبر سيرتها بعد زواجها من النبي صلى الله عليه وسلم ترجمة عملية لإثبات هذا الدور.

رفضت حياة الترف والنعيم، واختارت الحياة الخشنة المليئة بالآلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن آمن به، لأنها فضلت الخلود في الدارين، فاستحقت أن تكون واحدة من سيدات نساء العالمين[243]. هي سيدة قريش، والمسلمة الأولى، وأم المؤمنين الأولى، وإحدى سيدات نساء العالمين، وجدة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام. وقد شاء الله أن تكون رفيقة درب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته الزوجية والرسالية، فكانت الزوجة والأم والصديقة

---

[241] خديجة بنت خويلد: إن خديجة من نعم الله الجليلة على محمد صلى الله عليه وسلم، فقد زارته في أحرج الأوقات، وأعانته على إبلاغ رسالته، وشاركته مغارم الجهاد المر، وواسته بنفسها ومالها. وإنك لتحس قدر هذه النعمة عندما تعلم أن من زوجات الأنبياء من خن الرسالة وكفرن برجالهن، وكن مع المشركين من قومهم وظهيراً على الله ورسله. قال الله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) [آية 10، سورة التحريم]. أما خديجة، فهي صديقة النساء. حنت على زوجها ساعة قلق، وكانت نسمة سلام وبر، رطبت جبينه المتصبب من آثار الوحي، وبقيت ربع قرن معه، تحترم قبل الرسالة تأمله وعزلته وشمائله، وتحملت بعد الرسالة كيد الخصوم، وآلام الحصار، ومتاعب الدعوة. وماتت والرسول صلى الله عليه وسلم في الخمسين من عمره، وهي تجاوز الخامسة والستين. وقد أخلص لذكراها طويلاً [محمد الغزالي – فقه السيرة – طبع إدارة إحياء التراث الإسلامي: قطر، ص133].

[242] عز الدين بن الأثير أبي الحسن بن علي بن محمد الجزري (555هـ - 630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، المجلد السادس، دار الفكر للنشر والتوزيع ص78،

[243] سعيد هاشم – دور المرأة الرسالية في دولة النبوة – الطبعة الأولى، لندن، مؤسسة الفجر: 1417هـ - 1996م، ص44

ورفيقة النضال الرسالي، من أجل الحق وتثبيت حكم الله في الأرض. وكانت تعرف بالطاهرة وسيدة نساء قريش[244].

كان لهذه السيد الجليلة أكبر الفضل، وأعظم الأثر في الترويح عن زوجها ومساندته على استقبال رسالة السماء. فلم تشغله بنفسها، ولم تضايقه بطلباتها، ولم تتذمر من قلة إقامته إلى جوارها. وحملت عنه مسئولية البيت، وأغنته عن طلب المعاش، حتى يكون مع ربه في خلوته ومحنته. وكانت تشجعه بالثبات والصبر في لحظات الخوف وهو يتلقى أمر الله وكلماته، فكانت مواساتها ومواقفها المخلصة مصدر دعم ومساندة واعتزاز بهذه الزوجة العظيمة، التي كان زواجه بها من متطلبات مهمته الرسالية، والتمهيد لنجاحها[245].

كانت خديجة أم المؤمنين قدوة صالحة في إيمانها وثباتها وصبرها وتصبيرها لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الحافظ ابن حجر في فضل خديجة بنت خويلد رضي الله عنها: ''إنها أول من أجاب إلى الإسلام، ودعا إليه، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعان على ثبوته بالنفس والمال والتوجه التام، فلها مثل أجر من جاء بعدها، ولا يقدر قدر ذلك إلا الله''[246].

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله بشر خديجة ببيت في الجنة من قصب[247] لا صخب فيه ولا نصب[248].

تحدثت الدكتورة بنت الشاطئ بشأن تفاني السيدة خديجة في سبيل زوجها ومساندته في دعوته قائلة: ''هل كان لزوجة عداها أن تستقبل دعوته التاريخية من غار حراء بمثل ما استقبلته هي به من حنان مستثار، وعطف فياض، وإيمان قوي، دون أن يساورها في صدقه أدنى ريب، أو يتخلى عنها يقينها في أن الله غير مخزيه أبداً؟ وهل كان في طاقة سيدة غير خديجة غنية مترفة منعمة، أن تتخلى راضية عن كل ما ألفت من راحة ورخاء، وتقبل على أقدح ألوان

---

[244] جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي، (510-597هـ)- صفة الصفوة – لمجلد الثاني ط1، حلب، دار الوعد، جمادي الأولى 1323 هـ ص7

[245] الذهبي – تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) – الجزء الثاني، ص63

[246] ابن حجر – فتح الباري – مرجع سابق، (182/1)

[247] القصب: لؤلؤ مجوف واسعة. الصخب: الصياح والمنازعة، النصب: التعب

[248] تحفة الأحوزي، أبواب المناقب، فضل خديجة رضي الله عنها، رقم الحديث 3979: 387/10. قال الترمذي: حديث صحيح وقال الحافظ أبو العلي صاحب تحفة الأحوزي - أخرجه الشيخان - أسد الغابة، ص83

العذاب، وصنوف الاضطهاد في سبيل ما تؤمن بأنه الحق. كلا، بل هي وحدها – ولا امرأة غيرها – التي أعدتها لتملأ حياة الرجل الموعود بالنبوة، وتكون لليتيم أماً، وللبطل ملهمة، وللمجاهد ملاذاً وسكناً، وللنبي المبعوث ثقة وطمأنينة وسلاماً "[249].

كانت السيدة خديجة شريكة زوجها في حصار الشعب وأهوال الحصار، فلم تتردد لحظة عن البذل والتضحيات، فتخلت عن دارها، والتحقت بنساء بني هاشم وبني عبد المطلب، مؤمنة بأن النصر في النهاية سيكون حليف المؤمنين والصابرين على الأذى في سبيل الله. وأقامت معه طوال فترات الحصار، وقاست مرارة الجوع والحرمان. صمدت تعزز محمداً صلى الله عليه وسلم وأتباعه، متحدية قريش وأتباعهم[250].

لقد تخلت السيد خديجة عن كل متاع الدنيا، وصبرت على شظف العيش؛ وقوة الحياة، وهي سليلة مجد؛ وربيبة نعمة، من أجل إحقاق الحق، ونصرة أتباعه، وهزيمة الشرك والمشركين[251]. عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (أتى جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت، ومعها إناء فيه أدم أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب؛ لا صخب فيه ولا نصب. فأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم السيدة خديجة بما قال جبريل، فردت رداً حكيماً، ينم عن كمال العقل، فقالت: الله هو السلام، وعلى جبريل السلام)[252].

مرضت السيدة خديجة في الشعب، ثم غلب عليها المرض والضعف بعد خروجها، فلم تمكث سوى فترة قصيرة، ودعت الدنيا راضية مرضية. فقام الرسول صلى الله عليه وسلم بدفنها في منطقة الحجون، ونزل معها في قبرها[253].

---

249 بنت الشاطئ – تراجم سيدات بيت النبوة –عن يماني، القاهرة ، ص67
250 سعيد هاشم – دور المرأة الرسالية في دولة النبوة – : لندن، مؤسسة الفجرص54
251 سعيد هاشم – دور المرأة الرسالية في دولة النبوة - مرجع سابق، ص54
252 أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب تزويج النبي خديجة وفضلها رضي الله عنها، مجلد 5، (120/5) - وأخرجه مسلم بشرح الإمام النووي (15/199)
253 يماني - تراجم سيدات بيت النبوة – ص70

وبكاها رسول اللهصلى الله عليه وسلم كما لم يبك أحداً أبداً، فقد كانت له الزوجة والحبيبة والصديقة والأم. ومما ضاعف أحزانه – صلى الله عليه وسلم – أنه فقد عمه أبا طالب أيضاً في نفس العام، فكان عاماً حزيناً؛ فسمي عام الحزن، لأنه فقد برحيلهما أكبر نصيرين، قل أن يجود الزمان بمثلهما[254].

[254] البيهقي – دلائل النبوة – (352/2) – ابن اسحق – السير والمغازي – ص243 – الحاكم – المستدرك – (182/3)

المطلب الرابع

السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما[255]

هي عائشة بنت أبي بكر الصديق، الصديقة بنت الصديق، أم المؤمنين، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأشهر نسائه. أمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس[256].

تكنى أم عبد الله. كناها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قالت: إن النساء قد اكتنين، فكنني. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تكني بابنك عبد الله)، يعني ابن الزبير لأنها حنكته لما ولد بتمرة. وتسمى أيضاً الحميراء؛ لغلبة البياض على لونها[257].

عن القاسم بن محمد، عن عائشة، قالت: فضلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعشر. قيل: ما هي يا أم المؤمنين؟ قالت: لم ينكح بكراً قط غيري، ولم تنكح امرأة وأبواها مهاجران غيري، وأنزل الله عز وجل براءتي من السماء، وجاءه جبريل بصورتي من السماء في حريرية وقال: "تزوجها، فإنها امرأتك"، وقبض الله على نفسه وهو بين سحري ونحري، ومات في الليلة التي كان يدور علي فيها، ودفن في بيتي[258].

... الشعبي[259] يحدث عن مسروق[260] قال: كان إذا حدث عن عائشة أم المؤمنين يقول: حدثتني الصادقة المصدوقة بنت الصديق المبرأة كذا وكذا. وقال غيره في هذا الحديث حبيبة حبيب الله.

عن مسروق أن امرأة قالت لعائشة: يا أمه. فقالت: لست بأمك، أنا أم رجالكم[261].

عن مسروق قالت لي عائشة: لقد رأيت جبريل واقفاً في حجرتي هذه على فرس، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناجيه. قلت: يا رسول الله، من هذا الذي

---

[255] كبرى محدثات عصرها، نابغة في الذكاء والفصاحة والبلاغة، فكانت علماً كبيراً وذات تأثير عميق في نشر تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم. ولدت بمكة في السنة الثامنة أو نحوها قبل الهجرة: شرح البخاري للعجلوني، وفتح الباري لابن حجر

[256] عز الدين بن الأثير (ابو الحسن علي بن محمد الجزري) – أسد الغابة في معرفة الصحابة – مرجع سابق، ص188

[257] عمر رضا كحالة – اعلام النساء – الجزء الثالث، الطبعة الخامسة، بيروت، مؤسسة الرسالة: 1404هـ - 1984م، ص9

[258] محمد سعيد مبيض، موسوعة حياة الصحابيات، مرجع سابق ، ص524 – مسلم في صحيحه، ج7، ص135، 139

[259] الشعبي: عامر بن شرحبيل، علامة العصر، مولده في عهد عمر، توفي سنة أربعمائة، وقد بلغ مئتين وثمانين سنة

[260] مسروق بن أجدع، أبو عائشة الوادعي، بن مالك بن أمية. ثقة، له احاديث صالحة

[261] الطبقات الكبرى لابن سعد (63/8، 64)

رأيتك تناجيه؟ قال: (وهل رأيته؟ قلت: نعم. قال: فيمن شبهته؟ قالت: دحية الكلبي. قال: لقد رأيت خيراً كثيراً، ذلك جبريل. قالت: فما لبثت إلا يسيراً حتى قال: يا عائشة، هذا جبريل يقرأ عليك السلام. قلت: وعليه السلام. قال: جزاءه الله من دخيل خيراً)[262].

أعطت السيدة عائشة الدعوة من جوانب عدة، تحققت من الأمانة في أوجه كثيرة، خدمت في ميدان الجهاد. وفي الصحاح[263]: عن أنس رضي الله عنه إنه لما كان يوم أحد، انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم، فرأى عائشة بنت أبي بكر وأم سليم مشمرتان، تنقلان القرب على ظهورهما، ثم تفرغانها في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملأنها، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم[264].

وساهمت رضي الله عنها في الجانب العلمي، فحفظت الكثير من النصوص الإسلامية، وساهمت – رضي الله عنها – في تطوير الدستور الإسلامي، لما كانت تتلقاه عن زوجها المصطفى عليه السلام. يقول الأستاذ العقاد[265]: ''فحسبها أنها روت عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من 2000 حديث في مختلف المسائل التي تدخل فيها الأحكام الشرعية، والعظات الخلقية، والآداب النفسية، التي يرجع إليها في الدين والعبادة. بل حسبها أن يثبت لها عشر هذا العدد من الأحاديث ليثبت لها أنها كانت تفهم وتعي وتحسن الحفظ فيما تنقله بحروفه، كما كانت تحسن التعبير فيما تحكيه بكلامها. وأنها تحيط في فهمها وحفظها كلما أحاطت به تلك الأحاديث من المعارض والمناسبات.

ومع هذا يروي الثقات إنها كانت تحفظ وتفقه وتفسر، ولا يقتصر علمها على وعي الكلمات والعبارات[266].

كانت السيدة عائشة عالمة وفقيهة بأمور الدين، وتروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. عن أبي موسى قال: (ما أشكل علينا أصحاب رسول الله

---

262 صحيح البخاري – كتاب الأدب –باب من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفا، قال أبو حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه: يا أبا هر، (8/8)، رقم الحديث 223 بلفظه

263 نقلا عن مجلة الأزهر، شعبان 1376هـ ص717

264 مسلم – كتاب الجهاد والسير – باب غزو النساء مع الرجال (1443 – 1811)

265 عبد الحميد إبراهيم محمد – المرأة في الإسلام – مطابع الدار القومية للطباعة والنشر، ص113

266 عبد الحميد إبراهيم محمد – المرأة في الإسلام – مطابع الدار القومية للطباعة والنشر، ص113

صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً)[267].
وعن عروة ابن الزبير إنه يقول لعائشة: (يا أمتاه، لا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس، أقول ابنة أبي بكر – وكان من أعلم الناس بها – ولكن أعجب من علمك بالطب؛ كيف هو ومن أين هو؟ قال: فضربت على منكبيه وقالت: أيا عرينة، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسقم عند آخر عمره، وكانت تقدم عليه وفود العرب من كل جهة، فتنعت له الأنعات، وكنت أعالجها فمن ثم)[268].

وفي "شرح الزرقاني" و"فتح الباري" أن عائشة كانت فقيهة جداً، حتى قيل إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها. وقال الذهبي: ''إن عائشة أفقه نساء الأمة''[269].

روي لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف وعشرة أحاديث، اتفق منها على مائة وأربعة وسبعون، انفرد البخاري بأربعة وخمسين، ومسلم بثمانية وستين. وقال الإمام الزهري[270]: ''لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وجميع النساء، لكان علم عائشة أفضل''[271].

ولكن الحق الذي لا مراء فيه أن المسلمين قد عرفوا الكثير عن أمر نبيهم ولمر دينهم من أحاديث عائشة عن زوجها المحبوب عليه السلام. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعين بها في شرح ما يتعلق بشئون المرأة. وما زالت – رضي الله عنها – تعي سنن النبي صلى الله عليه وسلم في المسائل النسائية وغير النسائية حتى احتاج الرجال أن يسألوها ويرجعوا إليها في كل ما تراجع فيه السنة النبوية من شئون عامة وخاصة. ومن أهم المسائل التي روجعت فيها أن معاوية كتب إليها لتوصيه وترشده، فأرسلت إليه تقول: سلام عليك. أما بعد، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من التمس رضاء الله بسخط

---

[267] سنن الترمذي – كتاب فضائل القرآن – باب ما جاء في سورة آل عمران (3883/161)
[268] مجمع الزوائد (مجلد 9)، ص243
[269] المستدرك على الصحيحين (11/4)
[270] الزهري: الإمام العلم محمد بن مسلم، حافظ زمانه، روى عن ابن عمر. مات لسبع عشر ستة خلت من رمضان سنة أربع وعشر
[271] المستدرك على الصحيحين – كتاب معرفة الصحابة – ج4، ص11

الناس، كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله، أوكله الله إلى الناس)[272].

من مناقب عائشة رضي الله عنها أنها كانت صوامة قوامة، إذ كانت تصوم الدهر، فلا تفطر إلا يومين؛ يوم عيد الفطر، ويوم عيد الأضحى. وكانت كثيرة الصلاة والصيام والقيام[273]. وحسبها قول النبي صلى الله عليه وسلم فيها: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)[274]. كانت آية من آيات الله في الزهد والورع والتقوى. وكانت شديدة الحياء.

قال ابن سعد: ''توفيت عائشة ليلة الثلاثاء لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة 58، وصلى عليها أبو هريرة''[275].

---

272 العجلوني – كشف الخفا ومزيل الألباس – ج1، (1/98)
273 د. السيد الجميلي – نساء حول الرسول – بدون طبعة، ص62
274 أخرجه الإمام أحمد، عن أنس، انظر المسند: 156/3، 264
275 عز الدين بن الأثير – أسد الغابة في معرفة الصحابة – مرجع سابق، ص284

المطلب الخامس

السيدة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط[276]

أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط بن أبي أمية بن عبد شمس، القرشية الأموية. أخت الوليد بن عقبة. واسم أبي معيط أبان، واسم أبي عمرو وزكوان، وأمها أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. عمة عبد الله بن عامر، وهي أخت عثمان بن عفان[277].

صحابية جليلة، سجل لها في التاريخ نفحة من نفحات الخلود حيث أكرمها الله بالإسلام، شرح الله صدرها للإسلام، فأسلمت. ورأت بعينها وعاينت بنفسها صرخات المتألمين، وآهات المعذبين تحت سياط وضربات قريش، فلم يهتز إيمانها، ولا تزعزع بخوف أو وجل. لكن أنى لها وهي امرأة وحيدة؛ لا زوج لها، ولا أهل مسلمين يعينونها على اللحاق برسول الله إلى دولة الحق والإيمان.

كتمت إيمانها، وحملت في قلبها الأمل بالله عز وجل بأن يعينها على الفرار بدينها من دولة الباطل وحزبه، إلى مدينة النور والإيمان. وجاء يوم اقترب رسول الله من مكة، فخفق قلبها[278].

تربت السيدة أم كلثوم تربية جيدة، وتعلمت اتخاذ القرار الصعب، ونمت فيها العزيمة، فأصبحت امرأة قوية لا تخاف ولا تخشى أحداً إذا كانت على الحق، ولكنها تعلمت أن تطيل الصمت وتقل الكلام، ولا تتخذ أي خطوة قبل أن تحسب لها ألف حساب[279].

خرجت أم كلثوم للهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي وحيدة؛ لا أنيس لها، تريد المدينة. وصحبت رجلاً من خزاعة كانت قد اتفقت معه بعد أن بلغها إسلامه، فاتفقا على الهجرة. وقدمت أم كلثوم على رسول الله صلى الله

---

276 ترجم لها ، مهاجرة جليلة أسلمت بمكة وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة وخرجت في هدنة الحديبية، وكانت أول من هاجر من النساء لا يعرف قرشية خرجت من بيت أبويها مثل مهاجرة سواها (عمر رضا كحالة ، أعلام النساء ، الطبعة العاشرة ، سوريا، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع ، بيروت، 1412هـ-1991م)

277 عز الدين بن الأثير – أسد الغابة في معرفة الصحابة – مرجع سابق، ص386

278 عبد الله بدران و ومحي الدين بوابيجي – سمير المؤمنات وأنيس الصالحات – مرجع سابق، ص10

279 محمد عبده – نساء حول الرسول -المنصورة، مكتبة الإيمان ص9

عليه وسلم في المدينة فراراً بدينها ومن ظلم المشركين وكفرهم[280]. وما كادت تحط رحالها بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركها أخواها – عمارة والوليد – ابنا عقبة ابن أبي معيط، فدخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالا: يا محمد، أعد لنا أختنا أم كلثوم، ردها إلينا، فهناك شروط متفق عليها بيننا وبينكم، وأنت من تعلم لا تنقض عهداً، ولا تخلف وعداً. فقالت أم كلثوم: يا رسول الله، أنا امرأة، وحال النساء إلى الضعف، فأخشى أن يفتنوني في ديني، ولا صبر لي على ذلك. فنزل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[281]. فقضى الله العهد في النساء فاستثناهن. وكان الامتحان لأم كلثوم التي كانت الممتحنة الأولى. لقد خرجت حباً لله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم، وطلباً للإسلام؛ لا حباً لزوج ولا لمال، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للنساء: (الله ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام، أما خرجتن لزوج ولا مال، فإذا قلن ذلك لم يرجعن إلى الكفار).

وتقدم لتلك المهاجرة العظيمة زيد بن حارثة – رضي الله عنه – وتزوجها. واستشهد زيد، وتزوجها عبد الرحمن بن عوف، وبعد وفاته تزوجها عمرو ابن العاص.

إنها امرأة آمنت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، فباعت كل شيء وهاجرت في سبيل ذلك. إنها مثال في الإيمان والعقيدة. ومثالاً صادقاً على الإخلاص لله عز وجل. لم يهدأ لها بال وهي تعيش وسط بيئة الكفر والشرك في مكة، وما فكرت بضعفها ولا بحياتها كامرأة لا معين لها، بل قررت أن تخرج في سبيل الله، حيث العلم والإيمان والمعلم، فكانت صادقة

---

[280] ابن سعد – الطبقات الكبرى – مرجع سابق، ص230

[281] سورة الممتحنة، آية 10

مخلصة عظيمة. لأجل ذلك استحقت أن تكون ممتحنة، وأن ينزل بها إنصاف واستثناء من الله عز وجل، بأن لا تعود إلى الكفار، فالله تكفل برعايتها. رحم الله المؤمنة المهاجرة، فقد كانت قدوة في التضحية والصبر والثبات[282].

روت عشرة أحاديث في سند بقي بن مخلد في الصحيحين حديث واحد. روى عنها ابناها حميد وإبراهيم، وبسرة بنت صفوان. روى لها الجماعة، سوى ابن ماجة. وساق أخبارها ابن سعد وغيره[283]. توفيت في خلافة علي رضي الله عنه.

خديجة وعائشة رضي الله عنهما مثالان كافيان لبيان مدى تأثير الدعوة في نفوس المؤمنات، ومدى تفاني هؤلاء في الدعوة، وحرصهن عليها. ومن العجيب أن هذين المثلين ليسا بنادرين، فكل أمهات المؤمنين حاولن أن يرتفعن إلى مستوى المنزلة التي أرادها لهن الإسلام، وأن يعملن بجدارة تستحق كل الحقوق الجديدة التي أضيفت إلى شخصية المرأة[284]. ومن الأعجب أن المسلمات الأخريات كن يتطلعن باستمرار وبإلحاح لهذا المثل الأعلى، فكن يحتضن الدعوة؛ ويحرصن على نجاحها ونجاح أهدافها ومبادئها وتحقيق غاياتها، التي تتلخص في احترام الإنسان، والاعتراف بشخصيته، والعمل على حريته، وتحقيق وجوده.

ففي الفترة الأولى التي كان المسلمون فيها بمكة، يجدون في تأسيس الدعوة؛ وتوطيد أركانها، كان للمسلمات نصيبهن الموفور في هذا الجد. وحين فر المسلمون بإيمانهم إلى الحبشة، كان عددهم نيف وثمانين؛ من بينهم ثمانية عشر امرأة. وكانت المرأة تدعو إلى هذا الدين؛ وتحرص على نشره، فالتاريخ يحدثنا أن عمر ابن الخطاب؛ الذي أعز الله به الإسلام، كان السبب في إيمانه أخته فاطمة[285] بنت الخطاب[286].

---

[282] شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي – سير أعلام النبلاء – ط7، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1410هـ-1990م، (277/2)

[283] عبد الله بدران ومحي الدين بولبجي – سمير المؤمنات وأنيس الصالحات – مرجع سابق، ص92

[284] عبد الحميد إبراهيم – المرأة في الإسلام – مرجع سابق، ص115

[285] فاطمة بنت الخطاب: أخت عمر، أسلمت قبل أخيها، زوجة سعيد بن زيد

[286] ابن حجر العسقلاني – الإصابة في تمييز الصحابة – مرجع سابق، ص310

الفصل الثاني
دور المرأة الدعوي في حركة الأخوان المسلمين

المبحث الأول

نشأة وأهداف حركة الأخوان المسلمين

ويحتوي علي ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مؤسس الحركة

المطلب الثاني: أهداف الحركة

المطلب الثالث: تقييم عام للحركة

المطلب الأول
مؤسس الحركة

أسسها الشيخ حسن البنا، الذي ولد في المحمودية[1] بمصر (1324هـ – 1906م). ونشأ البنا في بيت عريق في العلم والدين، فلقد قام والده أحمد عبد الرحمن البنا بترتيب مسند الإمام أحمد على 3 أبواب الفقه، مما يسر لطلبة العلم أن يستفيدوا من التراث الضخم، فجاء الكتاب في 24 مجلد وله كتب أخرى في الحديث مثل "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الإمام الشافعي والسنن"، وكذلك "منحة المعبود في ترتيب الطيالسي ابن داوود".

كان والده يعمل في تصليح الساعات وسمي بالساعاتي. يتميز بالزهد؛ ويبدو هذا جلياً عندما تزور دار الحديث، حيث كانت الدار هي البيت الذي عاش فيه والد الإمام الشهيد، ولا زالت أرضيتها الترابية شاهدة على زهده ومكتبته التي لا تعدو ألواحها خشبية غير مدهونة[2].

في هذا الجو نشأ حسن البنا وترعرع، فتميز بطابع الشغف العلمي والورع والزهد. وبدأت ملامح الذكاء عليه منذ الصغر. وكان يداوم على قيام الليل وصيام الاثنين والخميس. حفظ نصف القرآن الكريم صغيراً، ثم أتمه عندما ناهز الاحتلام. وكانت تلمح في قسمات وجه الحزن والألم الذي يضج في صدره على المسلمين وحالهم، وكانت غيرته أحياناً تدفعه لتغيير بعض المنكرات بيده، فقد رأي ذات يوم باخرة ترسو في الميناء ويبدو من داخلها تمثال، فحمل فأسا ودخل الباخرة ليحطمه[3]. ولقد شفت روحه؛ وصفت نفسه، من خلال تقربه بالنوافل، وممارسته العمل الإسلامي على مستواه كطالب، فألف جمعية في المدرسة سماها محاربة المنكرات، وكان يتولى إرسال الرسائل إلى بعض الشخصيات ينصحها مغفلاً الاسم. تخرج من الثانوية وكان ترتيبه الخامس بين جميع طلبة مصر، ودخل دار العلوم[4]، وتقدم لامتحانها النهائي يحفظ 18 ألف بيت شعر ومثلها من النثر. تخرج من دار العلوم بتفوق لا نظير له، اذ كان الأول في دار العلوم، وقامت بينه وبين وزير المعارف مشكلة حول

---

[1] المحمودية: تبعد 90 ميلا شمال غرب القاهرة. الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة ط2،الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1409هـ - 1989م، ص25

[2] د. صادق أمين – الدعوة الاسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية – مؤسسة مصري للتوزيع، ص103

[3] د. عباس السيسي – حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية – الإسكندرية ، دار القبس: 1982م

[4] حسن البنا – مذكرات الدعوة والداعية – ط4، بيروت، دار التوزيع والنشر الإسلامية: 1968م ص 49

لبس الجبة والعمامة، فأصر الوزير علي خلعها، وأصر البنا على لبسها، ونجح البنا في موقفه الصلب. تعين البنا مدرساً في إحدى مدارس الإسماعيلية، حيث تجتمع القوات البريطانية، ولا يبدو على الإسماعيلية سوي الطراز الأوربي؛ فكأنها حي من أحياء لندن، ومعظم أهلها عمال مع شركة قناة السويس البريطانية. كان البنا يرى الإنجليز وقد أذلوا الشعب المصري، ويشاهد العمال كأنهم عبيد.

في سبتمبر سنة 1927م توجه الشاب حسن البنا إلى الإسماعيلية ليبدأ عمله كمدرس في مدرستها الابتدائية. ومنذ الأيام الأولى له في الإسماعيلية بدأ يحقق ما تمناه في سلك طريق التعليم والإرشاد[5].

مما يدهش له أنه اختار المقاهي لا المساجد ميداناً لدعوته. ولم تكن تجربته الأولى التي خرج فيها للوعظ والإرشاد بالمقاهي، فقد سبق له أن خاض هذه التجربة في القاهرة، حينما كان طالباً بدار العلوم. ولقيت نجاحاً وإعجاباً عزم بعده على الاستمرار في الكفاح بنفس الأسلوب[6].

تأثر الوعظ في المساجد بالخلافات الحزبية والفكرية القائمة، في وقت كان يريد فيه الشيخ أن يتصل بالجميع، وأن يلم شتات الجميع، فاختار أن يتحدث إلى رواد المقاهي[7].

كما تميزت الدعوة بخروجها عن المسجد، تميزت بأسلوب فريد؛ تحرى فيه الداعية الدقة في اختيار الموضوعات المناسبة العامة التي تذكر الناس بالله واليوم الآخر، ولا يتناول المنكرات والآثام التي يعكف هؤلاء الجالسون بلوم أو تضييق، ولكنه يقنع بأن يدع شيئاً من التأثير في هذه النفوس وكفى. وقد عرض ذلك بأسلوب جذاب في وقت قصير؛ لا يؤدي إلى الملل[8]، وكان لذلك أثره في مجتمع الإسماعيلية، فقد أخذ الناس يتحدثون ويتساءلون، وأقبلوا على هذه المقاهي ينتظرون، وأخذوا يفكرون بما يجب أن يفعلوه ليقوموا بحق الله عليهم؛ وليؤدوا واجبهم نحو دينهم

[5] مذكرات الدعوة والداعية (حسن البنا - ص50)، نقلا من مرجع الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية – زكريا سليمان، ط1، 1399هـ - مارس 1979م، ص78

[6] حسن البناء مرجع سابق ، ص47

[7] حسن البنا مرجع سابق، ص12 / د. عبد العظيم رمضان – تطور الحركة الوطنية في مصر ، ج1، 1937م – 1948م، ص297 / طارق البشري، المرجع السابق ص43

[8] حسن البنا - مذكرات الدعوة والداعية ، مرجع سابق - ص62

أمتهم، وكان يجيبهم إجابات غير قاطعة؛ جذباً لانتباهم واستدعاءً لقلوبهم، وعلل ذلك أنه انتظار للفرص السانحة وتهيئة للنفوس الجامحة[9].

كان من الضروري أن ينتقل البنا بهذه النفوس الجامحة إلى الاستقرار، ويدعوته من العمومية إلى التركيز، ومن المحاضرات العامة إلى رسم الطريق الذي يجب أن يسلكوه، ومن المقاهي إلى مقر جديد له زاوية نائية حيث علمهم – وبطريقة علمية – إقامة الشعائر والابتعاد بالتدرج عن المكيفات. لم يعمد في ذلك إلى نظريات فلسفية أو أقيسة منطقية، وانما كان عماده على الأسلوب السلس الواضح من أجل بناء عقيدة صالحة تبدل هذه العقيدة الفاسدة[10]. وقد شرع البنا في بث آرائه في مجتمع الإسماعيلية، وكان ينتظر ردود الفعل لكي يتبين اتجاهات الناس ثم يكيف خطته مع هذه الظروف. وقد استفاد إلى حد كبير من هذه الدراسة التطبيقية، كما استطاع بذكائه أن يحدد العوامل المؤثرة في المجتمع.

[9] حسن البنا – المرجع نفسه – ص63

[10] د. صادق امين – الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية – مرجع سابق، ص112

المطلب الثاني
أهداف الحركة

يقول الشيخ حسن البنا: "لسنا حزباً سياسياً – وإن كانت السياسة على قواعد الإسلام من صميم فكرتنا – ولسنا جمعية خيرية إصلاحية، ولسنا فرقة رياضية؛ ولكننا فكرة وعقيدة، ونظام ومنهاج؛ لا يحدده موضع، ولا يقيده جنس، ولا يقف دونه حاجز جغرافي، ولا ينتهي بأمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك لأنه نظام رب العالمين ومنهاج رسوله الأمين. نحن – ولا فخر – أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحملة رايته من بعده، ورافعو لوائه كما رفعوه، وناشروا لوائه كما نشروه، وحافظوا قرآنه كما حفظوه، والمبشرون بدعوته كما بشروا ورحمة للعالمين (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ)"[11].

ويقول: "أيها الأخوان إني مزهو بهذه الوحدة الإخوانية الصافية ، فخور بهذا الرباط الرباني القوي المتين، عظيم الأمل في المستقبل ما دمتم كذلك إخوة في الله، متحابين متعاونين، فاحرصوا على هذه الوحدة لأنها سلاحكم وعدتكم."[12].

ويقول: "أول واجباتنا – نحن الأخوان – نبين للناس حدود هذا الإسلام واضحة كاملة بينه؛ لا زيادة فيها، ولا نقص بها ولا لبس معها، وذلك هو الجزء النظري من فكرتنا. وأن نطالبهم بتحقيقها، ونحملهم علي إنفاذها، ونأخذهم بالعمل بها، وذلك هو الجزء العملي من هذه الفكرة. وسيكون شعارنا الدائم "الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا". إن منهاج الأخوان المسلمين محدود المراحل؛ واضح الخطوات، فنحن نعلم تماماً ماذا نريد، ونعرف الوسيلة إلى تحقيق هذه الإرادة يزيد الرجل المسلم ... ونريد بعد ذلك البيت المسلم، والشعب المسلم، والحكومة المسلمة. ونريد أن ينضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامي الذي فرقته السياسية الغربية، ونريد بعد ذلك أن تعود راية الله خفاقة عالية على تلك البقاع التي سعدت بالإسلام حيناً من الدهر"[13].

---

[11] حسن البنا ، مجموعة رسائل الشهيد حسن البنا ، ط3، بيروت ، المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر ، 1403هـ1983م (رسالة تحت راية القرآن) ، ص 315

[12] حسن البنا ، مجموعة رسائل الشهيد حسن البنا ، مرجع ، رسالة المؤتمر الخامس سابق ، ص 242

[13] حسن البنا ،مجموعة رسائل الشهيد حسن البنا ، مرجع سابق (رسالة الي الشباب) ، ص 419

ويقول الأستاذ الشهيد سيد قطب: "إننا دون شك نملك شيئاً جديداً ؛ شيئا لا تعرفه البشرية ولا تملك هي أن تنتجه. ولكن هذا الجديد لا بد أن يتمثل في واقع عملي لا بد أن تعيش به أمة ... وهذا يقتضي عملية بعث في الرقعة الإسلامية؛ هذا البعث الذي يتبعه – علي مسافة قريبة أو بعيدة – استلام قيادة البشرية"[14].

في وسط هذا الجو المضطرب نشأت دعوة الأخوان المسلمين، بعد أن تفتحت عين مؤسسها على التحلل الذي أصاب الأمة الإسلامية.

فقد بدأ حسن البنا دعوته في المساجد لدى إقامته في الإسماعيلية عام 1928م، وكان يدعو الناس إلى العودة إلى الإسلام. إلا أنه لم يقتصر عليها، إذ كانت المساجد مسرحاً للخصومات المذهبية وللنزاع، بدلاً من أن تكون المكان الذي يتوحد فيه المسلمون، فاتجه بالدعوة للناس في المقاهي التي تذخر بهم. وكان يصور الحياة الإسلامية على أنها بناء يقوم علي أربعة أعمدة: الحكومة، والأمة، والأسرة، والفرد. ويرى أن أول ما أصاب الإسلام من ضراوة الغرب الصليبي كان هدمه للخلافة الإسلامية، وتحويل النظام الإسلامي في الحكومة إلى نظام علماني، ثم انتقل الهدم بعد ذلك إلى الأمة فاستبدلت بعد ذلك بالتشريعات[15] الإسلامية والقوانين الوضعية، فاختلت الموازين الصحيحة لدى الناس، واضطربت أقيستهم، حتى انتهى الهدم إلى نظام الأسرة المسلمة نفسها، فلم تسلم المرأة من سموم الغرب؛ حيث اعتبرها الجانب الضعيف الذي يمكن أن يصل من خلاله إلى هدم كيان الأسرة ذاتها، فزين لها العري والاختلاط وأماكن اللهو والفساد، والتحرر من قيود الفضيلة التي ألفتها المراة المسلمة. وأخيرا تمكن الغرب من هدم الركن الرابع من أركان الحياة الإسلامية المتمثل في الفرد المسلم، أو علي الأصح عقيدة الفرد المسلم، فنالها هي الأخرى بالهدم والتشكيك، ووصل الاستعمار الغربي بذلك إلى كل ما أراد من هدم الإسلام في أرجائه الأربعة؛ الحكومة، والامة، والأسرة، والفرد. ويوضح هذا الغرض الشامل للعلل التي أصابت المسلمين كما يراها الأمام حسن البنا، يقابله في نفس

---

[14] سيد قطب – معالم في الطريق – ط3، ، الكويت ،الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية: 1985م، ص9

[15] د. محمود سالم عبيدات – أثر الجماعات الاسلامية الميداني خلال القرن العشرين – ط1، الأردن، الناشر مكتبة الرسالة: 1409 هـ 1989م ص371

الوقت بالرؤية الواضحة لما ينبغي أن يكون عليه المسلمون من عزة وكرامة، حيث يهتدون بهدي الإسلام في الحكم والتشريع والسياسة والاقتصاد والخُلق والعقيدة[16].

من هذا الفهم انطلق حسن البنا في دعوته للعودة إلى الإسلام الحنيف، فتأثر كثيرون بدروسه ولقاءاته، فكان أن حضر إليه ستة رجال منهم: حافظ عبد الحميد، وأحمد الحصري، وفؤاد إبراهيم، وعبد الرحمن حسب الرسول، وإسماعيل عز، وزكي المغربي؛ وهم من الذين تأثروا بالدروس والمحاضرات التي ألقاها حسن البنا، وحدثوه في شأن طريق العمل لعزة الإسلام وخير المسلمين، وناشدوه بأن يكون رائدهم في هذا السبيل، وحمله تبعة أمرهم. فتعاهدوا جميعا على ذمة الإسلام وقال لهم حسن البنا: ''نحن إخوة في خدمة الإسلام، فنحن إذن الأخوان المسلمين''[17].

هكذا بدأت جماعة الأخوان المسلمين من هذه السنة، حول هذه الفكرة، على هذه الصورة، بهذه التسمية، وذلك في ذي العقدة سنة 1343هـ مارس 1928م[18]. واستطاع حسن البنا خلال إقامته في الاسماعيلية حتى عام 1932م تأسيس معهدين إسلاميين، ومعهد حراء للبنين، ومدرسة أمهات المؤمنين للبنات، وأن يجمع اكتتاباً لمشروع بناء مسجد ومدرسة ودار للإخوان المسلمين[19].

تحدث الإمام حسن البنا عن هذه الفترة فقال: ''يعلم الله كم من الليالي كنا نقضيها نستعرض حال الأمة؛ وما وصلت إليه في مختلف مظاهر حياتها، ونحلل العلل والدواء، ونفكر في العلاج وحسم الداء، ويفيض بنا التأثر لما وصلنا إليه إلى حد البكاء[20].

لم تهتم الحكومة المصرية بدعوة البنا، وكانت تقول: ''ماذا يمكن أن يفعل معلم الأولاد؟ ولكن عندما ازداد نشاطه، وحول الاسماعيلية إلى خلية نحل عامة للإسلام، نقلته السلطات المصرية إلى القاهرة ليكون تحت مراقبة السلطات الأمنية هناك''[21].

[16] مذكرات الدعوة والداعية، ص62-73 – انظر مجلة المجتمع، العدد رقم 516، الكويت ، سنة 1401هـ ، ص22– 23؛.
[17] انظر: عبد الحليم محمود – وسائل التربية عند الإخوان المسلمين ، ط4، المنصورة، دار الوفاء: 1413هـ - 1990م، ص7
[18] انظر: أحمد عيسى عاشور – حسن البنا نظرات في إصلاح النفس والمجتمع – القاهرة، مكتبة الاعتصام: ص29
[19] أحمد عيسى – مرجع سابق – ص30
[20] فتحي يكن – الموسوعة الحركية – المجلد الأول ط1، مؤسسة الرسالة، 1400هـ - 1980م، ص54
[21] فتحي يكن ، الموسوعة الحركية ، مرجع سابق، المجلد الأول، ص54

بعد نقل الإمام حسن البنا إلى القاهرة، اجتمع مجلس إدارة الإخوان بالإسماعيلية، وقرر اعتبار القاهرة المركز العام للاخوان المسلمين[22].

انشأ حسن البنا دار الإخوان في القاهرة، ونذر جهده ونشاطه وحياته علي التعريف بالدعوة الإسلامية. وأخذ حسن البنا يسير متبعاً في ذلك نظاما رتيباً : فهو يتوجه الي المركز كل صباح قبل ذهابه الي المدرسة ويعود اليه بعد المدرسة، ويبقي فيه كل مساء. وفي ذات الوقت كان ينظر في كل المسائل المعلقة، وكان يحاضر أو يحادث أعداد الزائرين المتزايدة، مخصصا الوقت بين صلاتي المغرب والعشاء في غالب الأحيان لمحاضرات في تفسير القرآن الكريم، ليبسطها لمستمعيه لأول مرة، وكانوا من فقراء المركز العام، ورجال لم يتلقوا علماً ؛ ولم تكن لهم الرغبة في علم[23].

جاب حسن البنا قرى مصر ، وطاف في مدنها، حاثاً الناس على التمسك بالكتاب والسنة. وكان يفتح شعبه للإخوان حيثما حل، حتى أصبحت دعوة الإخوان خلال سنوات ملء السمع والبصر ، وانضم الناس إليها بمختلف مستوياتهم الثقافية والفكرية[24]. أصبحت عضويتها من الشمول، حتى غدت تمثل جميع طبقات الشعب المصري. وأهم من ذلك فقد تغلغلت في صفوف الموظفين والطلبة وعمال المدن والفلاحين، وهي الطبقة الأشد فقراً ، ولكنها كانت الأقوى.

هكذا نمت حركة الإخوان المسلمين من هذه البداية المتواضعة في مدينة الإسماعيلية، إلى حركة مزدهرة بالقاهرة، حتى أصبحت من أكبر الحركات والتيارات السياسية المهمة علي المسرح المصري. وكان ذلك بفضل نشاط حسن البنا وأتباعه الذين اخلصوا الدعوة إلى الله تعالى[25].

يروي البنا أنه رفض في هذه المرحلة المبكرة من الدعوة في القاهرة عروضاً بالمساعدة المالية من قبل صدقي باشا رئيس الحكومة المصرية حينذاك، نظير تأييده لوضعه القائم، إذ كان صدقي رجل القصر القوي الدائم وعدو الوفد فيقول: ''ومما يذكر لإخوان القاهرة بالفخر والإعجاب أنهم والدعوة لا تزال ناشئة في القاهرة، وهم

---

[22] حسن البنا – مذكرات الدعوة و الداعية – مرجع سابق ، ص14

[23] د. رينشارد – د. ب – ميتشل والإخوان المسلمين – ترجمة د. محمود ابو السعود، تعليق الاستاذ صالح أبو رقيق، 1399هـ - 1979م ص83،

[24] فتحي يكن – الموسوعة الحركية – مرجع سابق ، المجلد 1، ص54

[25] حسن البنا – مذكرات الدعوة والداعية – ص134-171

في مسيس الحاجة إلى المال، والإسماعيلية لا تزال تمدهم بمساعدة شهرية، عرض عليهم أن يروجوا للوضع السياسي القائم؛ وهو حكومة صدقي باشا، بما أرادت من دستور انتخاب، فكان جواب حسن : "تقطع هذه الأيدي ولا تمتد إلى مال لا حق لها فيه، تسخر به الدعوة للأغراض و الأهواء، ولو كنا مقتنعين بهذه الأوضاع لرأينا من واجبنا أن نكافح في سبيلها بالنفس والمال، لا أن نأخذ على ما نفعل أجراً". وأخفقت كل المحاولات لحمل الإخوان؛ الذين ما زادوا على أنهم طلاب أو موظفون ناشئون، على أن تستأجرهم دعاية حكومية لغرض من الأغراض. وهكذا عصم الله الدعوة وحماها من أول يوم من هذه المتلوثات التي ما دخلت دعوة الا أفسدتها، ولا خالطت قلباً إلا أبعدته عن الله، وذلك بفضل الله على الدعوة والقائمين لها، والحمد لله رب العالمين[26].

كان الناس عندما قام الإمام حسن البنا بدعوته يعيشون مهمة شرسة، تميزت بطابع الانحلال والمهانة، فقد بلغ فساد العقيدة حداً من الخطورة أدى إلى الحط من قدر الإسلام وتعاليمه، بل إلى ما هو أسوء من ذلك، إذ حلت محل تعاليم الإسلام القيم الأجنبية التي أثر بها المستعمر وفرضها، دون مقاومة تذكر من جانب الزعماء السياسيين والفكريين والروحانيين في البلاد، وأصبح الدين عند أكثر الناس مجرد صلاة وصيام وطقوس تؤدى في زوايا المساجد وغير المساجد[27].

في هذه الفترة جاء الإمام حسن البنا والنفوس هامدة ميتة؛ قد استسلمت للغاصب المستعمر في دعة ذليلة فاترة قانعة من جهادها بما لا يخرجها عن الدعة، ولا يكلفها إلا العافية من كل بلاء. نعم، جاء والشباب لا يرى في الإسلام إلا مجموعة بالية من الأفكار المتخلفة عن ركب الحضارة، والحكام ينبذون تشريع السماء، ويستمدون لشعوبهم العلاج من التشريعات الأوربية، والاستعمار يبارك كل هذه المفاسد. وفي هذا كتب البنا إلى الملك فاروق يقول: ''إن مصر على مفترق الطريق، وانها تواجه طريقين؛ طريق الغرب وطريق الإسلام، وقد أخذ كلاً منهما يهيب بالأمة أن تسلك هذا الطريق أو ذاك. والإخوان المسلمون كرجال بعقيدتهم

[26] حسن البنا – مذكرات الدعوة والداعية – ص109
[27] انظر الاخوان المسلمون والمجتمع المصري، محمد شوقي زكي، ط2، دار الأنصار، 1980، ص383 – وانظر مجلة الدعوة، عدد 92، مصر ، سنة 1404هـ - 1984م،

يدعون الأمة إلى العودة إلى الإسلام، فكذلك يجب أن يبدأ كل بعث للإسلام في مصر، ولا قيام جديد لإسلام عالمي ما لم نوجد أولاً دولة مسلمة''[28]. لقد حدد الإمام حسن البنا أهداف وغايات جماعة الاخوان في رسالة وجهها الي شباب الإخوان بعنوان "دعوة الإخوان المسلمين"، أو "دعوة الإسلام في القرن الهجري الرابع عشر"، فقال: ''أيها الشباب: إن العالم كله حائر يضطرب، وكل ما فيه من النظم قد عجز عن علاجه، ولا دواء له إلا الإسلام، فتقدموا باسم الله لإنقاذه؛ فالجميع في انتظار المنقذ، ولن يكون المنقذ إلا رسالة الإسلام التي تحملون مشعلها وتبشرون بها[29].

أيها الشباب: إن منهاج الأخوان المسلمين محدد المراحل؛ واضح الخطوات، فنحن نعلم تماماً ماذا نريد، ونعرف الوسيلة إلى تحقيق الإرادة:

- نريد أولاً الرجل المسلم في تفكيره وعقيدته، وفي خلقه عاطفة وفي عمله وتعرفه فهذا هو تكويننا الفردي .
- ونريد بعد ذلك البيت المسلم في تفكيره وعقيدته، وفي خلقه وعاطفته، وفي عمله وتصرفه. ونحن لهذا نعنى بالمرأة عنايتنا بالرجل، ونعنى بالطفولة عنايتنا بالشباب، وهذا هو تكويننا الأسري.
- ونريد بعد ذلك الشعب المسلم في ذلك كله أيضاً، ونحن لهذا نعمل على أن تقبل دعوتنا إلى كل بيت، وأن يسمع صوتنا في كل مكان، وأن تتيسر فكرتنا وتتغلغل في القرى والنجوع؛ والمدن والمراكز؛ والحواضر والأمصار، لا نألوا في ذلك جهداً؛ ولا نترك وسيلة.
- ونريد بعد ذلك الحكومة المسلمة التي تقود الشعب إلى المسجد، وتحمل به الناس على هدي الإسلام من بعد كما حملتهم على ذلك بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما من قبل. ونحن لهذا لا نعترف بأي نظام حكومي لا يرتكز على أساس الإسلام؛ ولا يستمد منه، ولا نعترف بهذه الأحزاب السياسية، ولا بهذه الأشكال التقليدية التي أرغمنا أهل الكفر وأعداء الإسلام على الحكم بها؛ والعمل عليها،

[28] محمد شوقي زكي – مرجع سابق، ص383

[29] حسن البنا ، مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا، ط3، بيروت، المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر: 1403هـ - 1983م ص176

وسنعمل على إحياء نظام الحكم الإسلامي بكل مظاهره، وتكون الحكومة الإسلامية على أساس هذا النظام[30].

- ونريد بعد ذلك أن تضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامي؛ الذي فرقته السياسة الغربية، وأضاعت وحدته المطامع الأوربية، ونحن لهذا لا نعترف بهذه التقسيمات السياسية، ولا نسلم بهذه الاتفاقيات الدولية؛ التي تجعل من الوطن الإسلامي دويلات ضعيفة ممزقة يسهل ابتلاعها على الغاصبين، ولا نسكت على هضم حرية هذه الشعوب واستبداد غيرها، فمصر وسوريا والعراق والحجاز واليمن وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش، وكل شبر أرض فيه مسلم يقول لا إله إلا الله؛ كل ذلك وطننا الكبير، الذي نسعى لتحريره وإنقاذه وخلاصه، وضم أجزائه بعضها الى بعض.
- ونريد بذلك أن تعود راية الله خفاقة عالية على تلك البقاع التي سعدت بالإسلام حيناً من الدهر، ودوى فيها صوت المؤذن بالتكبير والتهليل، ثم أراد لها نكد الطالع أن ينحسر عنها ضياؤها؛ فتعود إلى الكفر بعد الإسلام، فالاندلس وصقلية والبلغان وجنوب ايطاليا والجزائر وبحر الروم، كلها مستعمرات إسلامية يجب أن تعود إلى أحضان الإسلام. ويجب أن يعود البحر الأبيض والبحر الأحمر بحيرتين إسلاميين كما كانتا من قبل. ولئن كان السنيور موسوليني يرى أن من حقه أن يعيد الإمبراطورية الرومانية، ومما تكونت هذه الإمبراطورية المدعومة قديماً إلا على أساس المطامع والأهواء، فإن من حقنا أن نعيد مجد الإمبراطورية الإسلامية التي قامت على العدالة والإنصاف ونشر النور والهداية بين الناس.
- ونريد بعد ذلك أن نعلن دعوتنا على العالم، وأن نبلغ الناس جميعاً، وأن نعم بها آفاق الأرض، وأن نخضع لها كل جبار، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم[31].

---

[30] حسن البنا ، مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا، مرجع سابق، ص176

[31] مذكرات حسن البنا : مجموعة رسائل الامام، ص177 - 178

مما تقدم نلاحظ أن غاية الأخوان وأهدافهم تنحصر في إيجاد جيل جديد من المؤمنين؛ يقتدي بتعاليم الإسلام؛ ويعمل على صبغ الأمة بالصبغة الإسلامية الكاملة في كل مظاهر حياتها (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ونحن له عابدون)[32]، فأخذت جماعة الأخوان الدين ككل، لم تعني بجانب وتترك جانب. وعلى هذا الفهم الصحيح للإسلام وضعت أهدافاً في معالجة الفرد والأسرة والمجتمع والأمة والسياسة والاقتصاد والاجتماع، مع ربط كل ذلك بعقيدة التوحيد الخالصة كما أنزلها الله سبحانه وتعالى.

وفي هذا يقول الامام حسن البنا في المؤتمر الخامس للإخوان المسلمين الذي عقد بعد عشر سنوات من تأسيس الجماعة عام 1357هـ تحت عنوان "إسلام الإخوان المسلمين": ''اسمحوا لي أيها السادة أن استخدم هذا التعبير – ولست أعني به أن للإخوان المسلمين إسلاماً جديداً غير الإسلام الذي جاء به سيدي محمد صلى الله عليه وسلم عن ربه، وانما أعني أن كثيراً من المسلمين في كثير من العصور خلعوا على الإسلام نعوتاً وأوصافاً وحدوداً ورسوماً من عند أنفسهم، واستخدموا مرونته وسعته استخداماً ضاراً، مع إنها لم تكن إلا للحكمة السامية، فاختلفوا في معنى الإسلام اختلافاً عظيماً، وانطبعت للإسلام في نفوس أبنائه صور عدة؛ تقرب أو تبعد أو تنطبق على الإسلام الأول الذي مثله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه خير تمثيل.

فمن الناس من لا يرى الإسلام شيئاً غير حدود العبادة الظاهرة، فإن أداها أو رأى من يؤديها اطمأن إلى ذلك، ورضي به وحسبه قد وصل إلى لب الإسلام، وذلك هو المعنى الشائع عند عامة المسلمين.

ومن الناس من لا يرى الإسلام إلا الخلق الفاضلة والروحانية الفياضة والغذاء الفلسفي الشهي للعقول والروح، والبعد بهما عن أدران المادة الطاغية الظالمة. ومنهم من يقف إسلامه عند حد الإعجاب بهذه المعاني .

وهكذا اتصل الإخوان بكتاب الله واستلهموه واسترشدوه، فأيقنوا أن الإسلام هو هذا المعنى الكلي الشامل، وأنه يجب أن يهيمن على كل شئون الحياة، وأن تصطبغ

---

[32] سورة البقرة ، آية 138

جميعها بـه، وأن تنزل على حكمـه، وأن تسـاير قواعده وتعاليمـه، وتستمد منـه، مـا دامت الأمـة تريد آن تكون مسلمة إسلاماً صحيحاً ، وقلدت غير المسلمين في بقية شئونها فهي أمة ناقصة الإسلام، تضاهي الذين قال الله تعالى فيهم[33]: (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون)[34].

ويقـول حسـن البنـا فـي مجـال الحـديث عـن مبـادئ الحكومـة الاسـلامية: ''والحكومة في الإسلام تقوم على قواعد معروفة مقررة، هي الهيكل الأساسي لنظام الحكم الاسلامي، فهو يقوم علي مسئولة الحاكم ووحدة الامة واحترام ارادتها ولا عبرة بعد ذلك بالاسماء والاشكال''[35].

وفي مثل هذا يقول الاستاذ سيد قطب – وهو من كبار الاخوان –: ''تقوم سياسة الحكم في الاسلام بعد التسليم بقاعدة الألوهية الواحدة والحاكمية الواحدة – علـى أسـاس العـدل مـن الحكـام، والطاعـة مـن المحكـومين، والشـورى بـين الحـاكم والمحكوم – وهي خطوط أساسية تتفرع منها سائر الخطوط التي ترسم كل الحكم وصورته، بعد أن ترسم القاعدة السابقة طبيعته وحقيقته[36].

يقول الأستاذ حسن البنا في رسالة تحت راية القرآن موضحاً فيها غاية الإخوان المسلمين: ''ومهمتنا إذن نحن الإخوان المسلمين إما إجمالا فهي أن نقف في وجه هذه المجموعة الطاغية من مدينة المادة وحضارة المتع والشهوات، حتى تنحسر عن أرضنا، ويبرأ من بلائها قومنا ولسنا واقفين عند هذا الحد، بل سنلاحقها في أرضها وسنغزوها في عقر دارها، حتى يهتف العالم كله باسم النبي صلي الله عليه وسلم، وتوقن الدنيا كلها بتعاليم القرآن، وينشر ظلال الإسلام الوارفة على الأرض، وحينئذ يتحقق للمسلم ما ينشده، فلا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله''[37].

فاهداف حركة الإخوان المسلمين يمكن تلخيصها في ثلاثة أهداف هي:

– إيجاد الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم.

---

[33] حسن البنا: رسالة المؤتمر الخامس، مصر ، شركة الاخوان للطباعة والنشر: 1371هـ - 1952م، ص11-14

[34] سورة البقرة ، ايه 85

[35] مجموعة رسائل الشهيد حسن البنا، ط3، بيروت ، المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر ، 1403هـ-1983م ص318

[36] سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الاسلام، ط7 ، القاهرة ، دار الشروق ، 1980م ص80

[37] حسن البنا ، مجموعة رسائل الأمام الشهيد حسن البنا، ط3، بيروت، المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر: 1403هـ - 1983م ص176 ، ص191

- تحرير العالم الإسلامي من الاستعمار العسكري والسياسي والثقافي.
- إقامة دولة إسلامية تحكم بشرع الله، وتدعو إلى وحدة الصف الإسلامي، وجمع كلمته.

وعلى هذا نستطيع أن نقول إن هدف الإخوان هو تحقيق صادر إليه الإسلام، لأن الإسلام شامل للأهداف السابقة جميعاً .

المطلب الثالث
تقييم الحركة

نورد أقوال بعض العلماء حول تقييم حركة الأخوان المسلمين. فقد ورد في الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة أن الإخوان تأثروا بحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وحركة السنوسية، ودعوة السيد رشيد رضا. وأغلب هذه الدعوات امتداد لمدرسة ابن تيمية المستمدة من مدرسة أحمد بن حنبل رضي الله عنهما. وأخذ الإخوان عن الصوفية ما فيها من تربية النفس وتهذيبها[38].

ويقول د. ميشيل: ''ظهرت جماعة الإخوان المسلمين وسط التطورات التي بدأت بالحركة الوهابية، وكانت أول حركة لها سند شعبي وتنظيم دقيق. لقد رأى الإخوان إنهم يتأثرون بخطى حركات الإصلاح، وكانت الجماعة تعترف بعظمة هؤلاء الرجال، إلا أنها تعترف بأن اصلاحاتهم كانت ناقصة؛ وغير كافية، وذلك أنهم عجزوا عن النظر إلى الإسلام كوحدة متكاملة''[39].

أيضاً ورد في الموسوعة المسيرة في الاديان والمذاهب المعاصرة أن مدرسة الإخوان المسلمين من أكبر المدارس التي نادت بالرجوع إلى الإسلام؛ كما هو في الكتاب والسنة، ووقفتا في درجة المد العلماني[40].

يدل على هذا التحول الذي طرأ على المصريين بحركة الإخوان المسلمين أن الإمام البنا كلف الشيخ فرغلي بالعمل بأحد المساجد؛ والذي أقامته شركة أجنبية، وعندما بني ذلك العلم علمه للرجل المصري والمرأة، وكفت النساء عن الذهاب إلى بيوت الموظفين الكبار، فوجئ الموظفون الكبار بعملية تحول في طبيعة الحياة الاجتماعية للرجل المصري والمرأة المصرية في مدينة الإسماعيلية[41].

هكذا رحب الشعب بهذه الدعوة أملاً أن تكون هي المخرج من الاستعمار، ورجوعاً إلى تعاليم الإسلام. مما يؤكد ذلك أن شعب الإخوان المسلمين قد بلغت حين مرور عشرين عاماً، حوالي 2000شعبة في مصر، عدا شعبها في السودان والبلاد

---

[38] الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، ط2،الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1409هـ - 1989م، ص28

[39] د. محمود عبد الحليم – الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ – ط2، الإسكندرية، دار الدعوة: 1982م، ص492- 493

[40] الموسوعة الميسرة، ص23

[41] انظر: عبد المتعال الجبري لماذا اغتيل حسن البناء، ص21-22

العربية[42]. وفي أواخر الأربعينات بلغت 3000 شعبة؛ ضمت عدداً كبيراً من الأعضاء[43].

وذكر د. ميشيل أن عدد الشعب عام تسع وعشرون وتسعمائة وألف كان أربعة، ثم أصبح خمسة، ثم ارتفع إلي خمسمائة عام أربعون وتسعمائة وألف، ثم ألفي شعبة عام ثمان وأربعون وتسعمائة وألف، تتحدث نيابة عن مليون مصري[44].

هذه ملامح حركة الإخوان المسلمين، وقد تركنا الكثير من الجوانب التي أحصاها الباحثون بالحديث عن الإدارة والإعلام والتربية وغير ذلك بما تركنا جانب العقبات التي واجهت الدعوة.

كانت حركة الإخوان المسلمين سداً منيعاً أمام حملات التغبير؛ ليس في مصر وحدها، بل في جميع أنحاء العالم الاسلامي. وكان أثر الإخوان المسلمين كبيراً على مصر والعالم الإسلامي أجمع، إذ تمكنت الحركة من إرساء قواعد بظهور حركات تابعة لها وناهجة لنهجها، وذلك في جميع أنحاء العالم، حيث انتقل نظام الأسرة والخلية والشعبة والمركز العام، إضافة إلى انتقال الأوراد والأذكار، ولقد كان حسن البنا – كما وصف – مجدد القرن 14 الهجري.

يمضي حسن البنا إلى جوار ربه. يمضي وقد استكمل البناء أسسه. يمضي فيكون استشهاده على النحو الذي أريد له، عملية جديدة من عمليات البنا، عملية تعميق للأساس، وتقوية للجدران. وما كانت ألف خطبة وخطبة، ولا ألف رسالة للعقيد الشهيد لتلهب الدعوة في نفوس الإخوان، كما ألهبتها قطرات الدم الذكي المهراق[45]. وهكذا يمضي حسن البنا، وهكذا معاني استشهاده.

ليس الداعية إلى الله أداة ناقلة كالآلة التي تحمل سلعة من مكان الي مكان، وليست وظيفته أن ينقل النصوص من الكتاب والسنة إلى آذان الناس، ثم تنقضي بعد ذلك مهمته!!.

كان لدي (حسن البنا) ثروة طائلة من علم النفس، وفن التربية، وقواعد الاجتماع. وكان له بصر نافذ بطبائع الجماهير، وقيم الأفراد، وميزان المواهب. وهذه

[42] انظر عباس السيسي:حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية، الإسكندرية، دار القبس، 1982م ص390
[43] الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة، ص 28
[44] محمد شوقي زكي – الإخوان المسلمون – مرجع سابق ص51
[45] محمد شوقي زكي، الاخوان المسلمون، المرجع نفسه، ص51

بعض الوسائل التي تعين على الدعوة وليست كلها والوسيلة التي تعتبر طليعة غيرها، ولا تؤتي الدعوة إلى الله ثمارها كاملة اذا لم تتوفر لها هي إلهام للداعية أن يتخير موضوعه المناسب، وأن يصوغه في الأسلوب الذي يلقى هوى في أفئدة السامعين، ويترك أثره المنشود في نفوسهم وأفكارهم.

المبحث الثاني
المرأة في حركة الأخوان المسلمين
ويحتوي علي ثلاثة مطالب

المطلب الأول: نشأة فرقة الأخوات المسلمات

المطلب الثاني: جهود الأخوات المسلمات في الدعوي والتغيير الاجتماعي

المطلب الثالث: الصعوبات التي واجهت الأخوات المسلمات

المطلب الأول
نشأة فرقة الأخوات المسلمات

كان للأخوات المسلمات دور عظيم في جماعة الإخوان المسلمين، فكن بمثابة الدرع الواقي في مواجهة أحداث القرن الرابع عشر الهجري العنيفة التي واجهتهم. ضربت المرأة خلالها أروع الأمثال في صمودها خلف قوافل رجال الحق. وها هي ذي إشارات لمسيرة المرأة المسلمة في القرن الرابع عشر الهجري؛ تحكي لنا أسباب مجيئها وأسباب بقائها.

ففي أوائل القرن الرابع عشر الهجري، كانت تلك الصاعقة التي أخذ حريقها يخطف أبصار المسلمين في كل مكان. وأخذ اللهب يتطاير ويترامى من تركيا إلى بلاد العالم الإسلامي، فكانت هزات عنيفة تقتلع نفوس المسلمين. في تلك الظلمات قام رجال ورجال في كل الدنيا ينادون؛ أن أفيقوا أيها الناس.

تم تأسيس المركز العام لجماعة السيدات المسلمات في منتصف القرن الرابع عشر الهجري، ورشحت الحاجة زينب الغزالي [1] رئيسة له. كانت غيوم العلمانية – وقتها – تخيم بدخان سام قاتل في سماء القاهرة. كان الهدف من تأسيس هذا المركز؛ النهوض بالمرأة المسلمة من كبوتها، ورفع راية الإسلام بين المسلمات، بالدعوة إلى منهج الإسلام السليم؛ لتعود نساء الأمة إلى ما كان عليه السلف الصالح، ومن ثم تعود الأمة؛ والدولة المسلمة – رجال ونساء – مستظلة بفهم من الكتاب والسنة.

تقديراً لمسئولية الدعوة إلى الله؛ وخضوعاً لأمر الله تبارك وتعالى، صدع الإمام الشهيد حسن البنا بأمر ربه. كانت صيحته مدوية، داعيةً إلى الله؛ وإلى الاسلام؛ كمنهج حياة، فكان أول عمل قام به – عندما استقر به المقام كمدرس بمدينة الاسماعيلية مهّد لدعوة الإخوان المسلمين، ونادى في الناس جميعاً أن عودوا إلى الإسلام الصافي الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. وتكونت أول

[1] زينب الغزالي القيادية في حركة الأخوان المسلمين ، لدفع الحركة النسائية الإسلامية لتتوازي في تقدمها مع حركة الهيئة العامة للأخوان المسلمين ومواجهة تيار التحلل الاجتماعي الذي تقوده دوائر الاستعمار والهيئات الإسلامية المنبهرة بنمط الإسلام في الغرب ولها عدة مؤلفات ولها تفسير من عدة أجزاء من القرآن

شعبة للإخوان المسلمين سنة 1928م؛ وهي صدى الدعوة الأولى، ونداء موجه للرجل والمرأة على السواء[46].

كان واضحاً لدى الشهيد حسن البنا أن دور المرأة في الاسلام جد خطير، وله أثره في تكوين الرجال والدعائم الأساسية التي ترتكز عليها دعوة الإخوان المسلمين؛ وهي تكوين الفرد المسلم، والمرأة المسلمة، والمجتمع المسلم، ثم تخرج من هذا المجتمع المسلم الحكومة المسلمة. في شهر رمضان 1348هـ؛ وفي ليلة 17 منه؛ تفاؤلاً بغزوة بدر الكبرى، تم افتتاح أول مسجد للإخوان المسلمين في الاسماعيلية، ثم تبعه بناء معهد حراء الإسلامي. ولما استقر العمل بالمعهد تم إنشاء مدرسة للبنات أطلق عليها "مدرسة أمهات المومنين"[47]، ووضع لهذه المدرسة منهاج إسلامي؛ يجمع بين أدب الإسلام، وتوجيهه السامي للفتيات والأمهات والزوجات، وبين علوم نظرية وعملية تقتضيها ظروف العصر ومطالبه. أدت هذه المدرسة رسالتها على خير وجه، مما أدى إلى إنشاء قسم للأخوات المسلمات؛ يتألف من نساء الإخوان المسلمين وبناتهن وقريباتهن، ويقوم بالتدريس فيه مدرسات المدرسة، أطلق عليه الإمام الشهيد حسن البنا في هذا الوقت اسم "فرقة الأخوات المسلمات"[48].

وضع لهذه الفرقة لائحة خاصة؛ تنظم العمل، وطرائق السير والنشاط، تهدف إلى نشر الدعوة الإسلامية بين السيدات والفتيات المسلمات من بيوت الأخوات وغيرهن. جرى العمل بهذه اللائحة في الإسماعيلية، ثم في القاهرة بعد ذلك. وتعتبر اللائحة الأولى في تنظيم العمل النسائي في صفوف الإخوان المسلمين.

نورد فيما يلي نص هذه اللائحة: "في غرة محرم 1352هـ؛ الموافق 26 من أبريل 1932م، تألفت في الإسماعيلية فرقة أدبية إسلامية؛ تسمى فرقة الأخوات المسلمات"[49].

التمسك بالآداب الإسلامية، والدعوة إلى الفضيلة، وبيان أضرار الخرافات الشائعة بين المسلمات. كانت وسائل الفرقة الدروس والمحاضرات في المجتمعات الخاصة بالسيدات، والنصح الشخصي، والكتابة والنشر.

---

46 حسن البنا - مذكرات الدعوة والداعية -نقلاً عن الأخوات المسلمات، ص156

47 حسن البنا - مذكرات الدعوة والداعية - مرجع سابق، ص156

48 المرجع نفسه، ص156

49 المرجع نفسه، ص156

نظام الفرقة كالآتي: تعتبر عضوة في الفرقة كل مسلمة تود العمل وفق مبادئها. وتقسم قسمها وهو "على عهد الله وميثاقه أتمسك بآداب الإسلام، وأدعو إلى الفضيلة ما استطعت"[50].

- رئيس الفرقة هو المرشد العام لجمعيات الإخوان المسلمين، ويتصل بأعضائها وكيلة عنه؛ تكون صلة بينهن وبينه.
- كل أعضاء الفرقة – ومنهن الوكيلة – أخوات في الدرجة والمبدأ، وتوزع الأعمال التي تستدعي تحقيق الفكرة عليهن؛ كل فيما يخصه.
- تعقد عضوات الفرقة اجتماعاً أسبوعياً خاصاً بهن؛ يروون فيه ما قمن به من أعمال خلال الأسبوع الماضي، وما يرونه في الأسبوع الآتي. وفي حالة ما إذا كثر عدد الأعضاء، يصح أن يقتصر هذا الاجتماع على المكلفات بالأعمال منهن.
- تجمع اشتراكات مالية اختيارية حسب المقدرة، وتحفظ في عهدة إحدى الأخوات؛ للإنفاق منها على مشروعات الفرقة.
- يصبح تعميم هذا النظام في غير الإسماعيلية في حدود هذه اللائحة.
- يعمل بهذه اللائحة بمجرد التصديق عليها من عضوات الفرقة التاسيسية والتوقيع منهن بما يفيد ذلك.

بعد انتقال إدارة الإخوان المسلمين إلى القاهرة والتي نشرت جريدة الإخوان نبأها بعددها الثلاثين في يوم الخميس 15 من ذي العقدة 1352هـ 1932م، تكونت في القاهرة فرقة الأخوات المسلمات. يتحمل عبء العمل فيها نساء بيوت الإخوان وقريباتهن، واختيرت السيدة "زينب أحمد" رئيسة لها، ولفرقة الأخوات في الإسماعيلية وبورسعيد[51].

وجهت السيدة زينب أحمد – بعد اختيارها – كلمة، نشرتها المجلة جاء فيها: ''أخواتي وبناتي: أحمد إليكن الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأحييكن بتحية الإسلام؛ السلام عليكن ورحمة الله وبركاته، كم

[50] محمود الجوهري، الخيالي – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية – ط2، الاسكندرية، دار الدعوة للطبع والنشر للتوزيع، 1413هـ - 1993م، ص23

[51] المرجع نفسه، ص233

أنا سعيدة ومسرورة بتقبل هذه الدعوة من حضرة المرشد العام للإخوان المسلمين؛ للتشرف بخدمة مبادئكن، والتقدم لرئاستكن ...'' مع اعتقادها بضعفها عن احتمال هذا العبء؛ وعجزها عن القيام بهذه المهمة، ولكنها تعتقد أنها ستجد من غيرتهن ومعاونتهن ما يمكنها من الوصول الي الغاية المنشودة من نشر تعاليم الإسلام وبث آدابه ومبادئه في نفس الفتاة المسلمة والأسرة المسلمة[52].

ومضت في ندائها للأخوات؛ فهي ترى أن الأمة في تدهور خلقي، وخلل اجتماعي. بدأت أعراضه في كل مظاهر الحياة؛ في المنزل، في الشارع، والمصنع، والمتجر، وفي كل بيئة، وفي كل وسط، ودوام هذا الحال يؤدي بنا إلى أوخم العواقب؛ وأحط النتائج.

وأساس إصلاح الأمة، وأول إصلاح الأسرة؛ إصلاح الفتاة، لأن المرأة أستاذ العالم، ولأن المرأة التي تهز المهد بيمينها تهز العالم بيسارها. وعلى الفتاة المسلمة أن تفهم أن مهمتها من أقدس المهمات، وأن أثرها في حياة أمتها أعمق الآثار، وأن في مقدورها أن تصلح الأمة؛ اذا وجهت عنايتها لهذا الإصلاح[53].

وتقول: ''إذاً يا أخواتي وبناتي: نصلح أنفسنا لنفهم الإسلام ونعمل به، ونثبت تعاليمه في نفس المرأة المسلمة، فإن صلحنا صلحت بصلاحنا الأسرة، وكان ذلك صلاح أمتنا جمعاء''.

السبب الرئيسي في اهتمام الإخوان بالمرأة يرجع إلى ذات السبب الذي من أجله بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال والنساء في بيعة العقبة الأولى والثانية. هذه واحدة، أما الثانية فهي المساواة الكاملة في الثواب والعقاب على العمل الذي وضحته الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[54].

كان لا بد من أن يكون قسم الأخوات المسلمات منفصلاً بمكانه وإدارته وكل شئونه عن شئون وإدارة الإخوان، حتى يسير العمل سليماً، ومتمشياً مع آداب الإسلام

[52] محمود الجوهري، الخيل – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية – مرجع سابق، ص23
[53] المرجع نفسه، ص234، بتصرف
[54] سورة النحل، الآية 97

وأحكامه، لكنه في النهاية يخضع لنظم الإخوان المسلمين، كفرع من فروع النشاط التي تحكمها أنظمة الاخوان[55].

اقتضت ظروف الحاجة لبيبة أحمد رئيسة الأخوات أن تقيم في الحجاز؛ مما أدى إلى فتور نشاط الأخوات المسلمات، ثم تعددت الهيئات النسوية الإسلامية الأخرى، تعمل كلها جاهدة في سبيل الغاية الإصلاحية المشتركة. كل ذلك حدى بلفيف من الأخوات المسلمات إلى إحياء الفكرة من جديد، والنهوض بها تحت إشراف المركز العام للإخوان المسلمين؛ ووافق مكتب الإرشاد العام على ذلك. وتكونت أول لجنة تنفيذية للأخوات المسلمات في 12 من ربيع الآخر 1363هـ؛ الموافق 14 أبريل 1944م[56]. بعد أن انتشرت فكرة الأخوات المسلمات بالقطر المصري، ووثبت أو كادت تثب إلي خارج القطر، واتسعت تبعاً لذلك نواحي النشاط، رأى المركز العام إعادة تنظيم قسم الأخوات المسلمات علي أساس يضمن نهوضه برسالته؛ في حدود بنود اللائحة الداخلية للنظام الأساسي للأخوات كما يلي:

- المساهمة في المشروعات الاجتماعية النافعة، بالقدر الذي يتناسب مع ظروفهن وجهودهن، وفي محيطهن، ومن هذه المشروعات: المستوصفات، ودور الطفولة، ورعاية اليتامى، والمدارس، وتنظيم مساعدة الأسر الفقيرة ... الخ[57].
- المشاركة – في حدود ظروف الأخوات المسلمات، وجهودهن – في تحقيق البرنامج الإصلاحي الأساسي لهيئة الإخوان المسلمين العامة. ولا زالت بعض هذه المؤسسات تعمل حتى الآن، بعد أن استولت عليها الحكومة – وقتئذ – عقب حل الإخوان سنة 1954م؛ مثل دار التربية الإسلامية للفتاة[58].
- في 2 صفر 1371هـ؛ الموافق 2 نوفمبر 1951م أعيد اعتماد اللائحة الداخلية لقسم الأخوات المسلمات، وأحدثت فيها بعض الإضافات.
- يحسن كلما أمكن ذلك أن يكون شعب الأخوات المسلمات ودروسهن هو دور شعب الإخوان المسلمين أو بيوتهن أو المساجد التي يشرفون عليها، شرط أن

[55] محمود الجوهري، الخيال – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية – مرجع سابق، ص234
[56] محمود الجوهري، الخيال – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية – مرجع سابق، ص234
[57] محمود الجوهري، الخيال – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ، المرجع نفسه، نفس الصفحة
[58] محمود الجوهري، الخيال – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ، مرجع سابق ، ص 234

يلاحظ إخلاء الدور من الإخوان تماماً؛ كلما كان هناك اجتماع أو دروس للأخوات[59].

- يسند الإشراف على هذا القسم للمرشد العام للإخوان المسلمين رأساً، ولفضيلته أن ينتدب من الإخوان العاملين سكرتيراً للاتصال وتنظيم الأعمال الإدارية بالقسم. وتتصل الهيئة العامة بالمركز العام للإخوان المسلمين عن طريق السكرتير الذي انتدبه فضيلة المرشد العام للإخوان عن طريق الشعب.
- كانت شعب الأخوات المسلمات وفروعها في كل أنحاء القطر المصري؛ وحتى تاريخ اعتماد هذه اللائحة المعدلة سنة 1951م، أكثر من 150 شعبة[60].

ترجع أولى هذه الذكريات إلى تكوين أول مجموعة من المثقفات من خريجات الجامعات والمعاهد وطالباتها، وعدد غير قليل من الموظفات؛ كالمدرسات والطبيبات وغيرهن. كان اهتمام الشهيد بهذه لمجموعة بالغاً، باعتبارها نواة صالحة لقيادات قسم الأخوات المسلمات، وركيزة طيبة لفهم الإسلام والعمل على نشره بمضمونه السليم بين النساء[61].

تعهد الإمام البنا هذه المجموعة بالدروس والمحاضرات التي كان يلقيها بنفسه عليهن؛ بشكل دوري أسبوعي تقريباً، حرصاً منه على نشر الوعي الإسلامي الصحيح بين هذه النوعية من النساء. استمر في ذلك فترة تقارب العام. واستمر قسم الأخوات المسلمات يؤدي رسالته على أكمل وجه، حتى أعلنت الحكومة المصرية سنة 1948م الحرب على الإخوان، وأصدرت قرارها بحل الإخوان المسلمين والأخوات المسلمات. كان هذا الحل بداية لمؤامرة اغتيال الإمام الشهيد البنا[62].

رافق الجوهري الإمام الشهيد مدة ست سنوات لتنظيم فروع الأخوات المسلمات ومنشآته بالوجه البحري والإسكندرية. ويذكر الجوهري أنه قدم مذكرة يرجو فيها إعفائه من العمل بقسم الأخوات المسلمات ليتفرغ لبعض النشاط الإخواني، على اعتبار أن بقسم الأخوات المسلمات من العناصر ما يسد مكانه، فأخذ الإمام البنا

[59] محمود الجوهري، الخيال – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، المرجع نفسه، ص235
[60] محمود الجوهري، الخيال – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية – مرجع سابق، ص235
[61] محمود الجوهري – الأخوات المسلمات – دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع: المنصورة، ط2، 1409هـ - 1989م، ص234
[62] المرجع نفسه، ص235

المذكرة وابتسم ابتسامة مشرقة، وكتب علي المذكرة بالمداد الأحمر: "الأستاذ محمود الجوهري سكرتير الأخوات المسلمات حتى الممات"، ووقع بإمضائه وأعطاها له، ولم يملك وقتها إلا التسليم والرضا، وأجاب: حاضر يا افندم[63].

[63] محمود الجوهري - الأخوات المسلمات - مرجع سابق، ص235

المطلب الثاني

جهود الأخوات المسلمات في الدعوة والتغيير الاجتماعي

يتضح أثر الأخوات في اتساع نشاط قسم الأخوات المسلمات، في حدود لائحة نظام القسم. استمر هذا الاتساع والإقبال المتزايد الملموس في القاهرة والإسكندرية، وجميع محافظات الوجه البحري والقبلي، والنداءات المنشورة بمجلة الإخوان المسلمين من الأخوات، ويدعون فيها كل مسلمة للعمل مع الأخوات المسلمات، حتى تجتمع نفوس الأمة رجالاً على غاية واحدة؛ ومنهاج واحد، هو القران الكريم، ولا يزال هذا الأثر باقياً، وسيستمر استمرار الحياة لأن منهاجهن هو "القرآن باق بقاء الحياة"[64].

يضاف إلى ذلك الجهد الجبار الذي بذلته لجنة الزيارات المكونة من بعض الأخوات، وزارت هذه اللجنة معظم فروع الأخوات بالوجه البحري والإسكندرية وبعض مدن الصعيد عدة مرات من أجل هدفين:

- إلقاء المحاضرات التي تشرح دعوة الأخوات المسلمات.
- الوقوف على نواحي النشاط الأخرى كالمؤسسات وغيرها.

أقام قسم الأخوات المسلمات حفلاً بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية الشريفة بدار المركز العام للإخوان المسلمين. وفي مجلة الاخوان المسلمين الصادرة في أول ربيع الأخر 1365هـ؛ الموافق 5 مارس 1946م، نشر احتجاج قسم الأخوات موجها اللوم إلى المندوب السامي البريطاني بالقاهرة وقتئذ، على اعتداء جنود الجيش البريطاني المحتل على المصريين الآمنين. وقد أقام قسم الاخوان معرض تحت عنوان المعرض السنوي الخيري لقسم الأخوات المسلمات، نشر هذا العنوان بجريدة الاخوان المسلمين اليومية[65].

من إنجازات الأخوات الأخرى؛ كتبن عن دعائم البيت المسلم متضمنة وصايا عشرة موجهة إلى الزوجة حتى ترفرف على البيت المسلم بالسعادة، بما في ذلك الاتجاه الي طاعة الله ورسوله، والأدب الكامل قبل الجمال، وعدم التصرف في مال الزوج إلا بإذنه، وإكرام أهله وأقاربه، والقناعة بما وهب الله الزوج من رزق، ولا تمن

---

[64] محمود الجوهري – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ، المرجع نفسه، ص235 – 236، (بتصرف)

[65] محمود الجوهري – الأخوات المسلمات – مرجع سابق، ص236، (بتصرف)

عليه بمالها أو حسبها، وألا تخرج من البيت إلا بإذنه، ولا تغار على زوجها، وتحافظ على شعوره وكرامته[66].

أيضاً نشرت مجلة الإخوان على فترات متتابعة مقالات وآراء للأخت المسلمة في الشئون المختلفة، وصد حملات الجمعيات النسائية العاملة؛ بتوجيه استعماري لإخراج المرأة المسلمة من رسالتها. وقد امتد أثر الأخوات المسلمات، وذاع أمره حتى وصل إلى أمريكا. فقد جاء في المقال "نداء عام للأخوات المسلمات بمناسبة الاحتفال بالعيد السنوي الأول للاخوات المسلمات في أمريكا"، وكانت الوفود تأتي من البلاد الإسلامية، ويتم الاتصال بالمسلمات من هذه الوفود بمعرفة الأخوات المسلمات، ثم تعود هذه الوفود إلى بلادها حاملة معها منهاج العمل للإسلام، وفق أهداف الأخوات المسلمات، ومن هذه البلاد: باكستان والأردن وسوريا وغيرها.

وكان التعاون بين قسم الأخوات المسلمات وبين الجمعيات النسائية المصرية الأخرى منعدماً؛ نظراً لاختلاف النظرتين والهدفين، فقد كانت قبلة الأخوات هي حضارة الإسلام؛ وطاعة الله؛ والانقياد لحكمه، وقبلة الجمعيات النسائية هي حضارة الغرب؛ وإيثار الأهواء؛ والشهوات[67]... الأخوات يعملن على صد غارات العدو من حصون الأمة، والنسائيات يعملن مع العدو لدك حصون الأمة... الأخوات يدعون إلى الأصالة والتميز، والنسائيات يدعون إلى التبعية والتميع... المسلمات يجدن جمال المرأة في تقواها؛ وإيمانها العميق؛ وشرفها الرفيع، والنسائيات يجدن جمال المرأة في تبرجها؛ وخلاعتها؛ واختلاطها؛ ووقاحتها. فكيف يلتقي الضدان؟ وكيف يجتمع الداعيات إلى الجنة بالداعيات الي النار؟

نشط قسم الأخوات المسلمات نشاطاً مشكوراً تجاه المسجونين وأسرهم. نبع ذلك من إيمانهن بالفكرة الإسلامية؛ والعمل علي تطبيقها، فقد تكونت لجنتان اللجنة الأولى مهمتها إعداد الطعام والملابس للإخوان بالسجون، واللجنة الثانية مهمتها زيارة أسر الإخوان المسجونين بصفة مستمرة، وتقديم كل ما تحتاجه هذه الأسر مادياً؛

---

[66] المرجع نفسه، ص237
[67] المرجع نفسه، ص238

وأدبياً ، بالإضافة إلى القيام بتقديم الشكاوى والاحتياجات إلى الجهات المسئولة عن الظلم الواقع على الإخوان المسلمين والأخوات المسلمات وأسرهم[68].

تواصل عمل الأخوات المسلمات في كل مجال من مجالات الدعوة، وما زلن يقدمن كل ما بوسعهن لخدمة الأخوات والمجتمع الإسلامي، وها هن يقدمن وصايا إلى الجيل الجديد في محاور علي لسان الجوهري.

- العمل للإسلام واجب مقدس، بل هو في نظر الأخوات المسلمات فرض عين على كل مسلمة؛ وخاصة طالبات الجامعات والمعاهد[69].
- يتحتم على طالبات الجامعة المثقفات أن يفهمن رسالة الإسلام من منبعها الأصيل – القرآن الكريم والسنة النبوية – عن طريق القائمين بنشرها والعمل لها، وممن ضحوا في سبيلها ولا يزالون.
- نظراً لخطورة دور المرأة والفتاة بصفة خاصة لأنها أم المستقبل، يصبح لزاماً عليها أن تحمل هذا العبء.
- علي كل راغبة في هذا الخير، التعامل مع الأخوات المسلمات علي حمل هذا العبء؛ ونشره، على أن تكون داعية إلى هذا الحق، قدوة صالحة؛ ونموذجاً طيباً ، لما تدعو إليه.
- إذا كان كذلك، فهذه يد الأخوات المسلمات تصافح كل من تعاهد الله وتبايع على العمل لدينها، تحقيقاً لقول الله تبارك وتعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[70].

يقول الجوهري: ''من بين الأخوات المسلمات – بمختلف ظروف المحن التي مرت بالإخوان المسلمين، والأخوات المسلمات – نماذج صدق في القرن العشرين. أمهات وبنات وأخوات تجسدت فيهن سيرة الصحابيات الجليلات في العصر الزاهر للإسلام؛ فهماً ، وعملاً ، وصبراً ، اتقاء وجه الله. وكانت من بين الأخوات أمهات وزوجات وبنات وأخوات لشهداء[71].

---

[68] محمود الجوهري – الأخوات المسلمات – مرجع سابق، ص238

[69] المرجع نفسه، ص239

[70] سورة آل عمران ، آية 104

[71] محمود الجوهري – الأخوات المسلمات – مرجع سابق، ص239 – 240، (بتصرف)

من المواقف الخالدة الدالة على الفهم السليم؛ المتسم بالشجاعة، موقف السيدة المرحومة حرم الأستاذ حسن الهضيبي، حينما كانت تحمل إليه بالسجن بعض المأكولات والملابس في الزيارة، حينما تقدم أحد الضباط للتفتيش، فقالت له السيدة الفاضلة بكل هدوء وحزم: ""يا بني: هذا ليس مكانك؛ وليست هذه مهمتك. إن مكانك الطبيعي هو جبهة القتال، ومهمتك حمل السلاح لدفع العدو؛ وتخليص الوطن من عار الاحتلال، وليس تفتيش الخبز والبطاطس"". فما كان إلا أن انصرف قائلاً لها: "هذا حق يا سيدتي"[72].

إذا أرادت الأخت المسلمة أن تعرف قدرها ومركزها، فلا بد أن تعرف واجباتها في الحياة؛ التي خلقها الله من أجلها، ولا بد أن تعمل على إعداد نفسها ثقافياً وأخلاقياً للقيام بواجباتها. أصدرت الأخوات المسلمات رسالة للمرأة بالنسبة لدينها وعقلها وبيتها ومجتمعها، والقدوة الحسنة، ونشر الدعوة[73].

أولاً لدينها: عليها أن تؤمن بالله وتؤمن باليوم الآخر، وأن تراعي كل ما أنزل الله من أمر ونهي؛ حق رعايته في غير غلو.

ثانياً لعقلها: أن تزوده بأصح الحقائق؛ وأقوم المعاني؛ وأصدق المعارف، فإن العقل بذلك ينضج؛ وتزداد طاقات إدراكه، وتتسع آفاقه؛ ويسمو مستواه، فعليها أن تقرأ من نصوص الإسلام، وتستخلص ما يرد من أصول المعاني. وقد خاطب القرآن الكريم أمهات المؤمنين بذلك، حين قال: (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا)[74].

ثالثاً لبيتها: أن تؤسسه على التقوى من أول يوم، وأن تشيع فيه روح الربانية، وأن تجعل كل مطالبها وفق منهاجها في حدود الكفاية.

رابعاً لمجتمعها: عليها أن تقاطع كل ما في المجتمع من مساوئ التبرج، واللقاء في الحفلات والملاهي، وأن تعمل على بث الأفكار الناضجة والمبادئ القويمة في أذهان بنات جنسها؛ مثقفات كن أو غير مثقفات.

---

[72] محمود الجوهري، الخيال – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ، المرجع نفسه، ص240

[73] المرجع نفسه، ص241، (بتصرف)

[74] محمود الجوهري - الاخوات المسلمات - مرجع سابق، ص239 – 240، (بتصرف)

خامساً القدوة الحسنة: يجب أن يكون سلوك الأخت المسلمة؛ العام والخاص، وتصرفها في أي شأن، صورة صادقة لمبادئ دينها ودعوتها؛ وليس اكتمال الملبس والمظهر العفيف فحسب، بل يجب أن يكون كل عمل وحركة وكل اشارة صادرة عن تقيد بالمثل العليا، ورغبة فيها، وحب لها، حتي يصير العمل بها التزام ونهجاً عادة مألوفة؛ يجري عليها المرء دون أن يلقي باله[75].

تلك هي القدوة الصالحة التي تلهم وتؤثر، إنها القدوة الأولى للطفل؛ وهو سريع التقليد، قوي التأثر بما يكون من حالها. فلتعلم الأخت الكريمة أنها لن تبلغ أن تكون مؤثرة في مجتمعها إلا إذا كانت قوية الشخصية؛ لأن المجتمع يصح بها، ويعتدل ميزانه.

سادساً نشر الدعوة: الدعوة إلى الله مرتبة الأنبياء والرسل، فلتدعُ الأخت المسلمة إلى الله ما استطاعت اليه سبيلاً، ولتدعُ كل من في محيطها الخاص، وكل من استطاعت من أترابها إلى الإيمان بالله والدار الآخرة، ولتذكر الله، ولتأمر بالخير، وتنه عن المنكر، وتفقه المسلمات في دينهن وفرائضهن، ولتبشر في المسلمات بما جاء في الإسلام من أسس العدالة والحرية والتكافل الاجتماعي وأصول التشريع الصالح والسياسات الوافية بكل خير[76].

كانت أول رسالة ثقافية قام قسم الأخوات بطبعها ونشرها هي رسالة "مع المرأة المسلمة"، وكان ذلك في أكتوبر سنة 1947م. ورد في هذه الرسالة برنامج صريح، وتصريحات مهمة عن رسالة الأخوات المسلمات منها:

- محاربة النظام الحاضر، والمذاهب المعاصرة القائمة، وتصحيح الأوضاع الحالية؛ سواء من وجهة نظر المجتمع للمرأة، والإقرار لها بحقوقها كاملة، والنظر إليها نظرة الاحترام والتقدير الواجبة.
- إعلان حقوق المرأة الإنسانية، وتسليمها زمام قيادة النهضة النسائية، على أساس نظام عام مستمد من دستورية القرآن والنظام الإسلامي.

[75] محمود الجوهري – الأخوات المسلمات – مرجع سابق، ص241، (بتصرف)
[76] محمود الجوهري – الأخوات المسلمات – مرجع سابق، ص246، (بتصرف)

- تحديد رسالة المرأة الإصلاحية، ووظيفتها الاجتماعية؛ وهي تكوين المجتمع الصالح، وتعهده في حراسة الفضائل الاجتماعية العليا؛ من مشاركة المرأة في أعمال الخير والبر في ميدان النشاط الاجتماعي، لما كان لها من رسالتها أو القيام بمهمتها الأصلية في البيت كزوجة وأم صالحة؛ تقدم الفرد النافع الذي تتكون منه الجماعة، وإذا تقدمت لحمل أعباء الجهاد الوطني؛ وشاركت بجهدها وعقلها وبثقافتها وخبرتها وتجارتها، بحيث لا تتعارض مع روح الدستور الاسلامي[77].
- العمل للإسلام واجب مقدس، بل هو في نظر الأخوات المسلمات الآن فرض عين على كل مسلمة ملتزمة؛ وخاصة بناتنا طالبات الجامعة والمعاهد.
- يتحتم الآن على طالبات الجامعة والمثقفات أن يفهمن رسالة الاسلام من منبعها الأصيل؛ القران الكريم، والسنة النبوية المطهرة، عن طريق القائمين بنشرها والعمل لها، وممن ضحوا في سبيلها ولا يزالون.
- نظراً لخطورة دور المرأة والفتاة بصفة خاصة؛ لأنها أم المستقبل، ومربية القواد والزعماء المصلحين، يصبح لزاماً عليها أن تحمل هذا العبء في الوقت الذي تعاهدت فيه كل قوي الشر والبغض على حرب الإسلام.
- على كل راغبة في هذا الخير التعاون مع الأخوات المسلمات على حمل هذا العبء ونشره، على أن تكون كل داعية إلى هذا الحق قدوة صالحة؛ ونموذجاً طيباً لما تدعو اليه[78].

إذا كان الأمر كذلك فهذه يد الأخوات المسلمات تصافح كل من تعاهد الله وتبايعه على العمل لدينه لتحقيق قول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

نستطيع أن نقول مطمئنين إنه بين الأخوات المسلمات؛ في مختلف ظروف المحن التي مرت بالإخوان المسلمين والاخوات المسلمات، نماذج صدق في القرن العشرين. أمهات وأخوات وزوجات وبنات تجسدن فيهن سيرة نساء السلف في العهد

---

[77] المرجع نفسه، ص176 – 177، (بتصرف)
[78] محمود الجوهري، الخيال – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية – مرجع سابق، ص22

الزاهرللإسلام فهماً وعملاً وصبراً، ابتغاء وجه الله، فكان بين الأخوات أمهات وبنات وأخوات لشهداء مما هو معروف على المستوي العالمي، وما تناقلته وكالات الأنباء.

عندما بدأ القسم بنشر الدعوة للفكر الإسلامي في محيط المرأة المصرية، لاقى صعوبات كثيرة من التيار الغربي الجارف الذي انساقت معه المرأة المصرية، فبعدت به كل البعد عن الإسلام، فقامت الاخوات بعمل:

- زي إسلامي للسيدات. إن واجب الاحتشام الذي يفرضه الإسلام علي المرأة المسلمة يحتم أن تلتزم الأخوات بذلك، فكن أول الامر يغطين رؤسهن بالطرحة؛ وكانت سوداء، فكانت ظاهرة فريدة بين بنات جنسها. وانتشر هذا الزي حتى أصبح زياً لمجموعة كبيرة من السيدات في سائر الجماعات النسائية الاسلامية[79].

كان أول عمل بدأه القسم هو إقامة دروس عامة في كل حي من الأحياء، يحاضرها واعظ أو أخ من الإخوان الدعاة. وُجد أن هذه الدروس ليس لها فائدة؛ نسبة لأن الحضور خليط من السيدات غير المتقاربات في الثقافة والسن، فقسمت الأخوات إلى مجموعات متقاربة في الثقافة والسن؛ كل مجموعة تسمى أسرة، ويسير نظام الأسر في الأخوات على النظام العام للأسر في الإخوان. ويوجد نظام خاص بنظام الأسر الروحية؛ نظمته الرسالة الأولى للإخوان، وهو يشمل منهاجاً دراسياً كاملاً في دراسة القرآن والحديث والفقه والتفسير وقراءة رسائل الإخوان ومؤلفاتهم.

- انشاء دار التربية الاسلامية للفتاة لتعليم الغسيل والطهي والشئون المنزلية عامة، فكان اختيار الفتيات حديثات السن لا تتجاوز أعمارهن خمسة عشر سنة، وتتكفل الدار بالمأكل والمشرب والرعاية التامة لهؤلاء الفتيات. وقسمت البنات إلى فصلين دراسيين؛ يدرس بها القرآن الكريم والدين، ويتضمن البرنامج الثقافي الحياكة والتطريز والأعمال اليدوية الأخرى. تقوم الدار أيضاً بمساعدة أسر الفتيات والعائلات الفقيرة؛ بتقديم الكساء والعلاج والاعانات المالية، وإطعام الفقراء في شهر رمضان والمساهمة في الارشاد الاجتماعي والوعظ؛ عن طريق محاضرات تعد لذلك، والقيام بالإصلاح بين السيدات في

[79] محمد شوقي - الإخوان المسلمون - مرجع سابق، ص201 – 202، (بتصرف)

البيوت، بالاضافة إلى مهمتها الأولى الرئيسية؛ وهي تنشئة جيل من الفتيات يربي تربية عملية إسلامية صحيحة[80].

- نشر الثقافة الصحية: وأيضاً يقوم المركز للأخوات بإلقاء محاضرات علمية وعملية في وسائل عمل الإسعافات الأولية، ويقوم بإعطاء الدروس عدد من الأخصائيات في تلك الشئون؛ من حكيمات وممرضات.
- مدرسة الداعيات: وهو أهم قسم، ويعمل هذا القسم على انتقاء صفوة من الأخوات اللائي هضمن الفكرة، ومهمة الأخت منهن أن تحل محل المدرس العام إذا تغيب. وافتتح مركز الاخوات بالإسكندرية مدرسة للداعيات نواتها خمسة عشر أختاً من الأخوات المثقفات[81].
- الدعاية للفكرة الإسلامية في المحيط النسائي: وذلك لاصدار النشرات وتوزيعها في الأوساط النسائية المختلفة في المنازل، وبين طالبات المدارس وطالبات الجامعة، وللأخوات في الإسكندرية نشاط ملموس في هذه الناحية. وأيضاً من وسائلهن زيارة المنازل، وتكوين صداقات مع الأسر المجاورة لنشر الفكرة، وفض المنازعات. وفي تقرير عن نشاط الاخوات في الاسكندرية أن القسم يفكر في ثلاثة مشروعات وهي: عمل مشغل للفتيات يتعلمن فيه التفصيل والحياكة والتطريز وكل ما تحتاج إليه، مع تزويدها بالثقافة الدينية وتعويدها الأخلاق الكريمة. وانشاء دار لكفالة الفتاة تقوم برعاية الفقيرات واليتيمات وإيوائهن لينشأن نشأة إسلامية كريمة. وقيام مدرسة لمحو الأمية بين السيدات. ويقوم قسم الأخوات بإلقاء الدروس الأسبوعية لنشر الثقافة الإسلامية، والدعاية للفكرة الإسلامية في محيط السيدات[82].

هكذا نجد أن الأخوات لم يهملن النصف الآخر من المجتمع، فتعهدوه بكل ما في إمكانياتهم من أنواع الرعاية والعناية، وحتي يصير قسم الأخوات المسلمات هو نموذج الداعيات القدوة؛ القائدات؛ حاملات اللوح المحفوظ، علماً؛ وعملاً، منهجاً؛ وتطبيقاً.

---

[80] المرجع نفسه، ص202 –203

[81] محمد شوقي – الإخوان المسلمون – مرجع سابق، ص205

[82] المرجع نفسه، ص206، (بتصرف)

المطلب الثالث

الصعوبات التي واجهت الأخوات المسلمات

بدأت حركة العمل الإسلامي للمرأة المسلمة متعاونة مع قسم الوعظ والإرشاد بالأزهر. كانت أيام كفاح مع كل الهيئات المناهضة لأصحاب راية المودة، والرجعة إلى الحق. ولما ظهر الحق متجلياً في دعوتها ونشاطها، وكانت الصعوبات والشدائد والمحاربة تواجه جماعة السيدات المسلمات، وتعددت مشاكل الجماعة مع الحكومة[83]. في خضم تلك العقبات، طلب مقابلة زينب الغزالي مع الشهيد الأمام حسن البنا، وكانت لقاءات وتنوعت الآراء، ولم تكن هناك خلافات في الاعتقاد، بل كانت في الآراء. وظل الأمر كذلك حتى معركة الإخوان المسلمين في فلسطين، وبايعت الأمام الشهيد وسارت معه في مسيرته، مسيرة الإخوان المسلمين، غير أن ذلك لم يعلن. وسارت تلك الجماعة التي أيقظت الناس في جميع أنحاء العام من سباتهم، أخذت دعوتها تؤثر في القلوب وتدخل في العقول. وكان البنا رجلاً قوي البنيان، متزن الحجة، يخترق صوته الصدور والقلوب والآذان معاً، أيقظ بصوته رجال الإسلام وشبابه، فما أن ذكر بالخلافة؛ ونادى بعودتها؛ وطالب بجمع كلمة المسلمين؛ وتوحيد صفهم، إلا وجاء رجال من كل فج يبايعونه. ظهر ذلك جلياً في نداء المبايعين بقولة حق أنطقهم الله بها[84]: "الله غايتنا، والرسول زعيمنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله اسمي أمانينا".

سارت قافلة البنا وسط قوافل كثيرة، غير أنها كانت أطهرهم بنياناً، وأعلاهم راية، وأقواهم صوتاً وجسداً[85]. لما سارت المرأة في قافلة السيدات المسلمات والأخوات المسلمات مع الشهيد حسن البنا؛ مرة تراجعه، ومرة توافقه، حتى استقرت. وسارت بذلك النداء التي أبت إلا أن تشارك به في انتهاج نهج هدي الله سبحانه وتعالى، وقد اعتنقت مقاصد أهدافه، فصارت مع البنا بمفاهيم حكمته ومقاصد غايته، ووقفت يوما استشهاده مصممة على ألا ترفع راية إلا راية الإسلام. وعاشت معارك سنة 1954م، 1965م، ولم تغيرها قسوة السجان على الزوج والولد والأب والأخ والأخت، فكانت بمثابة الدرع الواقي لمواجهة الأحداث، وضربت أروع الأمثال.

[83] محمود الجوهري، الخيال – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية – مرجع سابق، ص30، بتصرف
[84] انظر زينب الغزالي: مسيرة وجهاد وحديث من الذكريات من خلال كتفيها، القاهرة: دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، ص29
[85] المرجع نفسه، ص32

ولولا صمودها – بعون الله – خلف قوافل الإخوان في سجونهم، لضاعت الأسر؛ وتشتت الأولاد، فكم بذلت الأخوات من جهود في هذا المضمار[86].

نعم، لقد أدت الأخت المسلمة رسالتها خير أداء. أليست أم أحمد التي وقفت كالطود الشامخ؛ غير خائفة ولا وجلة؛ في مكتب التعذيب وهي في سن السبعين أعظم مثل وأحسن قدوة؟ والسيدة المجاهدة أمينة الجوهري – رحمها الله – التي حملت على نقالة – لمرضها بالقلب – إلى السجن، ولولا مرضها لحاكموها، أليست مثلاً يحتذى به؟ والسيدة نعيمة حرم الأستاذ حسن الهضيبي؛ تلك المرأة التي لم تنم لحظة عن واجب كلفت به، والتي كانت خير أمة، وخير قيادة للأخت المسلمة في السجن وخارجه. وحميدة قطب التي حوكمت وهي العذراء الحبيبة، فما كان منها إلا نظرات الاشمئزاز لهؤلاء المعتدين على مقاعد العدالة! وغيرهن ... وغيرهن.

نعم، دخل السجن مئات من الأخوات ظللن رهن الاعتقال سنوات وشهوراً، وهن على أعلى درجة من القوة والعزيمة، وخرجن حافلات بذلك، وسرن في مطلع المسيرة؛ يبذلن من جهدهن الكثير والكثير[87].

لما كانت مسائل السلوك الشخصي تدخل في صميم اهتمامات جماعة الإخوان المسلمين، فقد كانت التغيرات التي دخلت علي حياة المرأة المصرية مثيرة لردود أفعال بين أعضاء الجماعة، لذلك رأينا أن نضع هذه القضية في بداية موقف الاخوان من قضايا المجتمع المصري.

لهذه القضية – حسب تطورها – جوانب مختلفة، ففي البداية ظهرت في صورة الحجاب والسفور، ثم تطورت إلى مسألة تعليم المرأة والمطالبة بدخولها الجامعة واختلاطها بالشباب، ثم انتهت في شكل الحقوق السياسية للمرأة[88]، وحينما قامت حركات يسارية عدة تنادي بضرورة أن الحجاب ليس من الدين وانتشرت حركات تحرير المراة.

كان لاشتراك المرأة في ثورة 1919م من أهم عوامل اشتداد هذه الدعوة. وظهر لأول مرة ما سمي بالحركة النسائية بزعامة هدى شعراوي، وسافرت إلى

---

[86] المرجع نفسه، نفس الصفحة
[87] زينب الغزالي – سيرة وجهاد وحديث من الذكريات من خلال كتاباتها – مرجع سابق، ص3
[88] د. ذكريا سليمان بيومي – الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية المصرية 1928م-1948م – الطبعة الأولى. القاهرة، الناشر مكتبة وهبة: ربيع الثاني 1399هـ - مارس 1979م

باريس وأمريكا لدراسة شئون المرأة، ونشر الإعلام بتصريحاتها؛ منادية بضرورة مطالبة المرأة المصرية بنفس حقوق المرأة الاوربية. حظيت هذه القضية باهتمام كبير عند كافة الجماعات الإسلامية، ونشرت مجلة الشباب المسلمين منذ الأعداد الأولى لصدورها عديداً من الأبحاث والمقالات التي تهاجم السفور، وزخرت هذه الأبحاث والمقالات بآراء كتاب الغرب الذين دعوا إلى ضرورة بقاء المرأة في بيتها بعد أن تنال حظها من التعليم الذي يساعدها في أداء مهمتها في تربية جيل صالح، وأوضحت أن هذه الدعوة لا تخرج عن دعوة الاسلام[89] .

على أن جماعة الإخوان المسلمين لم تقف عند حد مناهضة الدعوة نظرياً، بل انتقلت بدعوتها إلى أسلوب تطبيقي وهي في الإسماعيلية، فأنشأت مدرسة للبنات؛ وأطلق عليها مدرسة "أمهات المؤمنين"، ووضع لها منهاج مصري يجمع بين آداب الإسلام ومفاهيم العصر، وقد آلت ملكية هذه المدرسة فيما بعد لوزارة المعارف، كما ألحق بها قسم للأخوات المسلمات يتألف من نساء الإخوان واقربائهم، يدرس فيه مدرسات المدرسة.

قبل انتقال مركز الجماعة من الإسماعيلية إلى القاهرة تألفت فرقة الأخوات المسلمات، وأعلن أن الغرض منها "التمسك بالآداب الإسلامية، والدعوة إلى الفضيلة، وبيان أضرار الخرافات الشائعة بين المسلمات"، واتخذت من الدروس والمحاضرات في المجتمعات الخاصة بالسيدات والنصح الشخصي والكتابة والنشر وسائل لتحقيق هذا الغرض، وقبلت الفرقة في عضويتها كل مسلمة تؤدي العمل على مبادئها، وتقسم قسمها "على عهد الله وميثاقه أن أتمسك بآداب الإسلام وأدعو إلى الفضيلة ما استطعت". وقد عين المرشد العام – باعتباره رئيس الفرقة – وكيلة عنه تكون حلقة الوصل بين الفرقة وبينه، واعتبر جميع أعضائها اخوات في الدرجة والمبدأ. وكانت تبرعاتهن إحدى المصادر المالية للجماعة[90].

باركت الجماعة قيام فريق من سيدات الأسر الكريمة بتأليف جماعة منهن للدفاع عن الإسلام؛ بالعمل على إيواء البنات الفقيرات، وتوفير العمل الشريف لهن

---

[89] المرجع نفسه، ص293

[90] الإخوان المسلمون 28صفر 1352هـ (لائحة فرق الأخوات المسلمات، حسن البنا – مذكرات الدعوة والداعية يونيو 1933م، ص146 –147، وقد صدرت هذه اللائحة في غرة محرم 1352(1933/4/26م) النذير 16شعبان 1357هـ نقلاً عن الإخوان المسلمون، د. ذكريا سليمان بيومي

في مستقبلهن، وزيارة بيوت الفقيرات، وبث التعاليم الإسلامية في نفوسهن حتى يدرأن عنهن خطر المبشرات، وإن كانت الجماعة قد أعلنت تحفظها في مسألة تشغيل المرأة[91].

تولت الجماعة الرد على الموجة السائدة، والتي تدعو إلى الاختلاط والسفور وكذلك حظ المرأة في التعليم. وأعلنت أن تعليم البنت وتثقيفها وتهذيبها أمر لا محل للنزاع فيه، أما وظيفتها في الحياة فهي إدارة البيت؛ وتربية الأولاد، وأعلنت رفضها لدعوة اختلاط الجنسين في التعليم. وعلى الرغم من أن الأخوات قد عارضوا معاهدة 1936م، إلا أنهم انتهزوا فرصة استقرار المسألة الخارجية؛ وأصدروا عدة نشرات توضح مطالبهم، كان من أهمها علاج قضية المرأة علاجاً يجمع بين الرقي والمحافظة ومقاومة التبرج والخلاعة وإعادة النظر في منهج تعليم البنات وتحريم اختلاط الجنسين.

لقيت الدعوة ترحيباً في الأوساط العمالية والطلابية، حيث رأى فيها العمال الحل الامثل لمشكلة البطالة بينهم، الأمر الذي تؤكده أغراض جمعية تأسست سنة 1936م باسم الجمعية الأهلية للباحثين عن العمل. كما تقدم بعض طلبة الكليات بالتماس لادارة الجامعة في 1937م لإدخال التعليم الديني في الجامعة؛ والفصل بين الطلبة والطالبات، وقد علق على ذلك بمقال شكر فيه الطلاب، وأكد أن مطالبهم تتمشى وتعاليم الاسلام. وقد قوبلت هذه الدعوات بحملة مضادة تزعمتها مجلة الهلال، بل وطالبت المجلة بظهور المرأة واختلاطها بالمجتمعات البيئية؛ أسوة بنساء أوربا، واشتركت عدة جرائد ونشرت مقالات للدكتور طه حسين وتوفيق الحكيم وهدى شعراوي وغيرهم، تطالب باختلاط الجنسين، وعدم تقرير التعليم الديني. وقد قوبلت هذه الآراء بمعارضة من المجلات الإسلامية وعلى رأسهما صحف الإخوان، وكذلك من طلاب الجامعة أنفسهم؛ حيث قامت مظاهرات من طلبة الحقوق وبعض الكليات الأخرى، تعلن رفضها لهذا التيار[92].

[91] الإخوان المسلمون 11 ربيع الثاني 1352 (أغسطس 1933م)، وقد نقلت الجريدة هذا النبأ عن جريدة البلاغ، نقلاً عن الإخوان المسلمين، د. ذكريا سليمان بيومي

[92] نور الإسلام، محرم، صفر 1356 هـ - مهمة الجامعة ومهمة الأزهر - بقلم محمد عبد النبي إسماعيل

كان لهذا الخلاف أثر في انتقال الدعوة لمجلس النواب، وقد طالب بعض النواب بإلغاء السفور ووقف الفساد وتدريس الدين، وألقوا المسئولية على وزير المعارف. أيدت صحف الاخوان – بالطبع – هذه الآراء[93]، كما طالبت هذه الصحف شركة ترام القاهرة بتخصيص عربات للسيدات حفاظاً على كرامتهن[94]. وهاجمت مجلة القلم الصريح الجماعات النسائية وهدى شعراوي والقوى المؤيدة لها[95]. وحينما عينت عائشة بنت الشاطئ في أحد مناصب وزارة الشئون الاجتماعية هاجمتها النذير، وأرجعت ذلك لتدخل طه حسين، وأنه يواصل موقف المناهض للشريعة الإسلامية، قالت إن المرأة لا تصلح لأي عمل[96]. وقد خصصت صحف الإخوان باباً ثابتاً بعنوان "البيت المسلم"، ركزت فيه على حقوق المرأة في الإسلام، وكيف أن الاسلام قد حفظ هذه الحقوق؛ وصانها؛ ونظمها، بعد أن كانت مهضومة قبله، وأن التيار الجديد الذي يحاول أتباعه مساواة المرأة بمثيلاتها في أوربا سيرجع المرأة إلى عصر الجاهلية[97].

مع إن جماعة الإخوان لم يوافقوا على السفور[98] إلا أنها كانت في نظر الجماعات الأكثر تزمتاً متساهلين في هذه القضية، الأمر الذي أثار عليها بعض هذه الجماعات الأكثر تزمتاً؛ وعلى رأسها جماعة "شباب محمد". وقد عابت جماعة الإخوان على غيرها معاملة المرأة من خلال تقاليد بالية سقيمة "تجعل من الرجل سجاناً للمرأة يحبسها في بيته للمتعة والتوالد، لا تعرف من دنياها إلا هذين الغرضين العظيمين، وتظل كذلك إلى أن تنتقل من ظلام حياتها إلى ظلام القبور"، ورأت الجماعة أن الدين لا يقر ذلك، وأن من الواجب "أن نشفق على دين الله من أن تستبد به الآراء المتشائمة والأمزجة السوداوية"[99].

---

[93] مجلة النذير، 25 ربيع أول 1358هـ - من المسئول عن تدهور الأخلاق في البلاد – بقلم صالح عشماوي، مطبعة مجلس النواب، 1939/3/28م، نقلاً عن الإخوان المسلمين

[94] مجلة النذير 11، 15، 24 ربيع أول، 17 ربيع ثاني 1358هـ نقلاً عن الإخوان المسلمين

[95] مجلة القلم الصريح، 2/9، 3/16، 4/6 1939م، نقلاً عن الإخوان المسلمين

[96] مجلة النذير، 28 جمادي الثاني 1358هـ - يوليو 1939م، نقلاً عن الاخوان المسلمين

[97] مجلة النذير، 27 رجب 1358هـ 23 ربيع أول 1359هـ - 1940/5/1م، وانظر أيضاً في نفس المصدر في 8 صفر 1359هـ 1940/3/18، 8 ربيع الثاني 1359هـ - 1940/5/15م، 15 ربيع الثاني – 1940/5/22م، 1360، 3 محرم، 14 محرم 1364هـ 1 = = ربيع أول 1364هـ، غرة رجب 1364هـ 10 ذو الحجة 1364هـ 20 صفر 1365هـ 25 جمادي الأولى 1365، 13 رجب 1365هـ 9 شعبان 1367هـ نقلاً عن الإخوان المسلمين

[98] الإخوان المسلمون، 1943/3/20م وما بعدها، نقلاً عن الإخوان المسلمين

[99] المصدر السابق، 15 رمضان 1367هـ - 1945/8/23م، نقلاً عن الإخوان المسلمين

جاء ذلك للرد على الهجوم الذي وجه لشعب الأخوات المسلمات، والمطالبة بإلغائها في أعقاب الحرب الثانية، فأوضحت جماعة الإخوان أن الدين لم ينزل للرجال فقط، وأن على المرأة واجب خدمة الإسلام، والمساهمة الكاملة في كل ما يعود بالخير عليه وعلى أبنائه.

وقالت إنه على الرغم من ذلك فلا ينبغي أن يفهم بأن الإسلام قد دعا إلى مساواة الرجل بالمرأة مساواة كلية، بل نظم حقوق كلاً من الجنسين، لما بينهما من فروق في الخلق؛ وتفاوت في الاستعداد، وأن المساواة بينهما من حيث الدين والعقيدة؛ والثواب والعقاب؛ والحقوق الزوجية؛ والمعاملات المالية؛ وطلب العلم، أما تولي المرأة مناصب قيادية فهذا أمر مرفوض دينياً [100] بما ورد في الحديث الشريف: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)[101]. كما عارضت الجماعة مشاركتها "شباب محمد"، وكذلك علماء الأزهر الرأي الذي أدلى به محمد علي علوبة؛ الذي طالب فيه المرأة بحق الانتخاب، حيث اعتبروا ذلك إدخالاً لما لم يأمر به الدين؛ بل هو ثورة عليه، واعتبروا كذلك أن ترشيح المرأة منكراً لا يرضي الله[102].

إن هذا الحديث نزل كما ذكر في رسالة إلى كسرى وقيصر، عندما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، فمزقوا الكتاب، فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل ممزق، فلا يثبت لهم حكم، ولا يستقر. لذلك عندما تولى الحكم الابن الأول قتله أخيه، وبعد ذلك تولى الأخ الأصغر، ثم الأخت، فالمرأة قد تكون قاضي ووالي وداعية عظيمة، فقيهة بأمور دينها، مسئولة في جانب الدعوة، مثلاً وزيرة في وزارة الإرشاد والأوقاف، لأن عملها يكون بدراية علمها، وإذا توفرت لها قوة ورباطة الجأش.

تبين الآن عدد كبير من الأسئلة؛ ومعظمها يدور حول ما نشاهده الآن حول المرأة، وما يتصل بقضية المرأة ونشاط بعض الهيئات النسائية، وخصوصاً قد طلع

---

[100] الإخوان المسلمون، 18 شوال 1365 هـ - 1946/9/14م - المرأة بين الحجاب والسفور - بقلم: محمد عبد الحميد أحمد، 27 محرم 1366 هـ - 1946/12/21م - مكفة المرأة في المجتمع الإسلامي - بقلم: محمد الصاوي محمد عوض محمود. وقد هاجمت جريدة النذير قيام رئيس جماعة الشباب المسلمين صالح حرب لمصاحبة هدى شعراوي إلى فرنسا للدعوة إلى حرية المرأة وسفورها، كما استنكرت خطبة لصالح حرب أشاد فيها بالمرأة التركية: جريدة النذير، 15 رمضان 1365هـ نقلاً عن الاخوان المسلمين

[101] رواه البخاري (45/13)، ص46 في الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر، وفي المغازي، كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر

[102] الإخوان المسلمون، 4/19 - 5/17 - 7/5 1947م، النذير، 8 ذي الحجة 1367هـ، نقلاً عن الإخوان المسلمين

الصيف. هذه القضية قضية هامة جداً لأنها قضية الوجود والحياة العامة والخاصة، لهذا سنتناول الحديث عن بعض الأفكار التي تتصل بهذه الناحية ليشعر كل أخ بما يذاع ويشاع، حتى يستطيع أن يجيب عن كل شبهة ترد عليه[103].

يجب أن نعلم أن قضية المرأة في المجتمع الآن وقبل الآن هي أهم ما يدور عليها صلاح المجتمع وفساده، وإذا نظرنا إلى الأحاديث التي تشير إلى هذا المعنى وإلى تسلسل الانحلال الذي أوله فساد المرأة، نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كيف بكم إذا طغى نساؤكم، وفسق شبابكم، وتركتم جهادكم؟ قالوا: وإن ذلك لكائن يا رسول الله؟ قال: نعم. والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون. كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر. قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم. وأشد منه سيكون. قالوا: وما أشد منه؟ قال: كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً؟ قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم. والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون. قالوا: وما أشد منه؟ قال: كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف. قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله. قال: نعم. والذي نفسي بيده، وأشد منه سيكون... يقول الله تعالى في الحديث القدسي: (بي حلفت، لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيراناً)[104].

سلسلة متصلة من الحلقات تطغى المرأة فيتبعها فجور الشباب، ويغفل كل عن واجبه، ويصير من الغريب أن تخرج المراة محتشمة مستترة، ويترتب على ذلك ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم يتدرج الأمر إلى أن يكون المعروف منكراً والمنكر معروفاً، ثم تكون لفتنة التي تجعل الحليم في الأمة حيراناً لا يدري ماذا يصنع. وأول ما يفسد الأمة المدنية الأوروبية المدنية المزيفة التي تدور حول تمتع المرأة وإرضاء المرأة، وأصبحنا نحن نقلدهم في كل ما هو ضار[105].

والواقع أيها الإخوان أن قضية المرأة أهم الأمور التي يجب أن نعنى بها. ومن حسنات ديننا الحنيف، أنه لـلآن وقبل الآن هو أول وآخر التشريعات التي وضعت المرأة في أعلى المواضع وأحسنها وأجملها، فاعتبرها إنساناً كاملاً كالرجل؛

---

[103] حديث الثلاثاء – حسن البنا – القاهرة، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع: بدون تاريخ، ص367

[104] الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر سليمان الهيثمي – مجمع الزوائد – المجلد 4، ج7، باب فيمن يرى المنكر معروفاً، ص280

[105] حسن البنا – مذكرات الثلاثاء – ص368

سواء بسواء، في خلقته وإنسانيته وشعوره وحقوقه[106] (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ)[107].

في الوقت الذي كانت المرأة معتبرة سلعة تباع وتشترى، جاء الإسلام فأعز جانبها وحفظ حقوقها وكرامتها، فأباح لها أن تبيع وتشتري، وتؤجر وتستأجر، وتتصدق وتتصرف، كما يتصرف المالك الكامل. وهذه الحقوق كانت محرومة منها حتى في عصرنا هذا، عصر أرقى القوانين الغربية؛ التي لا تعتبر للمرأة حق البيع والشراء، فليس هناك دين أنصف المرأة كما أنصفها الإسلام، فكل من قال إن الدين الاسلامي وضع من كرامة المرأة فهو جاهل لا يدري شيئاً، كيف والله تعالى يقول: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)[108].

وحسبنا قوله صلى الله عليه وسلم: (استوصوا بالنساء خيراً)[109]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)[110]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (فاطمة بضع مني، فمن أحبها فقد أحبني)[111]، وجاء رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك، ثم الأقرب فالأقرب)[112]. فأي دين أفضل من هذا الدين؟ وأي شيء يريده الناس أحسن من هذا؟ (فماذا بعد الحق إلا الضلال)[113].

وإذا كان الإسلام قد فجعل شهادتها نصف شهادة الرجل، فهو مجاراة للطبيعة؛ فطبيعة المرأة تجعلها تعيش بعاطفتها لا بعقلها؛ والعاطفة تتأثر، وتمتاز المرأة بعاطفتها لا بعقلها، وهي مع ذلك سريعة النسيان، لذا لم يساوي الإسلام بينها وبين الرجل في الشهادة، وعلل ذلك بقوله: (أن تضل إحدهما فتذكر إحداهما الأخرى)[114]، فهو قد اعتبرها إنساناً، ولكنه لاحظ الفرق بينها وبين الرجل، وجعل

---

[106] حسن البناء -حديث الثلاثاء - ص338

[107] سورة آل عمران ، الاية 194

[108] سورة البقرة ، الاية 228

[109] البخاري – كتاب النكاح - باب الوصاة بالنساء، ج11، ص162. مسلم – كتاب الرضاع - باب الوصية بالنساء، ج4، ص178

[110] سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء، حديث رقم 1977. وانظر: صحيح ابن ماجة، حديث رقم 1608. صحيح الجامع الصغير، حديث رقم 1309

[111] سبق تخريجه

[112] سبق تخريجه

[113] سورة يونس ، الاية 32

[114] سورة البقرة ، الآية 282.

الميل إليها أمراً غريزياً، لما ترتب عليها من عمار الكون، والميل أساس النسل، والدنيا لا تقوم بغيره[115].

إذا كان اكتمال النساء قليل في المجالات العامة التي يشترك فيها الرجل، كالجهاد والتعليم والعبادة، فهناك اكتمال للنساء في كثير من المجالات النسائية المحضة، في الإرضاع والحضانة ورعاية الزوج وتربية الأبناء وما يتبع ذلك من نشاطات متعددة خارجية، تتم في الخفاء، بعيداً عن أعين الناس. المرأة هنا تمثل الجندي المجهول، له درجات متصاعدة، وهناك المتوسط والمبدع وكذلك المرأة في أسرتها تتفاوت درجة إحسانها حتى يصل كثير منهن لدرجة الكمال، والأمم كلما ارتقت قدرت وكرمت الجندي المجهول أكثر من تكريمها للقائد المشهور.

[115] حسن البنا - حديث الثلاثاء - مرجع سابق، ص369

المبحث الثالث

نماذج المرأة في حركة الأخوان المسلمين

ويحتوي علي ثلاثة مطالب

المطلب الأول: لطيفة حسن الصولي

المطلب الثاني: أمينة علي

المطلب الثالث: إحلام الحسن

المطلب الأول
لطيفة حسين الصولي (زوجة حسن البنا)

كانت رحمها الله تقدم دائما مصلحة الدعوة على مصلحة نفسها وبيتها. تقول ابنتها الدكتورة ثناء البنا: "كانت تقوم على رعايتنا حق الرعاية، وتهيئ جو البيت لاستقبال الوالد المرهق من كثرة الأعباء والأعمال؛ فيجد راحته في بيته لمدة سويعات قليلة، لينطلق بعدها ثانية إلى شئون الدعوة. وما يذكر لوالدتي رحمها الله أنه عندما قام والدي بتأسيس المركز العام للإخوان المسلمين طلبت منه أن يأخذ كثيراً من أثاثات البيت عن طيب نفس ليعمر به المركز العام، فنقل السجاجيد والستائر والمكتبات وكثيراً من الأدوات، وكانت سعيدة بذلك غاية السعادة"[116]. لقد كانت رحمها الله تعتبر أي فرد من أفراد الجماعة هو أحد أبنائها. وأذكر أنه عندما كانت تأتي أخت من الأخوات لتشكي زوجها، كانت أمي تناقشها وكأنها أمها؛ وفي نفس الوقت حماتها، وتبادرها بالسؤال: ماذا فعلت في ابني فلان حتى تصرف معك مثل هذا التصرف؟ لقد كانت تشارك الأخوات في أفراحهم وأحزانهم، وكانت فرحة أي بيت من بيوت الإخوان هي فرحة بيتنا، وكانت مصيبة أي بيت هي مصيبة بيتنا أيضاً[117].

ويدخل الاخوان في طور المحنة ويزج بهم سنة 1948م في المعتقلات والسجون، فلا يجد النوم سبيلاً إلى عين هذه الأم المجاهدة، فقد تشارك المرشد همومه في هذه الأيام الحالكة من تاريخ مصر. لقد كان بكاء الاطفال وتوجع الزوجات يعتصر قلبيهما، وتهدأ نفسها بعض الهدوء عندما يقدم الزوج المرشد مائة وخمسين جنيهاً، كان قد اقترضها الشيخ عبد اللطيف الشعشاعي واعظ قسم الأخوات المسلمات، ليتولى توزيعها على أسر الإخوان المعتقلين[118].

في ليلة حزينة من ليالي هذه المحنة، وهي مثقلة بحملها وبالقلق علي الزوج الذي خرج إلي جمعية الشبان المسلمين وهو أعزل من السلاح وأعداء الدعوة يتربصون به ... وفي صبيحة ليلة 12فبراير 1949م لا يعد لها من الزوج الحبيب إلا جثمانه الطاهر وسط مظاهرة مسلحة من القتلة والسفاحين، الذين يشهرون

[116] محمد فتحي علي سعيد – في دعوة الإخوان المسلمين – ط1، جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع: 1425هـ - 1985م، ص211
[117] مجلة لواء الإسلام، عدد (11)، باب الأخوات المسلمات، ص51، (حديث صحفي أجرته الأخت هناء محمد مع الدكتورة ثناء البنا)
[118] محمد فتحي علي سعيد - في دعوة الإخوان المسلمين - مرجع سابق، ص213

أسلحتهم في وجه المرأة وشيخ عجوز ، المرأة هي هذه الزوجة المؤمنة الصابرة والشيخ العجوز هو الوالد وفرضت حراسة علي قبر الزوج الشهيد عدة سنوات وحرم علي أسرته وأقاربه زيارته، ولم يسمح لأحد من أفراد الأسرة بمغادرة البيت لمدة عامين، ولم يسمح لأحد من خارج البيت بالاتصال بهم إلا عن طريق الشرطة.[1]

لقد ضرب حصار شديد علي البيت، ومنع الجيران الاتصال بهم، وقطع خط التلفون الخاص بالبيت،كل شيء حولهم كان مراقباً ، حتى الأبناء يروحون إلي مدارسهم ويجيئون تحت رقابة الشرطة وعاشت الوالدة وأبنائها تحت الحصار والترويع بالقتل واستتصال كل فرد من أفراد المنزل والأسرة بالإخلاء الإداري وتضطر الأسرة إلي تأجير مسكن آخر يكلفها أجراً أضعاف المسكن القديم مما أثقل كاهلها وزاد همومها.

وتجئ مهنة عهد العسكر، حيث أصدرت أحكام بالإعدام علي قيادات الأخوان المسلمين، فيرسل الشهيد عبد القادر عودة ومن من صدرت ضدهم هذه الأحكام رسالة إلي لطيفة الصولي والي ابن احمد سيف الإسلام البنا (إن عبد القادر عودة سينفذ فيه حكم الإعدام غداً الخميس ويتمني لو يدفن جوار قبر الشهيد حسن البنا، وهو يريد أن يعرف ردكما اليوم، وترحب الأسرة الصابرة المحتسبة بطلب الشهيد الجديد... وكان بصحبة الدكتور عبد الملك عند توصيل الوصية عدد من ضباط المباحث الذين عرفوا بالأمر مما جر علي الأسرة متاعب ومضايقات كثيرة بعد ذلك).

وتجتمع عليها عدة أمراض مبرحة منذ سنة 1965م، فتزيد من آلامها ومعاناتها حتي تفيض روحها الطاهرة في سنة 1968م بعد لتلحق بركب زوجها الكريم.[2]

---

[1] محمود الجوهري، الخيال – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية – مرجع سابق، ص 365

[2] محمود الجوهري، الخيال ، المرجع نفسه ، ص 368

المطلب الثاني
أمينة علي

المرأة هي الأخت الفاضلة "أمينة علي"[119] امرأة تعاني من عدة امراض جعلتها تلازم سريرالمرض، رغم هذا كله لم تعبأ بما يجري حولها من أخبار السجن والقتل والتعذيب لدعاة الإسلام، ودفعت الأخوات وفجرت في نفوسهن روح الصمود والتحدي للإرهاب والطاغوت مهما كان يملك من قوى البطش، وفي ظل المحن الضارية التي صبت على رؤوس الإخوان المسلمين، قادت الأخوات المسلمات؛ وهن يقمن بالدور الكبير المنوط بهن في ظل هذه الظروف التي لم ترحم شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً[120].

هذا الدور المنوط بالأخوات المسلمات قمن به بتوفيق الله خير قيام في مختلف المحن التي مرت بتاريخ الإخوان المسلمين. هذا الدور من أخطر الأدوار الذي لا غنى للجماعة عنه كجماعة جهادية، حيث تشتد الحاجة في ظروف الكرب والمحن إلى الأيدي الحانية والقلوب الرحيمة التي تطبطب الجراح؛ وتبعث أشعة الأمل في النفوس المكلومة داخل السجون والمعتقلات وخارجها، على بيوت الإخوان ومع ذويهم وأهليهم وأولادهم.

وفي سنة 1965م التي كان يضرب فيها جمال عبد الناصر الإخوان المسلمين، ويحاول سحقهم لحساب الشيوعية والإلحاد؛ في هذه السنة لم يدر بذهن المحقق بالسجن أن هذه السيدة المريضة التي تجلس أمامه هي ما تشير إليها أصابع الاتهام في تقارير المباحث، فرغم تقدمها في السن وإصابتها بعدة أمراض تقول هذه التقارير إنها كانت تقود الأخوات من سرير المرض[121]. وتضيف التقارير إن هذه السيدة بالمشاركة مع بعض السيدات ممن ينتمين إلى الأخوات المسلمات؛ وهن اللائي قمن برعاية أبناء الشهداء الأيتام، والإنفاق على بيوت المعتقلين من الإخوان

---

[119] وهو تقليد يرفضه الإسلام أن تقول امينة علي، بل تقول أمينة علي او أمينة زوج الأخ الجوهري حيث تنسب المرأة بعد زواجها إلى زوجها

[120] محمود الجوهري، الخيال – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية – مرجع سابق، ص299، بتصرف

[121] نقلا عن موضوع الأستاذ صلاح عبد المقصود، نشرته مجلة (لواء الإسلام)، العدد العاشر، غرة جمادي الآخر 1408هـ - 20 يناير 1988م بتصرف قليل

المسلمين، وتوصيل رسائلهم، وتنفيذ بعض المهام المتعلقة بالإخوان داخل وخارج السجون[122].

لم تحصل السيدة أمينة علي شهادات دراسية، وإنما كانت تجيد القراءة والكتابة، وتحفظ قدراً كبيراً من القرآن الكريم، وهذا ما مكنها من ممارسة الدعوة، فكيف كانت البداية؟

في سنة 1940م دعيت إلى حضور درس بعض السيدات في مسجد صغير يسمى مسجد "أزبك" بالقرب من مسجد أحمد بن طولون، فحضرت وتكلمت ببعض النصائح البسيطة؛ فجذبت قلوب الحاضرات، فتمسكن بها ودعونها إلى الحضور أسبوعياً. من هذا المسجد الصغير بدأت الفروع في كل شعبة من شعب الإخوان، وكان يحضرها بصفة أساسية زوجات وأمهات وأخوات وبنات الإخوان[123]. ومن هذا التاريخ انتشرت فروع قسم الاخوات، وشملت أنشطته في الدعوة عدداً كبيراً من شعب الإخوان[124]، الأمر الذي دعا إلى اختيار الزوج؛ وهو الأستاذ محمود الجوهري، سكرتيراً لهذا القسم، وليكون حلقة الاتصال بين الأخوات المسلمات عن طريق زوجته؛ وبين رئيس القسم الإمام الشهيد حسن البنا. ولعل في رئاسة الإمام البنا لهذا القسم شخصياً ما يلفت نظرنا إلى خطورة قسم الأخوات المسلمات، وأهمية دور المرأة المسلمة في الدعوة.

اختيرت السيدة أمينة علي أمينة لصندوق قسم الأخوات، وبعد فترة قصيرة انضم للقسم عدد كبير من خيرة الأخوات[125]؛ مثل الأخت زينب الشعشاعي، والأخت فاطمة عبد الهادي، وآمال، والأخت فاطمة توفيق، والأخت زهرة المنانيري، وغيرهن كثيرات. نشط العمل في هذا القسم من أقسام العمل الإخواني، وكونت أمينة علي ومن معها هذه المجموعة الطاهرة، وقد شكلن وفداً منهن وقع عليهن عبء السفر إلى الأقاليم للإشراف على تنظيم فروع الأخوات المسلمات في أقاليم الوجه البحري كله وبعض أقاليم الوجه القبلي. كان سفرهن يستلزم أن ينتقلن في جماعة أو كل أخت مع زوجها.

[122] محمود الجوهري، الخيال – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية - مرجع سابق، ص300

[123] المرجع نفسه، ص301

[124] كانت الشعب تخلى صباحا لنشاط الإخوان

[125] محمود الجوهري، الخيال – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية – مرجع سابق، ص301

كانت مجلات الإخوان تخص جزءمن صفحاتها لقسم الأخوات، ينشرن فيه أفكارهن وأخبار نشاطهن. وعندما صدرت الجريدة اليومية للإخوان؛ خصص منها مساحة كبيرة لقسم الأخوات والعمل النسائي؛ تحررها مجموعة من الاخوات الفاضلات.

أنشأت الاخوات مدرسة لتعليم الفقيرات واليتيمات، وكان مقرها في شارع بستان الفاضل في المنيرة، وكان يزاول التدريس بها ثلة من الأخوات؛ ذوات الثقافة الواسعة، وأقيم بها أول معرض للأخوات، اشتمل على الملابس والأدوات المنزلية وغيرها، وحقق نجاحاً كبيراً. ظلت هذه المدرسة تؤدي دورها إلى أن أصابها ما أصاب جميع المؤسسات الإخوانية؛ نتيجة لقرار حل جماعة الإخوان في 8 ديسمبر سنة 1948م، حيث استولت عليها الحكومة، وتوقف نشاطها[126].

بنزول المحنة الأولى للإخوان المسلمين سنة 1948م؛ حيث أودعوا السجون والمعتقلات، برز دور الأخوات المسلمات المدخر لهذه الظروف؛ فتحملن عبء الاتصال ببيوت الإخوان المعتقلين، ورعاية أولادهم، حيث قمن باستئجار شقة قريبة من السجن لإعداد كل ما يلزم هؤلاء الإخوان داخل السجن من طعام وملابس، حتى أفرج عنهم بعد ثلاث سنوات[127].

في المحنة الضارية الثانية سنة 1954م، والتي نزلت بالإخوان في عهد العسكر، واعتقال وسجن الآلاف من خيرة شباب مصر الطاهر، شاركت السيدة أمينة وابنتها خالدة، والسيدة زينب الغزالي، والسيدة أم أحمد، والسيدات أمينة وحميدة قطب وغيرهن، حيث كونت لجنتين:

- اللجنة الأولى: مهمتها إعداد الطعام والملابس للإخوان بالسجون، وكانت المسئولة عن هذه اللجنة الأخت زهرة السنانيري.
- اللجنة الثانية: مهمتها زيارة أسر الإخوان المسجونين بصفة مستمرة، وتقديم كل ما تحتاجه هذه الأسر مادياً وأدبياً، بالاضافة إلى القيام بتقديم الشكاوى

---

[126] ابو الهاشمي – زينب الغزالي، مسيرة وجهاد – القاهرة،دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع: بدون تاريخ، ص49

[127] مصطفى الطحان - المرأة في موكب الدعوة – ط1، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامي: 1420هـ - 1985م، ص77

والاحتجاجات إلى الجهات المسئولة، عن الظلم الفادح الواقع على الإخوان المسلمين.

كان للإخوان دور كبير خلال هذه المحنة المتوحشة مع بيوت الشهداء من الإخوان؛ وبخاصة شهداء مذبحة ليمان طرة سنة 1957م؛ التي راح ضحيتها واحد وعشرون شهيداً، حيث قمن برعاية اليتامى، والتسرية عن قلوب ونفوس الثكالى، وحثهن على الصبر والتحمل[128].

وفي نازلة 1965م؛ التي استشهد فيها العالم الرباني سيد قطب وإخوانه، اعتقل فيها أكثر من مائتي أخت من الأخوات المسلمات، كان من بينهن السيدة أمينة علي، وكتب الله لها أن تخرج بعد ثلاثة أشهر، لتواصل مسيرة الجهاد والمعارك، إلى أن لحقت بالرفيق الأعلى في مارس سنة 1980م[129].

كانت أمينة مثلاً يحتذى للزوجة الصالحة والداعية الناجحة، لم تقصر في حق زوجها؛ ولم تقصر في حق دعوتها، ووازنت بين الواجبين في اعتدال، فكان يومها يبدأ من الفجر تؤدي ما عليها من واجبات نحو بيتها وزوجها وأولادها، ثم تذهب إلى أحد الدروس أو أحد مهام الدعوة في العاشرة صباحاً، لتعود ظهراً قبل أن يعود زوجها[130]. كانت أختاً وفية لمبادئ الاخوان المسلمين وعهد حسن البنا، قربت كثيراً من الأخوات على حب الإسلام؛ والتضحية في سبيله. كما كانت نعم الأم الصابرة المحتسبة عندما استشهد ابنها المقدم حامد في معركة العبور في رمضان برصاصات العدو اليهودي، فما زادت عن استرجاع وترديد قول الخنساء "الحمد لله الذي شرفني بقتله، وأدعو الله أن يجمعني به في مستقر رحمته"[131].

---

[128] مصطفى الطحان – المرأة في موكب الدعوة – مرجع سابق، ص79
[129] محمود عبد الحليم – الإخوان المسلمون، أحداث صنعت التاريخ – الإسكندرية، دار الدعوة: 1948، ص82
[130] محمود الجوهري، الخيال – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية – مرجع سابق، ص302
[131] المرجع نفسه، نفس الصفحة

المطلب الثالث
أحلام الحسن

في حديث صحفي قامت به الأخت هناء محمد[132] تكلمت السيدة أحلام الحسن وهي من الأخوات العاملات اللائي لهن قدم راسخة في الدعوة – تكلمت عن دور الأخوات وضرورته في العمل الإسلامي، وأنه فريضة تأثم الأخت بإهمالها أو إخضاعها لظروفها وأحوالها. وقدمت الأخت هناء الحديث بتعريف سريع لمحدثتها فيما يلي: البيت هو مملكة المرأة، وإسعاد الزوج وتهيئة الجو المناسب للعطاء والإنتاج هو واجب الأخت المسلمة في بيتها، وخدمة المرأة لمجتمعها وبنات جنسها واجب إسلامي[133].

ولعلني عندما تعرفت على الأخت أحلام حسن، وجدت فيها نموذج الأخت المسلمة المعاصرة التي يحتذى بها. بيتها الصغير عبارة عن مملكة هادئة وادعة؛ أثاثه غاية في البساطة، ومع ذلك في غاية الجمال والنظام والنظافة. وإذا صح القول بأن وراء كل داعية ناجح أخت مسلمة؛ فهي امرأة تقف وراء زوجها الأستاذ بالجامعة، تهيئ له ما يعينه في عمله الجامعي، وما يعينه على أداء واجباته نحو دعوته التي يؤمن بها ويضحي من أجلها[134].

وإيماناً منها بدور المسلمة في خدمة مجتمعها فقد خرجت للعمل – رغم أنها ليست في حاجة إليه – لتسهم في توجيه بنات جنسها وتعلمهن، وها هي تعمل في إحدي ثانويات البنات بالتدريس. وجدتها مثال الأخت التي تؤدي واجباتها نحو زوجها وبيتها وعملها، لا يطغى واجب على واجب، وقبل كل ذلك فقد وفقها الله للطاعة. سألتها كيف توفقين بين طاعة الله، وواجبات الزوج؟ قالت: كل ذلك بفضل الله أولاً، ثم بفضل زوجي الذي يعني على الطريق.

لذلك أحببت أن أقدم الأخت أحلام للأخوات المسلمات، وأن أطوف داخل فكرها بعدد من التساؤلات.

---

[132] مجلة لواء الاسلام في فترة إصدار الإخوان المسلمون العدد العاشر، السنة الثانية والأربعون، جمادي الأخرة 1408هـ - يناير 1988م

[133] محمود الجوهري، الخيال – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية – مرجع سابق، ص246

[134] المرجع نفسه، نفس الصفحة

- كيف تتصورين دور الاخت المسلمة كزوجة وداعية؟ دور الأخت المسلمة كزوجة معروف، ويدخل في نطاق واجبات الزوجية من حسن التبعل للزوج وأداء حقوقه على الوجه الأكمل الذي بينه لنا الإسلام، وحفظ زوجها في بيته وماله وأولاده وعرضه. إلا أن ما يجب التركيز عليه هنا هو أن كل زوجة يجب أن تعلم أن وقوفها بجانب زوجها؛ تعينه وتشد من أزره في سبيل الله هو مشاركة كاملة في الثواب، وأن رسالتها معه هي رسالة أساسية وليست فرعية أو تبعية، إنما هي نصيرة ومعينة على الحق الذي التقيا عليه؛ وتعاهدا على الجهاد في سبيله، وهو تحقيق عبودية الله في الأرض[135].
- ما رأيك في القصور أو الفتور الذي يعتري نشاط بعض الأخوات؛ خاصة بعد الزواج؟ فتور نشاط الأخوات ربما يرجع إلى زوجها؛ خاصة وأنه المتغير الذي طرأ على حياتها، فقد يكون انشغاله عن البيت، وعدم مداومة التوجيه لزوجته سبب رئيسي، ولا يصح للزوج أن يرجع تقصيره في توجيه زوجته وإرشادها إلى انشغاله بأمور الدعوة أو مشكلات الحياة؛ فهذا ادعاء باطل. أليست هناك أسباب للفتور تعود إلى الأخت نفسها؟ نعم. قد تكون أسباب فتور النشاط من الأخت نفسها؛ خاصة إذا كانت تجعل الزواج غاية وليس وسيلة، فإذا كانت كذلك فهي تظن أنها بالزواج من أخ مسلم ملتزم قد حقق غايتها في بناء بيت مسلم، مع أن الزواج ينبغي أن يكون بداية لنشاط واسع في سبيل الله. كذلك فإن بعض الأخوات – وهن قليلات – قد تضع كل همها في متاع الدنيا الزائل كالمال أو الولد والمظهر والذرية، تحت دعاوى كثيرة قد يزينها الشيطان لها[136].
- ما هي الكتب المفيدة للأخت المسلمة؟ هل هي الكتب التي تركز على شرح العقيدة والشريعة، أم تلك التي تهتم بالحركة الإسلامية وتاريخها، أم الكتب التي تركز على التربية الروحية، وبأي الكتب تبدأ الاخت؟ الأخت المسلمة

[135] محمود الجوهري، الخيال – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية – مرجع سابق، ص247
[136] المرجع نفسه، نفس الصفحة

تحتاج إلى الكتب الإسلامية التي تغطي جميع نواحي العمل الإسلامي؛ علماً وسلوكاً وعقيدة وحركة معاً، إلا أن الاستفادة من هذه الكتب لا بد أن تتم وفق المراحل الآتية حتى يتم النفع ولا يحدث ما لا يحمد عقباه:

أولاً: التركيز على كتب العقيدة؛ سواء فيما يتعلق بحقيقة الإيمان وما يترتب عليه، أو فيما يتعلق بعقيدة الجزاء ترغيباً وترهيباً.

ثانياً: كتب الفقه بالقدر الذي يتناسب مع واجبات الأخت المسلمة واستعدادها ورسالتها "الكتب الخاصة بالأسرة المسلمة عامة مثل حقوق الزوج، وتربية الأولاد، وأداب الأسرة، وصلة الرحم وهكذا.

ثالثاً: كتب الحركة والثقافة الإسلامية العامة:

- كثير من الرجال يعتقدون أن المرأة ينحصر دورها في المنزل فقط، ولا تصلح كداعية فهل هذا صحيح؟ وما رأيك؟ تصلح الأخت المسلمة في العمل خارج المنزل كداعية في إطار الضوابط الشرعية ودون اخلال بواجبها تجاه الزوج والأولاد، فلا بد من التوازن الدقيق بين هذا وذاك، مع العلم أن هذا المستوي قليلاً ما نجده بين الاخوات؛ وهو أمر طبيعي، فلم نسمع مثلاً عن عشرات مثل عن عائشة "أم المؤمنين" بين المؤمنات، وفي الصدر الأول سمعنا من آلاف الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم[137].

أفرزت المحن التي مرت بالإخوان المسلمين والأخوات المسلمات كثيراً من الأخوات المسلمات ذوات المعدن الأصيل، وبرز منهن داعيات مثل الأخت زينب الغزالي والأخت أمينة قطب وغيرها، ترى لماذا لا تتكرر نماذج مثل هذه الاخوات؟ نحن بإذن الله أملنا كبير في أن يتكرر عشرات مثل زينب الغزالي وحميدة قطب وأمينة قطب وأخريات لا يعلمهن الا الله وحده، والله لا يعجل بعجلة أحدكم، والخير في وفي أمتي حتى قيام الساعة. وشكر الله لك ذلك[138].

حركة الإخوان المسلمين استطاعت أن تبرز الدور الأساسي للمرأة، وحققت المرأة مكاسب تربوية دعوية للمجتمع، لأنها حركة مجتمع كاملة، ولذلك أعطت المرأة

[137] محمود الجوهري، الخيال – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية – مرجع سابق، ص247

[138] مجلة لواء الإسلام، عدد (11)، باب الأخوات المسلمات، ص51، (حديث صحفي أجرته الأخت هناء محمد مع الدكتورة شاه البنا)

الحق في كل مجالات العمل الدعوي والثقافي والاقتصادي وغيره، إلى أن صارت المرأة داعية فقيهة عالمة، أمثال ما ذكرنا وما لم نورد أسماءهن، وامتدت امتداد واسع، أمثال زينب الغزالي، حميدة، وأمينة قطب، وغيرهن ممن لم نذكر.

الفصل الثالث
دورة المرأة الدعوى في الجماعة السلفية

المبحث الأول

تعريف ونشأة وأهداف جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر

يحتوي علي أربعة مطالب:

المطلب الأول: مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية

المطلب الثاني: أصول جماعة أنصار السنة المحمدية وأهدافها

المطلب الثالث: وسائل جماعة أنصار السنة المحمدية وجهودها في الدعوة

المطلب الرابع: رؤية الجماعة للمرأة

المطلب الأول
مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية

أسس جماعة أنصار السنة المحمدية الشيخ محمد حامد الفقي مع نفر من أصحابه الذين كانوا يحملون الفكرة نفسها ، كان ذلك عام 1345هـ – 1926م ، ومن أبرزهم الشيخ محمد عبد الحليم الرمالي، والأستاذ محمد احمد القاضي، والشيخ عبد الوهاب العيسوي.[1]

اسمه ونشأته:

اسمه محمد حامد سيد احمد عبدو الفقي، ولد رحمه الله بقرية جزيرة نكلا العنب التابعة لمركز شبراخيت في سنة 1310هـ، الموافق 1892م ، ولقد نقش هذا التاريخ علي زراعه الأيسر بالوشم!!

الشيخ سيد احمد والفقي ، بدأ دراسته بالجامع الأزهر وقطع فيها شوطاً بعيداً ولكنه لم يتمها لظروف ألمت به وكان زميلاً في الدراسة بالأزهر للأستاذ الشيخ محمد عبدو بل وكان يساكنه في بيت واحد بشارع الباطنية.

أما والدته فكانت السيدة الوحيدة التي تحفظ القرآن في القرية، وتجيد القراءة ساعد هذا الجو العلمي الشيخ محمد حامد علي حفظ القرآن والتفقه، وتحصيل العلوم المختلفة.[2]

حياته العلمية:

بدأ الشيخ محمد حامد الفقي حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم حيث أتم حفظه في شهر رمضان من عام 1322هـ، 1904 وقد كان عمره وقتذاك اثني عشر عاماً وقد هيأه والده لتلقي العلوم بالأزهر علي الطريقة التي كانت متبعة آنذاك، وكان جليساً مع المبلسين ومخرفاً مع المخرفين، وداعياً إلي البدعة والجاهلية وعبادة الموتي والخشب والنصب مع الداعين ، فهداني الله إلي نور الهدي ، وكشف عن بصيرته حجب الجهل والعمي، وبصره بنور الحق من كتاب

---

(1) د. احمد محمد طاهر عمر ، جماعة انصار السنة المحمدية ، الطبعة الأولي ، 1425هـ-2004م ، المنصورة ، دار الهدي النبوية للنشر والتوزيع ، ص 53

(2) راجع جماعة أنصار السنة نشأتها وأهدافها ورجالها ، إدارة الدعوة والإعلام بالمركز العام ، ص20، الشيخ محمد حامد الفقي ، كتاب نور من القرآن جمع محمد رشدي خليل ، القاهرة ، طبعة مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية ، 1384هـ ، ص 4

الله وسنه نبيه المصطفي ، ووفقني بفضله إلي سبيل السلف الصالح من الصحابه والتابعين وأنقذه بذلك من طريق الردى فذاق من يومئذ حلاوة التوحيد الخالص والإيمان وتحقق الفرق العظيم بين الحق والباطل ، والهدي والضلال ، وبين توحيد الأنبياء والمرسلين ، وتوحيد المشركين والجهمية ،وبين آيات الله وحديث رسوله ، وبين شيطان المبطلين وزخارف المفترين وعرف لله تعالي مشيئته العظمي علي تلك الهداية ونعمته الكبرى في هذا التوفيق.[1]

ويتجلي تأثير الشيخ رحمه الله بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في المبادئ والأسس، والأهداف التي وضعها لدعوة جماعة أنصار السنة المحمدية، فهي وثيقة الصلة بما كان يدعو إليه الشيخ بن عبد الوهاب.

كما يظهر ذلك في كتابات الشيخ وتحقيقاته ونشره فقد ألف رسالة المسماة (أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيره) والتي تحدث فيها هذه الدعوة وكيف أنها قامت ببعث الأمة، وتبصيرها بدينها الحق، وما حصل من تضامن بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآل سعود وما قدموه له من نصرة وتأييد كان لها بالغ الأثر في انتشار الدعوة وعمران الديار السعودية.[2]

وقد كانت للشيخ علاقة متميزة مع جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية وما ذلك إلا لما رآه في الشيخ من غيره وهمه لنشر مذهب السلف وما رآه من تأثره بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان الملك عبد العزيز إذا زار القطر المصري يصلي في دار الجماعة بعابدين وقد شارك بسخاء في إنشاء هذه الدار.

وذكر الشيخ حامد أنه كان يحضر جلسات الملك عبد العزيز وقد عينه مديراً لإدارة الطبع والنشر بمكة المكرمة عندما كان مقيماً بأم القرى وكانت له علاقة متميزة مع علماء نجد والحجاز فكانوا يتبادلون الشيخ النادر من تراث السلف الصالح.[3]

---

(1) مجلة الهدي النبوي ، العدد الثاني جمادي الأولي 1356هـ السنة الأولي ص 706

(2) محمد حامد الفقي ، أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني ، القاهرة 1354هـ ، ص 51 ،

(3) أنظر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عقيدته ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه ، الطبعة الثالثة ، المكتب الإسلامي للطباعة ، 119 بيروت ، 13954هـ ، ص 129 ، ص 120

فقد أسس الشيخ عام 1356هـ- 1936م مجلة الهدي النبوي لتكون لسان حال الجماعة، والمعبرة عن عقديتها والناطقة بمبادئها فقد كان الشيخ رئيساً لتحريرها قرابة اثنين وعشرين سنة.

ويقول عن هذه المجلة "ولطالما تمنت نفسي أن أصدر صحيفة دينية علمية تضم صوتها إلي المصلحين، وتدعو إلي الحق والإرشاد ولقد حقق الله الأمنية وهو المستعان فلقد أخرجت جماعة أنصار السنة المحمدية مجلتها المباركة الهدي النبوي لتحقيق مما سبق ذكره من معالجة الأدواء التي تنخر جسم المجتمع الإسلامي هذا العصر والله ولي التوفيق".[1]

توفي الشيخ الفقي فجر الجمعة 7رجب 1378هـ الموافق 16يناير1959م، أثر عملية جراحية أجراها بمستشفي العجوزة، وبعد أن نجحت العملية أصيب بنزف حاد، وعندما أقترب أجله طلب ماء للوضوء ثم صلي ركعتي الفجر بسورة الرعد كلها، وبعد ذلك طلب من أخوانه أن ينقل إلي دار الجماعة حيث توفي بها.

وقد نعاه رؤساء وعلماء من الدول الإسلامية، وحضر جنازته واشترك في تشييعها من أصحاب الفضيلة وجميع مشايخ كليات الأزهر وأساتذتها وعلمائها وقضاة المحاكم.[2]

وقد جاء نعيه في جريدة الشعب بعنوان "فقيد العروبة والإسلام الشيخ محمد الفقي" منوهين جهوده في الدعوة إلي الله تعالي، وحرصه علي تعليم الناس سنة النبي صلي الله عليه وسلم في جميع شئون حياتهم.[3]

---

(1) مجلة الهدي النبوي ، العدد الأول ربيع الثاني 1356هـ ، السنة الأولي ، ص 3

(2) جماعة أنصار السنة المحمدية ، نشأتها ، ص 24

(3) أنظر جريدة الشعب بتاريخ 8رجب 1378هـ الموافق 17 يناير 1959م

المطلب الثاني

أصول جماعة أنصار السنة المحمدية وأهدافها

قامت جماعة أنصار السنة المحمدية علي أصول أصيلة ومتينة، كما كانت ترمي وتسعي لتحقيق أهداف سامية ومعان نبيلة، سالكة في تحقيق ذلك أجلي الطرق وأسمي الوسائل وقد انطلقت الجماعة منادية بهذه المبادئ حريصة علي تحقيق هذه،

ولخص مؤسس الجماعة الشيخ محمد حامد الفقي أهدافها وكانت كالتالي:

1. دعوة الناس إلي التوحيد الخالص.
2. إرشاد الناس إلي أخذ دينهم من نبعيه الصافيين صريح الكتاب وصحيح السنة.
3. إرشادهم إلي أن نصوص الكتاب والسنة لا محيد عنها البتة.
4. الدعوة إلي حب رسول الله صلي الله عليه وسلم، حباً صادقاً صحيحاً يحمل علي اتخاذه مثلاً أعلي.
5. الدعوة إلي مجانبة البدع ومحدثات الأمور.
6. محاربة الخرافات والعقائد الفاسدة.
7. إرشاد الناس إلي أن الله تعالي مدح الخير ووعد فاعله مغفرة وذم الشر وتوعد فاعله.
8. إرشاد الناس إلي أن حياتهم الدنيوية والأخروية مرتبطة كل واحد منها بالأخرى أوثق ارتباط.
9. إرشادهم إلي أن الفسوق والعصيان نتيجة لازمة لعدم إيمانهم بالله واليوم الآخر.
10. إرشاد الناس إلي أن أوامر الدين ونواهيه رحمة لهم.
11. إرشاد الناس إلي أن تحريم الرسول بتشريف القبور لأنه ظلم يمقته.
12. إرشاد الناس إلي أن الحكم بغير ما انزل الله تعالي هلكه في الدنيا وشقاوة في الآخرة.

13. إرشاد الناس إلي أن أصل الداء هو لسماحهم للنساء بارتياد الملاهي دور السينما.

14. إرشاد الناس إلي وجوب تمسكهم بالرجولة لتظل لهم القوامة علي نساءهم.

15. إرشاد الناس إلي أن موقفهم من صفات الرب سبحانه وأسمائه يجب أن يكون مطابقاً لمواقف الرسول صلي الله عليه وسلم، وصحابته رضي الله عنهم.[1]

بعد أن استقرت فكرة الدعوة السلفية في عقل الشيخ محمد حامد الفقي، وخالطت قلبه، أحس بنعمة الله عليه أن هداه للحق، وأن من واجبه أن يشكر الله تعالي علي هذه النعمة، وشكرها يكون بأن يقوم بالدعوة إلي الله عزل وجل، فبدأ بدعوة بالدعوة الفردية والدروس وخطب الجمعة وهو من كان معه في ذلك الوقت، ولكنهم لما رأوا أن الدعوة الفردية تموت بموت صاحبها أو سجنه فكروا في إنشاء جماعة أنصار السنة المحمدية: يقول الشيخ محمد صفوت نور الدين رحمه الله رئيس الجماعة (فلما أوقف الشيخ عن الدعوة وأعيدت إليه في مسجد الهدارة في عابدين أعيدت إليه الخطبة فيه، فكر في مجموعة من تلامذته في إنشاء جماعة للدعوة السلفية في مصر وسموها جماعة أنصار السنة المحمدية، وكان في ذلك الوقت الشيخ حامد علي علاقة بكثير من شيوخ الأزهر القائمين بأمره الدعوة السلفية[1]، علي رأسهم الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد الذي كان شيخاً للغة العربية في ذلك الوقت والشيخ عبد المجيد سليم ومشايخ آخرين يعملون في الأوقاف والدعوة كالشيخ محمد عبد الحليم الرمالي).[2]

---

(1) حسين بن محمد بن علي جابر ، الطريق إلي جماعة المسلمين ، الطبعة الأولي 1407هـ -1987م ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ص 264

(1) الأولي أن يقال: الذين لهم علاقة بالدعوة السلفية

(2) مجلة الهدي النبوي البريطقية ، العدد العاشر شوال 1417هـ - آزار 1996م السنة الأولي ، مركز الإمام البخاري بمنشستر ببريطانيا، الناشر الدار السلفية للنشر ، مانشستر ، ص 7

وقد وضح الشيخ حامد مبيناً تكوينه جماعة أنصار السنة المحمدية بعد اتخاذه مذهب السلف طريقاً له، وأنه أسس مع خيرة أخوانه جماعة انصار السنة من نحو عشرين سنة مضت، وكان هذا سنة 1345هـ – 1926م.

بعد أن تم تكوين الجماعة، واتخذت لها داراً، بعابدين بدأت في إشهار الفروع التابعة لها في إحياء القاهرة وغيرها من المدن داخل القطر المصري فكان أول الفروع التي تم إشهارها فرع القبة والجيزة ، ومصر الجديدة وغيرها.[3]

وهكذا تتابع افتتاح الفروع واتسعت رقعة الدعوة حتى تعدت القطر المصري إلي بعض الدول المجاورة كالسودان وأرتيريا وغيرها وأخذ عدد الأخوان يتزايد يوماً بعد آخر حتي تجاوز الألف بعد أن كانوا نفراً قليلين.[4]

ومن أظهر، واسطع الفروع في مصر فرع جماعة أنصار السنة المحمدية في دمياط ، وقد كان يعرف بجمعية الاعتصام بهدي القرآن، وفرع الجماعة في الإسكندرية، وفرع الجماعة في سوهاج الذي أسسه حبر الصعيد الأستاذ أبو الوفاء درويش.[5]

ويقدر عدد الفروع التابعة للجماعة في عام 1417هـ – مائة وثلاث وأربعين فرعاً في مدن وقري وأحياء ومصر.

---

(3) مجلة الهدي النبوي ، العدد الأول ربيع الثاني 1356هـ السنة الأولي ، ص 22-23

(4) مجلة الهدي النبوي ، مرجع سابق ص 23

(5) لقاء مع الشيخ صفوت نور الدين رئيس الجماعة في شعبان 1417هـ وزادت الان في مصر إلي 1500 فرع حسب التعداد الجديد للجماعة

المطلب الثالث

وسائل جماعة أنصار السنة المحمدية وجهودها في الدعوة

1. الدعوة للمؤتمرات في المناسبات المختلفة لتوعية العامة ولا تشارك المرأة في هذه المؤتمرات.
2. محاربة الأمية عن طريق:

أ. فتح فصول دراسية في كافة فروع الجماعة ومساجدها وفي معظم الأحيان محصورة في الرجال.

ب. إعداد مدارس للتعليم والإعداد والثانوي لتقوية الطلبة، وتشارك المرأة في هذا النشاط نادراً .

ج. إعانة الطلبة المستحقين لتمكينهم من مواصلة دراستهم.

3. البر بالفقراء والمساكين بقدر ما تسمح مالية الجماعة والتركيز علي الرجال.
4. رعاية الأعضاء وأسرهم اقتصادياً وصحياً واجتماعياً ، والرجل القيم هو الذي يتولي ذلك.
5. إلقاء المحاضرات العامة في الأخلاق الإسلامية والآداب الاجتماعية ومحصورة في الرجال.
6. طبع الكتب المؤيدة للسلف الصالح ونشرها بين المسلمين.
7. إصدار مجلة دينية علمية وتوزيعها بين المسلمين لتثقيفهم.
8. إقامة المساجد والمدارس والملاهي ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم لتنشئة أبناء المسلمين علي العقيدة الإسلامية الصحيحة.
9. إصدار الرسائل في الموضوعات التي تهم جميع المسلمين وبيان رأي الجماعة فيها.
10. تعليم المسلمين السيرة والسنة النبوية علماً وعملاً في مساجد الجماعة.

11. تيسير رحلات الحج والعمرة تيسيراً منظماً تحت إشراف الجماعة، ومن خلالها.[1]

بعد أن تأسست الجماعة في مدينة القاهرة وقام رجالها بنشر مبادئها فانتشرت دعوتها في أنحاء مصر حتي أصبح ما يقارب من الخمسين فرعاً ، في مصر وحدها، إلي جانب فروعها في السودان وكذا ما يتعاطف معها في باقي البلاد الإسلامية مثل المغرب والمملكة العربية السعودية وغيرها وكل فرع يمثل وحدة متكاملة وهو صورة عن المركز العام، كما يشرف كل فرع علي عدد من المساجد التابعة للجماعة في حدود منطقته ، وما يتبع ذلك في مدارس ومجمعات طبية.

1. قامت الجماعة ببناء ما يقارب الثلاثمائة مسجد في أنحاء مصر بكل لوازمها، وبعضها يضم مدرسة لمحو الأمية، ومجمع طبي وصالة للمحاضرات وعدد من الغرف لاستقبال الضيوف الزائرين للجماعة من الخارج.

2. قامت الجماعة بتأسيس عدد من المدارس لتحفيظ القرآن الكريم ومحو الأمية.[1]

3. يتبع الجماعة عدد من المجمعات والمستوصفات الطبية، والتي يداوم فيها عدد من أطباء الجماعة في تخصصات مختلفة، وتقوم هذه المجمعات بعلاج المرضي بأجرة رمزية.

4. أصدرت الجماعة مجلتين إسلاميتين شهيرتين، الأولي باسم الهدي النبوي، والثانية باسم التوحيد ثم أوقفت الولي وتابعت الثانية مسيرتها وهي مجلة واسعة الانتشار في العالم الإسلامي.

5. تقوم الجماعة بتقديم الكثير من المساعدات للأسر الإسلامية الفقيرة.

6. تقيم الجماعة مؤتمرات إسلامية في فترات مختلفة بحسب المناسبات والأعياد، تقوم فيها بتوعية الأمة ، ونشر الفضيلة بينهم.[1]

---

[1] حسين بن محمد بن علي جابر، الطريق إلي جماعة المسلمين الطبعة الأولي ، دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة، ص 269-271

[1] جاء في مجلة التوحيد العدد 6 لسنة 1393هـ ما يلي (تم بحمد الله افتتاح قسم بدار الفرع بدمياط لتحفيظ القرآن الكريم وقد تقدم حتي الآن 26 طالباً للالتحاق وبدأ القسم فعلا مباشرة مهمته الجليلة ويجري الآن الإعداد لفتح فصول لمحو الأمية)

ومع ذلك والفضل لله عز وجل أتممت هذه الرسالة، وبتوفيق الله تعالي طوفت في دراسة موضوع جماعة أنصار السنة المحمدية وجهودها في نشر السلف وانتهيت إلي نتائج أهمها:

- إن جماعة أنصار السنة المحمدية تعد مظهراً من مظاهر تجديد الدين الذي هو سنة الله تعالي، وظهرت في القطر المصري الذي يعيش كغيره من البلاد الإسلامية واقعاً كثر في الابتعاد عن الدين بتفشي مظاهر الشرك والبدعة والخرافة، لعوامل تسلط الاستعمار وتقليد الغرب.
- إن مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية (الشيخ محمد حامد الفقي) شخصية قوية، تحرك بقوة يدعو إلي التوحيد وينشر السنة حتي أثمرت دعوته وصار لها آثار واسعة.
- إن أصول وأهداف دعوة الجماعة مستمدة من الكتاب والسنة علي فهم سلف الأمة.
- اختلاف نوع النشاط بين جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر وجماعة أنصار السنة في السودان تأليفاً وعملاً ميدانياً عائد إلي كثرة العلماء وفي مصر ووفرة الدعاة واقتحامهم للمجالات الدعوية في السودان.
- أنصار السنة المحمدية في مصر وجماعات أنصار السنة في غيرها من البلدان وبين الجماعات السلفية مؤخراً ، ولذلك بسبب عوامل خارجة عن إرادتها.
- إن جماعة أنصار السنة لا يمنعها مخالفتها في الرأي لجماعات أخرى دعوية من أن يكون لها صلات وعلاقات وارتباطات معها.
- أن بعض ما استدرك علي جماعة أنصار السنة المحمدية هو أخطاء الأفراد منهم لا تعتبر ممثلة لمنهجهم.

(1) الطريق إلي جماعة المسلمين ، مرجع سابق ، ص 27-271

- إن منهج أنصار السنة في الإصلاح يجب أن يبدأ بإصلاح الفرد والأسرة والمجتمع وهو منهج المصطفي صلي الله عليه وسلم في الدعوة وبه صلاح الدول.
- أن عدم تقبل دعوة جماعة أنصار السنة وإثارة الشبهات حولهم عائد إلي التشدد في تقديم المنهج النبوي.

هذه أبرز الجوانب التي لمستها من خلال معالجة جزيئات هذا الموضوع والله أسأله الإخلاص في القول والعمل وأن يجعل خير أيامنا خواتمها.

المطلب الرابع
رؤية جماعة أنصار السنة المحمدية للمرأة

تتهم جماعة أنصار السنة المحمدية بأنها تنظر للمرأة وقضاياها نظرة سيئة ونظرة دونية، ولعل هذه من شبهات أصحاب الفكر التقريبي والعلمانيين ويذكرون من ذلك علي حد قولهم اضطهاد المرأة ومنعها من حقوقها وحجابها وحدود تعاملها مع الرجل إلي غير ذلك وترد الجماعة علي هذه الشبهة بأن منهجها في قضايا المرأة والعلاقة بينها وبين الرجل مبني علي أحكام الشريعة الإسلامية السمحة ومأخوذ من كتاب الله وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم وأنها ما قررت أمراً في قضية المرأة إلا ولها فيه برهان من الكتاب والسنة فالاعتراض علي الجماع في هذا المضمار اعتراض علي الشريعة الإسلامية وللجماعة عناية خاصة بالمرأة وتربية واعداد واهتمام بتعميمها، فهي تقيم لها دروساً ومحاضرات وأسابيع ثقافية وفي السودان يوجد معهد لإعداد الداعيات ومعهد ثانوي ومركز لرياض الأطفال ومحو الأمية والتدبير المنزلي ومشغل للخياطة ، إضافة إلي تعليم الحاسب الآلي والكمبيوتر .

وللجماعة اهتمام واسع بأمر الأسرة فما من أسبوع ثقافي أو معرض إلا وفيه جناح خاص لمناقشة قضايا المرأة والمناداة بإكرامها.[1]

نقد الجماعة في نظر الآخرين:

فقد نقد الجماعة في صورة الدعوة السلفية نقدها كثير من المعاصرين منهم الدكتور صادق أمين في كتابة الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية:

- كون الجماعة لا تمثل حركة ذات منهج في التربية والتكوين والتخطيط.
- كون الجماعة ليس لديها أهداف مرحلية محددة.
- كما لا يوجد عندها تنظيم يربط أفراد الجماعة ببعضهم البعض.
- اقتصار الجماعة علي عدد قليل من المتدينين.
- كون جهد الجماعة يذهب في الجدال حول فرعيات الدين والتي ليس من مصلحة الدعوة الإسلامية الخوض فيها في الوقت الحاضر.

---

[1]) من مرجع جماعة أنصار السنة المحمدية ، نشأتها أهدافها منهجها جهودها ، د. محمد أحمد محمد طاهر ، مرجع سابق

- اعتبارهم النظام والتنظيم بدعة عصرية لا أصل لها.
- اعتبارهم البيعة لإمام أم أمير أيضاً بدعة عصرية لا أصل لها.(1)

ومن الذين تعرضوا أيضاً لنقد الجماعة أيضاً سليم الهلالي وزياد الربيج في كتابهما الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة ومن مأخذهما عليها:

- أنها غير جادة في استئناف الحياة الإسلامية وانشاء المجتمع الإسلامي ، لأن ذلك يقتضي وجود جماعة منظمة لها أهدافها وهذا ما تفقده الجماعة.
- افتقار الجماعة إلي خطة في التربية الإسلامية.
- كون الجماعة تعارض في النظام والتنظيم مدعية أنه غير ضروري ولا جدوى منه.(1)

تتفق مع الذين نقدوا الجماعة وذلك بأن المنهج المتبع نجد فيه عدم التجديد لأن الدين تجديد وليس تجميد ولا توجد امرأة عالمة في جماعة أنصار السنة لأن الجماعة لا تولي المرأة اهتماماً بل ويظهر ذلك في تعاملها مع المراة من حيث رؤيتها للمرأة من حيث وجودها داخل الجماعة فنجد الغياب التام وذلك لأنهم يرون بعدم خروج المرأة وعدم اختلاطها بالرجال في عمل الجماعة وعدم خروجها من المنزل للعمل أو لغيره جاء ذلك التقييم بعد لقائي بالشيخ محمد هاشم الهدية[1] والشيخ أبو زيد محمد حمزة[2] وهم من قيادات الجماعة وقد وردت رؤية شيخ أبو زيد عن المراة في مصر لمعاصرته للجماعة في مصر ووجوده بها وأخذه الفكرة من الشيخ محمد حامد الفقي ويقول شيخ الهدية أنه لا توجد رؤية واضحة للمرأة في جماعة أنصار السنة بمصر وليست هنالك أية علاقة بينهم وبين الجماعة في مصر وإذا نظرنا لدور المرأة في جماعة أنصار السنة في السودان أيضاً يغيب وجودها وأيضاً في كثير من المجالات من حيث وضعها داخل هيكل الجماعة كما هو وارد في البحث وذلك لرؤيتهم للمرأة بأنها عورة يجب المحافظة عليها دون

---

(1) أنظر للدعوة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 86-87

(1) نقلاً عن الطريق إلي جماعة المسلمين ، مرجع سابق ، ص 272 ، مختصر كتاب الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة ، ص 93-96

[1] لقاء مع الشيخ محمد هاشم الهدية ، الأمين العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان ، الخميس 2005/12/15م

[2] لقاء مع الشيخ أبو زيد محمد حمزة ، عن قيادات جماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان ، يوم السبت الموافق 2005/12/10م

النظر إلي أن المرأة والرجل من أصل واحد وساوي الله بينهما من حيث العبادة وتقوي الله والمحاسبة.

المبحث الثاني

تعريف ونشأة وأهداف الجماعة السلفية

ويحتوي علي ثلاثة مطالب

المطلب الأول: تعريف السلف

المطلب الثاني: نشأة السلفية

المطلب الثالث: أهداف الدعوة السلفية

المطلب الأول
تعريف السلف

يقول ابن فارس: ''السين واللام والفاء، أصل يدل على تقدم وسبق، من ذلك الذين مضوا والقوم السلاف: المتقدمون''[1].

ويقول الأصفهاني: ''السلف المتقدم''[2] مستنداً على قوله تعالى: (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ)[3]، وقوله تعالى: (فَلَهُ مَا سَلَفَ)[4] وقوله تعالى: (إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ)[5].

وكذلك جاء في معنى السلف: (سلف الرجل آباؤه المتقدمون، والجمع أسلاف وسلاف)[6].

ومن السنة الشريفة حديث فاطمة – رضي الله عنها – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: (ولا أراني إلا وقد حضر أجلي وإنك أول أهلي لحوقاً بي ونعم السلف أنا لك)[7]، وقوله صلى الله عليه وسلم في الدعاء لأهل القبور: (السلام عليكم يا أهل القبور أنتم سلفنا ونحن بالأثر)[8].

وهناك معنيان آخران للسلف ''كل عمل صالح قدمته فهو لك سلف، وقد سلف له عمل صالح. والثاني كل من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل''[9].

وكذلك في معنى السلف اللغوي يقول ابن الأثير: ''السلف التقدم والسبق سواء بالعمل الصالح، أو من تقدم من الآباء ذوي القربى وغيرهم، ومن هنا سمي الصدر الأول من التابعين بالسلف الصالح''[10].

---

[1] ابو الحسن أحمد فارس – معجم مقاييس اللغة – مجلد 3، باب السين واللام، بيروت، دار الجيل، طباعة 1411هـ - 1991م، ص95
[2] الراغب الأصفهاني – مفردات ألفاظ القرآن – دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ط 1415هـ - 1996م، ص3
[3] سورة الزخرف، من الآية 56
[4] سورة البقرة، من الآية 275
[5] سورة النساء – الآية 22
[6] الحسن بن محمد – العباب الزاخر – مادة سلف، ص298
[7] رواه مسلم في صحيحه – شرح الإمام النووي – المجلد الثاني، كتاب فضائل الصحابة، فضل فاطمة، دار الفكر للطباعة والنشر، 1401هـ - 1981م، ص7
[8] الترمذي في صحيحه – شرح الإمام ابن العربي المالكي – ج4، باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، 1350هـ - 1931م، ص273
[9] جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور(630-711هـ) – لسان العرب – ط1، ج3، مجلد 8، ط بيروت، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، 1375هـ - 1956م، ص53
[10] الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير – النهاية في غريب الحديث – ج2، بيروت، ط إحياء علوم التراث، بدون التاريخ، ص390

نجد هناك عدة آراء في تحديد مفهوم السلف اصطلاحاً، من ناحية تاريخية زمنية ومن ناحية منهج وطريقة.

1. **الناحية التاريخية الزمنية:** فمن ذهب في تحديد مفهوم السلف في إطار الزمنية التاريخية، يشير إلى أن السلف هم الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون لهم من أهل القرون الثلاثة الأولى من صدر الإسلام، استناداً إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته)[11].

وهناك من وسع الدائرة الزمنية ليشمل مفهوم السلف كل من عاش قبل القرن الخامس الهجري، وشاهدهم في ذلك رواية عمران[12] للحديث عندما شك في عدد القرون التي شملتها الخيرية (أخيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)، قال عمران: لا أدري أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قرنه قرنين أو ثلاثة[13].

يظهر جلياً في هذه الآراء التي حددت مفهوم السلف لفترة زمنية شملت الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وتابعي التابعين، لأنهم كانوا الأقرب إلى عصر الرسالة، بل كان منهم من لازم الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان علمهم بالكتاب والسنة أعمق، وخبرتهم بمقاصد الشريعة أوسع، ذلك لصفاء نفوسهم وقلوبهم، وذكاء عقولهم، وشدة تقواهم، وعظم تبجيلهم للرسول صلى الله عليه وسلم، فنتج عن هذا قوة تمسكهم بالكتاب والسنة، وامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فكانوا سلفاً صالحاً[14].

---

[11] رواه البخاري في صحيحه – كتاب الشهادات – باب لا يشهد على شهادة الجور، مجلد 1، جزء 338/31، ط استانبول، دار سحنون، 1413هـ - 1992م

[12] عمران: هو عمران بن حصين الخزاعي، أسلم يوم خيبر، وغزا عدة غزوات، كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم، كان يحيي الملائكة وتسلم عليه، توفي سنة 52هـ - الأصالة في تمييز الصحابة – لشهاب الدين بن الفضل أحمد بن علي العسقلاني، المعروف بابن حجر، المتوفى سنة 853هـ ج7، ص155

[13] رواه مسلم في صحيحه – كتاب فضائل الصحابة – باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، مجلد 6، ج16، ط استانبول، دار سحنون، 1413هـ - 1992م، ص78

[14] ابن تيمية – مجموع الفتاوى – مجلد 3، ص29، 30

2. **مفهوم السلف الاصطلاحي:** ''فإذا كان السلف هم الصحابة رضوان الله عليهم، فإن من جاءوا بعدهم سائرين على دربهم، حاملين نهجهم، يحق لهم أن يتسموا بأصحاب المنهج السلفي لاشتراكهم معاً في المنهج والسبيل''[15].

وإلى هذا المعنى أيضاً أشار ابن القيم[16] حينما لخص صفات السلف الصالح ومن سار على نهجهم فقال: ''ثم سار على آثارهم الرعيل الأول، ودرج على منهجهم، زاهدين في التعصب للرجال، واقفين على الحجة والاستدلال، يسيرون مع الحق إن سارت ركائبهم، ويستقلون مع الصواب حيث استقلت مضاربهم، إذا بدا إليهم الدليل بأخذه طاروا إليه زرافات ووحداناً، وإذا دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أمر انتدبوا إليه، ولا يسألونه عما قال برهاناً، ونصوصه أجل في صدورهم وأعظم في نفوسهم من أن يعتدي عليها قول أحد من الناس، أو يعارضها برأي أو قياس''[17].

فإن من خلال هذه الإشارات التي تحدد مفهوم السلف بالناحية المنهجية السلفي هو من سلك طريق الصحابة والتابعين وانتهج بنهجهم، احتكاماً إلى كتاب الله جل وعلا، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مطبقاً للكتاب والسنة منهجاً في حياته، ودون تحريف أو تأويل، مثبتاً لله من الصفات ما أثبته لنفسه، أو حكاه الرسول صلى الله عليه وسلم دون تشبيه أو تمثيل أو تعطيل.

---

15 عمر أشقر – أسماء الله وصفاته – دار النفائس، ط2، 1414 هـ ص95

16 ابن القيم: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي، الفقيه الأصولي المفسر النحوي العارف المعروف بابن القيم الجوزية، لازم ابن تيمية ودرس عليه وتأثر به، له تصانيف كثيرة توفي 13 رجب 751هـ. وردت هذه الترجمة في كتابه مدارج السالكين – الجزء الأول، الناشر دار التراث العربي: القاهرة

17 ابن القيم الجوزية – أعلام الموقعين عن رب العالمين – ج1، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ، ص6، 7

المطلب الثاني

نشأة السلفية في السودان:

بداية الدعوة السلفية في الثلاثينات، في عهد المستعمر، ولكنها كانت تمشي في خطى وئيدة، وانها تجد معارضات من جماعات متعددة اعتقدت إننا نحطم مبادئهم أو كما يزعمون، عادونا ولم نعاد فيهم أحداً، وكل الذي نهدف أن نصحح مفهوم الدين في أذهان المسلمين، حتى لا يستغلوا باسم الدين. ويبين شيخ الهدية أمين عام جماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان أصول الدعوة ومنهاجها فيقول: ''إننا نتكلم عن شعار الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل[18]، ذلك في قوله تعالى: (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)[19]. هذا القرآن الذي جعل من أمة العرب الضعيفة، المشتتة، الفقيرة، التي ليس لها كيان في ذلك التاريخ، جعل منها أمة مرهوبة رغم قلتها، يؤكد هذه الحقيقة رجل من أبنائها يوم أن امتن الله عليهم بقوله تعالى: (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[20].

جاء في حديث شيخ الهدية في لقاء معه في مجلة الاستجابة: ''كان هذا الحي من العرب من أذل الناس وأشقاهم عيشة حتى جاء الله بالإسلام، فمكن بهم الأرض ووسع به الرزق وجعلهم به ملوكاً على رقاب الناس''[21].

---

[18] مجلة الاستجابة - كلمة الشيخ الهدية - السنة الثانية، العدد الخامس، جمادي الأولى 1407هـ ص13

[19] سورة إبراهيم ، الآية 1

[20] سورة الأنفال ، الآية 26

[21] مجلة الاستجابة - مرجع سابق - كلمة الشيخ الهدية، ص13

المطلب الثالث
أهداف الدعوة السلفية

1. توحيد المسلمين تحت عقيدة واحدة، ومنهج تشريعي واحد، وذلك حتى يسهل إقامة الأمة الواحدة التي تنضوي تحت علم واحد وإمام واحد.
2. تنقية المجتمع الإسلامي من الشرك والبدع والخرافات والخلاعة والمجون، وذلك لإيجاد المجتمع النظيف الذي يصلح لتربية أجيال المسلمين.
3. بناء المسلم الطيب، الزكي النفس، الموحد، البعيد عن الشرك والتعصب والخرافة والجهل.
4. محاربة الأفكار الدخيلة التي اجتاحت شباب الإسلام، وخاصة أفكار الملاحدة الشيوعيين والزنادقة.
5. تخليص العالم الإسلامي من أعداء الإسلام الذين غزوا دياره، ومزقوا شمله، وفرقوا أوطانه لتقوم للمسلمين أمتهم ودولتهم العزيزة[22].

عليه إن السلف أهل السنة والجماعة، لهم ميزات وصفات عظيمة، جعلتهم أهلاً لأن يكونوا أصحاب المدرسة السلفية المتميزة، ذات المنهج الواضح الساطع؛ الذي يقوم على قواعد راسخة في العقيدة، مصدرها كتاب الله العزيز، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقول ابن تيمية عن السلفية: ''أما السلفية؟ نقول: من وافق الكتاب والسنة فهو صاحب سنة، ومن خالف السنة فليس صاحب سنة. ونحن نقول: السلف هم أهل السنة والجماعة، ولا يصدق الوصف على غيرهم أبداً ... وأهل السنة والجماعة هم السلف معتقداً حتى المتأخر إلى يوم القيامة، إذا كان على طريق النبي صلى الله عليه وسلم فهو سلفي''[23].

السلفيون لهم ميزات وخصائص امتازوا بها عن غيرهم، ويظهر ذلك في آراء العلماء على النحو التالي:

---

[22] ابن تيمية – مجموعة الفتاوى – مرجع سابق، ص51

[23] محمد صالح العثيمين – شرح العقيدة الواسطة لابن تيمية – مجلد 1، ط2، الدمام، دار لبناء الجوزي، 1415هـ ص53 – 54

1. ثباتهم على الحق وعدم تقلبهم، مخالفين بذلك أهل البدع والأهواء. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ''فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف ما عند أهل الكلام والفلاسفة''[24].
2. اتفاقهم في أمور العقيدة، إذ نجد من أهم ميزات أهل السنة والجماعة تجاه أمور ''اتفاقهم وعدم اختلافهم، مع اختلاف المكان والزمان، وهذا ما يمكن أن يسمى بالوحدة الفكرية عندهم، فأهل السنة في أي قرن من القرون، وفي أي مكان، لو اختبرت الواحد منهم لوجدته يحمل من العقيدة والمنهج مع القناعة التامة بذلك مثل ما يحمله الآخر''[25].
3. اعتقادهم بأن طريقة السلف الصالح هي الأسلم، ويعتقدون اعتقاداً راسخاً بأن طريقة السلف الصالح هي الأسلم والأحكم.

ويقول ابن تيمية رداً على أهل الكلام الذين يقولون طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أحكم، يقول: ''وقد كذبوا على السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال في تصويب طريقة الخلف''[26].

وصف ابن تيمية السلف الصالح أهل الطريقة الأسلم فيقول: ''... من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسول، أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، الذين هم بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا، الذي وهب الله لهم من العلم ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، فضلاً على سائر الأمم الذين لا كتاب لهم''[27].

4. حرصهم على نشر العقيدة: هذه أيضاً من ميزاتهم، إذ يهدفون إلى تعليم الناس العقيدة الصحيحة وإرشادهم والنصيحة لهم، لا سيما بين الشباب ''حرصهم على تنشئة الشباب على السنة، لأن الشباب إذا نشأ على السنة وعلى تلاوة القرآن وصحبة السنة ومدارستها، وما ينشأ عن ذلك من مجالسة أصحابها

---

24 ابن تيمية – المرجع السابق – نفس الصفحة
25 د. عبد الرحمن المحمود – موقف ابن تيمية من الأشاعرة – مجلد 4، القاهرة،ط 1404 هـ ص5
26 ابن تيمية –مجموعة الفتاوى – مرجع سابق، ص9
27 ابن تيمية – مجموعة الفتاوى – المرجع السابق، ص11

والتعلم منهم، إن من نعمة الله على الشباب إذا نسك أن يوافي صاحب سنة يحمله عليها''[28].

5. علمهم بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم: كانوا أعلم بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم فأحبوه، فكانت الموالاة له واتباع سنته ولزومها. يقول ابن تيمية: ''فإنه متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق، وأعلمهم بالحقائق، وأقومهم؛ قولاً وحالاً، لزم أن يكون أعلم الناس بالخلق بذلك وأعظمهم موافقة له واقتداء به أفضل الخلق''[29].

6. توسطهم: وهذا من أعظم ميزاتهم، إذ يدخل أهل التوسط بإذن الله في الأمة التي أشار إليها المولى سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[30].

ويقول ابن كثير[31]: ''الوسط هنا الخيار''[32]. ويقول ابن تيمية: ''أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل''[33]. ويبين لنا شيخ الإسلام ابن تيمية الوسطية من ناحية عقائدية لأهل السنة والجماعة فيقول: ''فهم وسط في باب صفات الله تعالى بين أهل التعطيل والجهمية وأهل التمثيل المشبه هم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية[34] والجبرية[35] والوعيدية[36] من القدرية وغيرهم''. وفي باب أسماء الإيمان والدين بين العروبة والمعتزلة[37]، وبين المرجئة والجهمية، وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الروافض[38] والخوارج''[39].

---

[28] أبو القاسم هبة الله بن الحسين منصور اللالكائي – شرح السنة – مجلد 31/1، الرياض، دار طيبة للنشر، ص110

[29] ابن تيمية – مجموع الفتاوى – كتاب الأسماء والصفات، مرجع سابق، ص141

[30] سورة البقرة، الآية 143

[31] هو الإمام المحدث الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيس البصروي، ولد سنة 700 هـ له التفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله في التفاسير – طبقات الحفاظ للذهبي – تأليف جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفي سنة 911هـ دار الفكر العربي، ص361

[32] ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – مجلد 2، ص283

[33] ابن تيمية – مجموعة الفتاوى – مرجع سابق، ص455

[34] القدرية: قالوا إن كل فعل هو إرادته المستقلة عن إرادة الله سبحانه وتعالى. ومن هؤلاء المعتزلة، الإمام محمد أبو زهرة – تاريخ المذاهب الإسلامية – بدون تاريخ، بيروت، دار الفكر العربي، ص11

[35] نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب، إذ العبد لا يتصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة ولا إرادة ولا اختيار، أبو زهرة – تاريخ المذاهب الإسلامية – مرجع سابق، ص104

[36] الوعيدية: من القدرية

[37] هذه الفرقة نشأت في العصر الأموي ولكنها شغلت الفكر الإسلامي في العصر العباسي ردحاً من الزمن، قال الأكثرون: رأس المعتزلة هو واصل الذي قال صاحب الكبيرة في منزله بين المنزلتين، واعتزل مجلس الحسن البصري واتخذ له مجلساً آخر في المسجد، كتاب أبو زهرة – تاريخ المذاهب الإسلامية – مرجع سابق، ص124

[38] اقترن ظهور الروافض بظهور الشيعة، فقد ظهر كلاهما كفرقة في عهد علي، وقد كانوا من أنصاره، وإن كانت الشيعة فكرتها أسبق من فكرة الخوارج، محمد أبو زهرة - تاريخ المذاهب الإسلامية - مرجع سابق، ص141

المنهج السلفي منهج أهل السنة الذي قوامه الكتاب والسنة، تميز بميزات وخصائص كثيرة، ميزته عن مناهج أهل البدع والأهواء والفرق والطوائف الأخرى من ناحية العقيدة.

وأهم الخصائص العقائدية والميزات[40]:

1. المصدر الحق والنبع الصافي الوحي كتاب الله العزيز وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة.
2. من ميزات هذا المنهج يهب النفس الطمأنينة والسكينة.
3. يربط المسلم بسلفه الصالح.
4. الارتباط بالكتاب والسنة والانصراف عما سواهما.
5. تحكيم الكتاب والسنة امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[41].
6. جمع الصف المسلم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[42].
7. الدخول في الطائفة التي بشرها الرسول صلى الله عليه وسلم بالنصر والظهور في الدنيا، والنجاة والفوز في الآخرة.
8. التمسك بهذا المنهج العقائدي من أعظم أسباب الثبات على الدين.
9. له تأثير كبير على السلوك والأخلاق، فتحصل الاستقامة على دين الله.
10. هذا المنهج من أعظم أسباب القرب لله والفوز برضوانه[43].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ''وإذا تأمل اللبيب الفاضل هذه الأمور تبين له مذهب السلف والأئمة في غاية الاستقامة، والسداد والصحة، والاطراد، وإنه مقتفى المعقول الصريح، والمنقول الصحيح، وأن من خالفه كان مع تناقض قوله

[39] ابن تيمية – مجموعة الفتاوى – مرجع سابق، ص141
[40] ابن تيمية - مجموعة الفتاوى - المرجع السابق، ص49
[41] سورة النساء ، الآية 65
[42] سورة آل عمران ، الآية 103
[43] انظر مجموعة الفتاوى لابن تيمية، مرجع سابق، ص49 - 51

المختلف، الذي يؤفك عنه من أفك خارجاً عن موجب العقل والسمع مخالفاً للفطرة''[44].

ويعضد هذا السفاريني يقول: ''المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان وأئمة الدين ممن شهدوا له بالإمامة وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف، دون من رمي ببدعة، واشتهر بلقب غير مرضي، مثل الخوارج والروافض والقدرية والجبرية والمعتزلة ونحو هؤلاء من الفرق لما كان تفشي البدع وظهورها بعد المائتين لما عربت الكتب الأعجمية''[45].

ومع ظهور تلك الفرق وما ترتب على ظهورها من بدع ومفاسد واستهداف المنهج الحق، الذي كان عليه السلف الصالح، وزاد البلاء، وأظهر المأمون القول بخلاف القرآن، وظهر مذهب الاعتزال ظهوراً لا مزيد عليه بسبب انحراف الخلفاء عن المذهب الحق''[46].

في ذلك الوقت قام نفر كريم من السلفية يزودون عن المنهج الحق، منهج المدرسة السلفية، ويردون عن كل تهمة وافتراء، ''وكان الذي قام في نحورهم، ورد فعالتهم، وإبطال مذهبهم وتزييفه، وذم من ذهب إليه أو عول عليه، أو انتمى إلى ذويه، أو ناضل عنه، أو مال إليه سيدنا وقدوتنا الإمام أحمد بن حنبل[47] تنسب مذهب السلف إليه وعول أهل عصره من أهل الحق فمن بعدهم عليه''[48]. ويشير كذلك موضحاً شمولية المنهج والذين ينتهجونه فيقول: ''وهذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر المعروفين بالسنة المقتدى بهم فيها''[49].

هذا يعني عظم المنهج وتفرده بالإتباع دون غيره من المناهج، فهو الحق، ولذا نجد أهل الحق يتمسكون به، يدافعون عنه، لأن الحق لا يضيع بل يتبع،

---

[44] ابن تيمية – مجموعة الفتاوي – كتاب الأسماء والصفات، المرجع السابق، ص212 – 213

[45] محمد بن أحمد السفاريني - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر البهية في قصيدة الفرقة المرضية – ج1، بدون تاريخ، القاهرة، مطبعة المنتني، ص20 – 21

[46] محمد بن احمد السفاريني، المرجع السابق، ص20

[47] أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال أبو عبد الله، إمام المحدثين، وناصر للدين، ولد سنة 164 هـ ومات سنة 241هـ - كتاب تاريخ البغداد للحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، مجلد 4، إصدار دار الكتب العلمية، بيروت، ص412 – 413

[48] محمد السفاريني – لوامع الأنوار البهية، مرجع سابق، ص20

[49] محمد السفاريني – لوامع الأنوار البهية – المرجع السابق، نفس الصفحة

وينسب إلى الحق من اتبعه، وهل بعد الكتاب والسنة حق؟ لذا نجد أئمة المذاهب – رحمهم الله – جميعهم سلفيون، وما كانوا ليعرفوا بها وهم كذلك إلا إنهم على قدم المصطفى عليه الصلاة والسلام، وقدم أصحابه رضوان الله عليهم، وقد عرفوا بها قبل نشوء الحركات والجماعات الإسلامية المعاصرة بقرون، فالأئمة الأربعة وأمثالهم هم سادة السلفية وأئمتهم"[50].

[50] محمد إبراهيم شقرة – هي السلفية نسبة وعقيدة ومنهجا – ط1، مكة المكرمة، 1413هـ - 1992م، ص18

المبحث الثالث
المرأة في الجماعة السلفية

يحتوي علي مطلبين مطالب

المطلب الأول: مكانة المرأة في الجماعة السلفية من حيث الخلق والتكوين

المطلب الثاني: مكانة المرأة في الجماعة السلفية من حيث الأدوار الدعوية والاجتماعية والسياسية

المطلب الأول
مكانة المرأة في جماعة أنصار السنة المحمدية

في إطار معرفة وضع المرأة في الحركات الإسلامية المعاصرة كان هدف البحث الوقوف على رؤية الجماعات الإسلامية ودور المرأة ووضعها داخل أي حركة من تلك الحركات. وفي هذا الفصل نوضح رؤية جماعة أنصار السنة المحمدية ومفهوم المرأة ووجودها داخل الجماعة.

يقول محمد هاشم؛ أمين عام جماعة أنصار السنة المحمدية: ''كانت المرأة في الجاهلية تؤد وهي طفلة، ثم متاع يورث كما تورث الممتلكات، وجاء الإسلام بكتابه الذي أحدث في الحياة نظاماً جميلاً ملأ لحياة زينة وطمأنينة، ونظاماً كله عدل، لا سيما جانب المرأة. والأفضل أن أقدم الآيات من القرآن التي تحدد وضع المرأة في الحركة السلفية التي أعادت للسلفية قوتها ومكانتها.

يقول تبارك وتعالى في كتابه العزيز: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[51].

أورد سيد قطب في قوله تعالى: ''يا أيها الناس المختلفون أجناساً وألواناً، المتفرقون شعوباً وقبائل، إنكم من أصل واحد، فلا تتفرقوا ولا تختلفوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بدداً''[52].

يا أيها الناس، والذي يناديكم هو ربكم الذي خلقكم من ذكر وأنثى، وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوباً وقبائل، إنها ليست التناحر والخصام، وإنما هي التعارف والوئام، فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع الحاجات، وليس اللون والجنس واللغة والوطن وسائر المعاني من حساب في ميزان الله. ''إنكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب، ولينتهين قوم يفخرون، وليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان''[53].

---

[51] سورة الحجرات ، الآية 13

[52] سيد قطب – في ظلال القرآن– ط17، دار الشروق، 1412هـ - 1992م، ج26، ص3603

[53] رواه أبو بكر البزار في مسنده من حديث حذيفة

قال القرطبي في قوله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى): ''الأولى يعني آدم وحواء، الثانية: إنه خلق الخلق من الذكر والأنثى، وكذلك في أول سورة النساء، لو شاء لخلقه دونها كخلقه لآدم، أو دون ذكر كخلقه لعيسى عليه السلام، أو دون أنثى كخلقه لحواء من إحدى الجهتين. وهذا الجائز في القدرة لم يرد به الوجود. الثالثة: خلق الله الخلق بين الذكر والأنثى إنساناً وأصهاراً وقبائل وشعوباً، وخلق لهم منها التعارف، وجعل لهم بها التواصل للحكمة التي قدرها، وهو أعلم بها''[54]. الرابعة: ذهب قوم من الأوائل إلى أن الجنين من ماء الرجل وحده، ويتربى في رحم الأم، ويستمد من الدم الذي يكون فيه، واحتجوا بقوله تعالى: (أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ {20} فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ)[55]، وقوله تعالى: (أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى)[56]، فدل على أن الخلق من ماء واحد، والصحيح أن الخلق إنما يكون من ماء الرجل والمرأة لهذه الآية، فإنها نص لا يحتمل التأويل. وقوله تعالى: (خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ {6} يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ)[57]، المراد هنا أصلاً الرجال وترائب النساء. وأما من احتجوا به فليس فيه أكثر من أن الله تعالى خلق الإنسان من الماء والسلالة والنطفة منهما بدلالة ما ذكرنا، وبأن المرأة تمني كما يمني الرجل، وعن ذلك يكون الشبه[58]. الخامسة: (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) الشعوب رؤوس القبائل، مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج وغيرها. السادسة: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) إذن التقوى هي المراعاة عند الله وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم دون الحسب والنسب. ذكر الطبري، حدثنا ... عن سالم بن أبي الجعد، قال: تزوج رجل من الأنصار امرأة فطعن عليها في حسبها، فقال الرجل: إني لم أتزوجها لحسبها، إنما تزوجتها لدينها وخلقها[59].

إن الإسلام قرر مبدأ المساواة بين الجنسين في القيمة الإنسانية المشتركة، فالناس سواسية بحسب خلقهم الأول وعناصرهم الأولى، وإنما يجري التفاضل بينهم

---

[54] أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي – الجامع لأحكام القران – المجلد 8، ج16، ص340
[55] سورة المرسلات ، الآيتان 20 – 21
[56] سورة القيامة ، الآية 37
[57] سورة الطارق ، الآيتان 6 – 7
[58] أبي عبد الله محمد بن احمد القرطبي – الجامع لأحكام القران، مرجع سابق، ص341 – 345
[59] أبي عبد الله محمد بن احمد القرطبي – المرجع نفسه ، ص341-345

على أسس خارجة عن الإنسانية نفسها، على أساس كفاءتهم وأعمالهم، وما يقدمه كل منهم لربه ونفسه ومجتمعه والإنسانية جمعاء. وبذلك يقضي الإسلام على كثير من الآراء الفاسدة التي كانت سائدة في كثير من الملل والشرائع من قبله، والتي ذهب بعضها إلى أن المرأة رجس من عمل الشيطان أو من عمل إله الشر. وعلى هذا الأساس انتشرت في بعض الشعوب عادة التخلص من البنات بوأدهن أو قتلهم عقب الولادة، وفي هذا يدلنا حديث عمر بن الخطاب، قال: والله إنا كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم، فبينما أنا في أمر أأتمره إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا، قال: فقلت لها: مالك ولما ههنا؟ أفما تكلفك من أمر أريده؟ فقالت: عجباً لك يا ابن الخطاب، ما تريد أن تراجع أنت، وإن ابنتك لتراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان)[60]، فكل ذلك يدلل ما قيل في حق المساواة بين أفراد البشرية جمعاء.

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)[61].

معلوم أن حواء خلقت من ضلع آدم "المفعول به في خلق منها زوجها الضمير عائد للآدم"، فهي خلقت من آدم، وآدم خلق من تراب، لقوله تعالى: (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ)[62].

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)[63]. قال الإمام الطبري: ''(من نفس واحدة) يعني آدم عليه السلام. (وخلق منها زوجها): حواء، خلقت من ضلع من أضلاع آدم. (بث):

[60] البخاري – كتاب التفسير – سورة التحريم، باب (تبتغي مرضاة أزواجك)، ج3، ص283
مسلم – كتاب الطلاق – باب (في الإيلاء واعتزال النساء)، ج4، ص190
[61] سورة النساء ، الآية 1
[62] سورة السجدة ، الآية 7
[63] سورة النساء ، الآية 1

نشر. و(تساءلون): تتعاقدون وتتعاهدون، من قول السائل للمسئول: أسألك بالله والرحم. (والأرحام): اتقوا الأرحام أن تقطعوها، وصلوها. (رقيباً): حفيظاً ''[64].

قال سيد قطب: ''إنه الخطاب للناس بصفتهم هذه، لردهم جميعاً إلى ربهم الذي خلقهم، والذي خلقهم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً''. يقول إن هذه الحقائق الفطرية البسيطة لهي حقائق كبيرة جداً، وعميقة جداً، وثقيلة جداً، ولو ألقى (الناس) أسماعهم وقلوبهم إليها لكانت كفيلة بإحداث تغييرات ضخمة في حياتهم، ونقلهم من الجاهلية، أو من الجاهليات المختلفة إلى الإيمان والرشد والهدى، والحقيقة التي تضمنتها الإشارة إلى أنه من النفس الواحدة (خلق منها زوجها) كانت كفيلة لو أدركتها البشرية أن توفر عليها تلك الأخطاء الأليمة، التي تردت فيها وهي تتصور في المرأة شتى التصورات السخيفة، وتراها منبع الرجس والنجاسة، وأصل الشر والبلاء، وهي من النفس الأولى، فطرة وطبعاً، خلقها الله لتكون لها زوجاً، وليبث منهما رجالاً كثيراً ونساء فلا فارق في الأصل والفطرة، إنما الفارق في الاستعداد والوظيفة. ولقد خبطت البشرية في هذه التيه طويلاً، فترة من الزمان تحت تأثير تصرف سخيف لا أصل له، فلما أن أرادت معالجة هذا الخطأ الشنيع في الضفة الأخرى، أطلق للمرأة العنان، ونسيت أنها إنسان خلقت لإنسان، ونفس خلقت لنفس، وشطر مكمل لشطرها، وأنهما ليسا فردين متماثلين، إنما هما زوجان متكاملان. ونجد مجتمعاً يجار فيه على الصغار والضعاف والنساء، فلا يسلم لهم فيه بنصيبهم الحقيقي من الميراث، إنما يستأثر فيه بمعظم التركة الرجال الأقوياء، القادرون على حمل السلاح، ولا ينال الضعاف فيه إلا الفتات، وهذا الفتات الذي تناله اليتيمات الصغيرات والنسوة الكبيرات، هو الذي يحتجزن من أجله، ويحبسن على الأطفال من الذكورة، وعلى الشيوخ من الأولياء[65].

إذا كانت الأنثى جاءت من الذكر، فإنها بعد ذلك أصبحت أصيلة في نشأة الحياة، بل هي أشد أصالة من الذكر، لأنها المستقر للولد. ولقد كانت البنت في

---

[64] محمد بن جرير الطبري – مختصر تفسير الإمام الطبري – مطبوعات المحاكم الشرعية والشئون الدينية، قطر، ص83

[65] سيد قطب – في ظلال القرآن الكريم – مرجع سابق، ص573 – 574

الجاهلية محرومة عن حقوقها كالميراث وحق اختيار الزوج، وكانت عالة على أهلها، يتمنون لها الموت أو يعجلون لها به كما ذكرنا في بداية البحث، وفي ذلك قوله تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ {58} يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ)[66]. فجاء الإسلام وكرمها وجعل لها حقوقاً كالذكر.

قال تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)[67]، وتساوت معه في العبادة، قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)[68]، ومزج بين (الذكر والأنثى)، فهو منها وهي منه لقوله تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ)[69].

واقتضت حكمة الله أن تقوم الحياة كلها على الزوجية لينفرد رب العزة سبحانه وتعالى بالوحدانية: (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ)[70] ، وقوله تعالى: (وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[71].

ولقد جاء الإسلام لينبه إلى دور الأنثى، ويوصي بها خيراً، وينادي بأن نعتني بالبنت، فهي أم المستقبل، وحاضنة الأجيال، ومربية الرجال، وواهبة الأبطال.

قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[72]. معنى ذلك أن الزوجة هي زينة عش الزوجية الذي يجد الزوج الراحة والسكينة بعد عودته من مكان العمل الذي يعول به الأسرة، فتستقبله ببسمة تدخل عليه السرور.

---

[66] سورة النحل ، الآيتان 58 - 59
[67] سورة البقرة ، الآية 228
[68] سورة النحل ، الآية 97
[69] سورة آل عمران ، الآية 195
[70] سورة يس ، الآية 36
[71] سورة الذاريات ، الآية 49
[72] سورة الروم ، الآية 21

قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)[73]. يقول الطبري: ''خلقكم لأبيكم آدم من نفسه زوجه ليسكن إليها، وذلك خلقها لكم من ضلع من أضلاعه''. ''(جعل بينكم مودة ورحمة) جعل بينكم بالمصاهرة والختونة مودة تتوادون، وتتواصلون من أجلها، ورحمة رحمكم بها، فعطف بذلك بعضكم على بعض''[74].

خلق الله حواء من أحد ضلوع آدم اليسرى، وصورها في جسم أنثى، وبقدرته صارت مكتملة الجسم الإنساني لحماً ودماً وروحاً فيما يقرب من حجم آدم[75].

''وهناك قول بأنها خلقت من قطعة لحم آدم من جنبه الأيسر، انفصلت عنه ونمت وصارت حواء بقدرة الله، وسميت كذلك لأن أصلها من لحم ودم حي من آدم''[76].

وجاء أيضاً في القرآن الكريم أن الغاية من خلق حواء هي الاستقرار النفسي للجنسين معاً، الذكر والأنثى، وأن هذا التآلف الروحي بينهما هو بإرادة الله عز وجل، فكل منهما متمم للآخر، يسكن إليه.

إن السيدة حواء شاركت في كل عمل قام به للأكل والملبس، إلى جانب قيامهما معاً في بناء الكعبة بإشارة إليه علوية، قامت تساعده في بناء أول بيت وضع في الأرض للعبادة وخصص لها[77].

ينبغي توضيح أن مفهوم معنى السكن والمودة هو أعظم وأسمى، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي حدد ذلك وأشار إليه، فالرحمة والمودة ليست من جانب المرأة للرجل فقط، ولكن الرجل يبادلها نفس الشعور، وهي لا تعمل بلا مقابل، فالمقابل هو الرحمة والشفقة، لأنها أساس المنزل، فإذا صلحت المرأة صلحت

---

73 سورة الروم، الآية 21،

74 أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري – جامع البيان عن تأويل آي القرآن – دار الفكر، ج9، 1405هـ - 1984م، بيروت، ص31

75 أحمد الجبالي – أشهر النساء في التاريخ – القاهرة، 1985م ص7

76 حديث في البخاري، ج7، ص34

77 أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي – دلائل النبوة – الجزء الثاني، ط 1، بيروت، دار الكتب العملية، 1405هـ، ص45

الأسرة ويصلح المجتمع من بعد ذلك، ويكون كل هذا بالتوافق كما ذكرنا وكما فعلت أمنا حواء عليها أفضل السلام، وهذا يدلل على حسن المعاشرة بين الزوجين.

قال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[78]. ثمرة الحياة الزوجية البنين والبنات، والحرث هو محل الغرس والنبات، والرجل هو الزرع، والمرأة محل الغرس والحصاد.

قال تعالى : ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[79]. قال القرطبي فيها ست مسائل:

الأولى: (نساؤكم حرث لكم)، روى الأئمة واللفظ لمسلم، عن جابر بن عبد الله قال: كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها كان الولد أحول، فنزلت الآية.

روى النسائي عن ابن النضر أنه قال لنافع مولى ابن عمر: وقد أكثر عليك القول أنك تقول عن ابن عمر أنه أفتى بأن يؤتى النساء في أدبارهن. قال نافع: لقد كذبوا علي! ولكن سأخبرك كيف كان الأمر. إن ابن عمر عرض علي المصحف وأنا عنده حتى بلغ (نساؤكم حرث لكم)؛ قال نافع: هل تدري ما أمر هذه الآية؟ إنا كنا معشر قريش نجبيء المرأة، فلما دخلنا المدينة ونكحنا نساء الأنصار أردنا منهن ما كنا نريد من نسائنا، فإذا هن قد كرهن ذلك وأعظمنه، وكان نساء الأنصار إنما يؤتين على جنوبهن، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[80].

الثانية: هذه الأحاديث في إباحة الحال والهيئات كلها إذا كان في الوطء موضع الحرث؛ أي كيف شئتم. أما الإتيان في غير المأتى محرم[81]. وحرث تشبيه؛ لأنهن مزروع الذرية، فلفظ (الحرث) يعطي أن الإباحة لم تقع إلا في الفرج

---

[78] سورة البقرة ، الآية 223،

[79] سورة البقرة ، الآية 223،

[80] أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – المجلد الثاني، الجزء الثاني، الناشر: مؤسسة مناهل العرفان، ص91 – 93

[81] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ص93

خاصة، إذ هو المزروع، ففرج المرأة كالأرض، والنطفة كالبذرة، والولد كالنبات، فالحرث بمعنى المحترث، ووحد الحرث لأنه مصدر، كما يقال رجلٌ، صومٌ وقومٌ صومٌ

الثالثة: (أنى شئتم) معناها عند الجمهور من الصحابة التابعين والأئمة الفتوى: من أي وجه شئتم؛ مقبلة ومدبرة، كما ذكرنا آنفاً. و(أنى) تجيء سؤالاً وإخباراً عن أمر له جهات، فهو أعم في اللغة من (كيف) ومن (أين) و(متى)، وهذا هو الاستعمال العربي في (أنى).

الرابعة: (وقدموا لأنفسكم): أي قدموا ما ينفعكم غداً، فحذف المفعول، وقد صرح به في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾[82]، فالمعنى: قدموا لأنفسكم الطاعة والعمل الصالح. وقيل ابتغاء الولد والنسل، لأن الولد خير الدنيا والآخرة؛ فقد يكون شفيعاً وجُنة[83].

الخامسة: قوله تعالى: (واتقوا الله) تحذير، (واعلموا أنكم ملاقوه) خبر يقتضي المبالغة في التحذير؛ أي فهو مجازيكم على البر والإثم.

السادسة: قوله تعالى: (وبشر المؤمنين) تأنيث لفاعل البر ومبتغى سنن الهدى[84].

إن الفهم لهذه الآية من صياغ قول جماعة أنصار السنة المحمدية أن المرأة هذه شيء كالمتاع، وهي أمة تجلس لتلد ويجد الزوج كل ما يطلب ويريد، دون أي اعتبار لها كإنسان لها مشاعر وأحاسيس، فالفارق في الجاهلية أنها كانت شيئاً مهيناً كمتاع البيت، وكان أسوأ ما يبشر به الأب أن يبشر بمولود أنثى، وكانت في أغلب الأحيان تساق إلى الموت، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾[85]. وأستحضر هنا حكاية مشاعر أم كانت تلد البنات فهجرها زوجها فقالت:

---

[82] سورة المزمل، الآية 20

[83] القرطبي، المرجع نفسه، ص94 – 95

[84] القرطبي، المرجع نفسه، ص96

[85] سورة التكوير، الآيات 8 – 9

2 أبي حامد محمد الغزالي، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، القاهرة، 1990م، ص 92

[3] سورة آل عمران، الآيات 35 – 36

4 سورة آل عمران الآيات 35-3

ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا

غضبان ألا نلد البنينا تا الله وما ذلك في أيدينا

ونحن كالأرض لزارعينا ننبت ما قد بذروه فينا[2]

فلذلك يجب أن تكون الرعاية بين الزوجين المودة الكاملة، لأن هذا الحرث عندما ينبت يريد الرعاية، والمرأة الصالحة في صلاحها إصلاح الأسرة والمجتمع، وهي التي تبني الرجل وتدفع به إلى الأمام دائماً، إذا صلحت في علاقتها مع ربها، وتجاه زوجها وتجاه دينها، وكذلك الرجل يجب عليه أن يعرف أن المرأة هي أمه وأخته وزوجه وبنته.

قال تعالى: (إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [35] فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى)[3]. معنى ذلك أنها نذرت بالذي في بطنها لخدمة دار العبادة، ولما وضعتها أنثى اعتذرت لأنها ضعيفة لا تقوم بما يقوم به الذكر، وهذا نص في الفرق بين الذكر والأنثى في التكوين.

قال تعالى: (إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {35} فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)[4]. قال سيد قطب: ''قصة النذر تكشف لنا عن قلب امرأة عمران – أم مريم – وما يعمره من إيمان ومن توجه إلى ربها بأعز ما تملك، وهو الجنين الذي تحمله في بطنها، خالصاً لربها، محرراً من كل قيد، ومن كل شرك، ومن كل حق لأحد غير الله سبحانه وتعالى، وهذا الدعاء الخاشع من امرأة عمران أن يتقبل ربها منها نذرها، وهو فلذة كبدها، ينم عن ذلك الإسلام الخالص

لله، والتوجه إليه كلياً، والتحرر من كل قيد، والتجرد إلا من ابتغاء قبوله ورضاه (رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)، (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)، لقد كانت تنتظر ولداً ذكراً، فالنذر للمعابد لم يكن معروفاً إلا للصبيان، ليخدموا الهيكل، وينقطعوا للعبادة والتبتل، ولكن ها هي ذي تجدها أنثى، فتوجهت إلى ربها في نغمة أسيفة (ربي إني وضعتها أنثى) لأن الأنثى لا تنهض بما ينهض به الذكر في هذا المجال (وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)، وهي الكلمة الأخيرة حيث تودع الأم هديتها، وتدعها لحمايته ورعايته، وتعيذها به وذريتها من الشيطان الرجيم''[86].قال القرطبي: ''إن امرأة عمران حملت، وظنت أن ما في بطنها غلام، فوهبته لله محرراً، ألا يعمل في الدنيا، وكان المحرر إذا حرر جعل في الكنيسة، لا يبرحها، ويقوم عليها، ويكنسها. أي نذرت ولدها للكنيسة (وليس الذكر كالأنثى) المقصود هنا أن المرأة لا تستطيع أن تكون في الكنيسة بما يصيبها من الحيض والنفاس. عن سعيد بن المسيب[87] قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من بني مولود يولد إلا وقد مسه الشيطان حيث يولد، فيستهل صارخاً بمسه إياه، غير مريم وابنها)''[88].

قال الطبري: ''(نذرت لك ما بطني محرراً): عتيقاً لعبادتك، حبيساً في الكنيسة، لا ينتفع بشيء من أمر الدنيا. كان زكريا عليه السلام وعمران تزوجا أختين، فكان عيسى ويحي عليها السلام أبناء خالتين. وقوله تعالى: (وليس الذكر كالأنثى) الذكر أقوى بما نذرته فيه من الخدمة والعبادة[89]''.

---

[86] سيد قطب – في ظلال القرآن– مرجع سابق، ص392 – 393

[87] سعيد بن المسيب بن وهب المخزومي، سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر حتى سمي راوية عمر. توفي بالمدينة

[88] صحيح البخاري (42/6)، القاهرة، دار الحديث

[89] محمد بن جرير الطبري - مختصر تفسير الطبري – ص59

قال ابن كثير: ''(إني نذرت لك ما في بطني محرراً، فتقبل مني إنك أنت السميع العليم) أي السميع لدعائي، العليم بنيتي، ولم تكن تعلم ما في بطنها ذكراً أو أنثى، (فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى، والله أعلم بما وضعت، وليس الذكر كالأنثى) أي في القوة والجلد والعبادة وخدمة المسجد الأقصى (وإني سميتها مريم) فيه دليل على جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر في السياق، لأنه شرع من قبلنا. وقد حكي مقرراً، وبذلك ثبتت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: (ولد لي الليلة ولد سميته باسم أبي إبراهيم)، (وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) أي عوذتها بالله عز وجل من الشيطان الرجيم، وعوذت ذريتها – وهو ولدها عيسى عليه الصلاة والسلام – فاستجاب الله لها ذلك''[90].

إن السيدة أم مريم هي فعلاً كانت نذرت ما في بطنها لخدمة المعبد، ففي قوله تعالى: (وليس الذكر كالأنثى) ويظن الظان أن المقصود هو مطلق العبارة، فالحقيقة أنه ينبغي النظر في سياق الآية، إذ أن أم مريم كانت قد نذرت لخدمة المسجد الأقصى، فلما جاء ما في بطنها أنثى قالت: (ربي إني وضعتها أنثى، والله أعلم بما وضعت، وليس الذكر كالأنثى) أي ليس الذكر في خدمة المسجد، والقيام على شئونه، مثل الأنثى، وهذا الذي ينبغي أن تفهم هذه الآية عليه. وأما عند الجمهور، وبعض العلماء، وكما ذكر السلفية إن العبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب. المعنى أنه ليس الذكر كالأنثى في كل الشئون، والأمور التي تحتاج إلى قوة جسدية خاصة، فالرجل هنا أقدر بإجماع كل العقلاء، أما غير ذلك، كالشئون العقلية، والأمور الفكرية، فبنو آدم فيه سواء على أصل الخلقة الإلهية، لكن نجد بعض المجتمعات تعتني بالذكور أكثر، فيظهر تفوقهم القائم على التربية والاعتناء أكثر من الإناث، لكن ما أريد أن أثبته وأحققه بكل ما اعتذرت به أم مريم لكون الأنثى لا تتحمل أعباء الوجود في المسجد الأقصى، وما كان ليتوقع دخول السيدة مريم المسجد، ولكن إرادة الله سبحانه وتعالى، وهو يريد

[90] ابن كثير – مرجع سابق – ص278

أن يثبت لنا أن الأجر واحد في العبادة والعمل. فنجد أن السيدة مريم قد حققت وأصلت صورة المرأة الداعية الورعة العابدة، فقد دخلت المعبد حيث كان الظن غير ذلك، وجسدت معنى العفة والطهارة وحسن العبادة، فهي وإن كانت أماً بشخصيتها تظل أبداً ماثلة في سيرة ابنها ورسالته، وهي تأخذ مكانها مع أمهات الأنبياء أصحاب الرسالات الأربعة الكبرى، ولقد اصطفاها الله سبحانه وتعالى على نساء العالمين[91]، كما قال عمار بن سعد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فضلت خديجة على نساء أمتي، كما فضلت مريم على نساء العالمين)[92]، فصبرها وتحملها وقوتها في تحملها الأذى بداية دخولها المعبد، وكيف حققت دور الداعية الورعة، هذا يدل في تقديري على أنها جديرة بكل أسباب الذكر من الله سبحانه وتعالى، ومن المصطفى عليه الصلاة والسلام حيث قال: (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربعة، مريم ابنة عمران، وآسيا بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد)[93].

فقد روى البعض أن الكمال هنا المراد به النبوة، وقد جاءت أحاديث كثيرة لسيدات الجنة، ومنهن مريم، والإجماع على أنه صريح آية الاصطفاء لمريم على نساء العالمين أن الله تعالى خصها بما لم تؤته امرأته غيرها قط، وشهادة لديننا الحضاري أن تعتبر نحن أمة المسلمين بآيات القرآن الكريم في اصطفائها على نساء العالمين، وهي ليست من أمتنا، وأن تشرف المرأة في كل زمان ومكان[94].

(فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا)[95] فعمد البنتان لتقديم الشكر له بلسان والدهما اعترافاً بجميله.

قال تعالى: (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ

---

[91] القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – مرجع سابق، ص264

[92] موسوعة السنة – مسلم – باب فضل خديجة أم المؤمنين (1887/44)

[93] البخاري – كتاب أحاديث الأنبياء –باب قول الله تعالى: (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون)، ج7، ص258. مسلم – كتاب فضائل الصحابة – فضل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، ج7، ص133

[94] أبي الفداء إسماعيل بن كثير (701-794هـ)- قصص الأنبياء – تحقيق مصطفى عبد الواحد ، ج 2 ، ط3 ، مكة المكرمة 1408هـ-1988م ، ص255

[95] سورة القصص ، الآية 25

الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[96]. قال الطبري: ''تمشي على استحياء من موسى، وقد سترت بثوبها وجهها''[97].

قال سيد قطب: ''(تمشي على استحياء) مشية الفتاة الطاهرة الفاضلة العفيفة النظيفة، حيث تلقى الرجل على استحياء، في غير ما تبذل ولا تبرج ولا إغواء. جاءته لتنتهي إليه دعوة (إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) فمع الحياء الإبانة والدقة والوضوح، لا التلجلج والتعثر والربكة، فالفتاة القويمة تستحي بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم، ولكنها لثقتها في طهارتها واستقامتها لا تضطرب الاضطراب الذي يطمع ويغري ويهيج، إنما تتحدث بوضوح بالقدر المطلوب، ولا تزد. (فلما جاء وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين)، فقد كان موسى في حاجة إلى الأمن، كما كان في حاجة إلى الطعام والشراب، ولكن حاجة نفسه إلى الأمن كانت أشد من حاجة جسمه إلى الزاد''[98].

نعم، كان قصد البنت توصيل رسالة أبيها بالشكر له، ولكن كان لها الدور الأعظم، فقد امتدحها الله عز وجل بالحياء، وقد وقفت أمام موسى عليه السلام، وأبلغته الرسالة الشفوية التي حملتها من أبيها حرفاً بحرف، بأدب جم. جاءت ابنة سيدنا شعيب – رضي الله عنه – لتؤدي إلى سيدنا موسى دعوة بأقصر لفظ، وكانت أمينة هي الأخرى في أداء رسالتها التي أمرها أبوها بأدائها. وهذا دليل على فطرتها السليمة، وتربيتها المستقيمة، الأمينة.

فقد كانت أمينة وكانت قوية، لم تضطرب عند لقائها بموسى عليه السلام، لثقتها بطهارتها، ولثقتها في عفافها، ثم عللت الدعوة بالجزاء، وذلك حتى لا يفهم كلامها ريبة، فيشك في حالها، وفيه إظهار لعفتها. واستجاب سيدنا موسى لدعوتها، وأمرها أن تسير خلفه، وأن تدله على الطريق بالحجر.

---

[96] سورة القصص ، الآية 25
[97] الطبري – جامع البيان – مرجع سابق، ص63
[98] سيد قطب - في ظلال القرآن– مرجع سابق، ص2686 – 2687

المطلب الثاني

المرأة في جماعة أنصار السنة المحمدية من حيث الأدوار الدعوية والاجتماعية والسياسية

قال تعالى: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ {23} فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)[99]. ظهر هنا ضعف الأنثى وبعدها أن تساوي الرجل وقوة الرجل الذي زاحم الرعاة وسقا لها.

قال تعالى: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ)[100]. قال الطبري: ''أي جماعة من الناس يسقون ماشيتهم، وامرأتان تزودان تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا وتخلوا لهما البئر''[101].

فإذا كان الجماعة يرون في ذلك ضعف، فإن من أولى لذوي المروءة والفطرة السليمة أن تسقي المرأتان، وتصدر لأغنامها أولاً، وأن يفسح لهما الرجال، ويعينوهما على السقي، وأيضاً إذا كان ضعف في نظرة السلفية فيجب أن أوضح نقاطاً هي أن الإسلام لم يمنع عمل المرأة، ووجدت مزاحمة من الرجال وليس لها من يرعاها ويقوم على نفقتها، ولا جناح عليها. وإذا تمعنا نجد أن هاتان المرأتان هما ابنتا سيدنا شعيب – رضي الله عنه – وهو سيد قومه في مدين، فبإمكانه إذا كان طلوعهما فيه ضرر – وهو نبي من الأنبياء الذين تنزهوا عن الصغائر – لمنعهما من الخروج للسقي، ولاستأجر من يقوى على ذلك. فالإسلام ساوى بين الرجل والمرأة في المعاملات المالية، والعقوبات، وطلب العلم. وأباح لها طلب الرزق الحلال، إذا لم تجد من يقوم على إعالتها كما ذكرنا، وفقاً لحاجتها، وصوناً لشرفها، وأمكنها من التصرف في ثرواتها. ولا تقتل إذا ارتدت عن الإسلام، لأنه ربما كان خارجاً عن إرادتها، ولأنها خاضعة لزوجها.

---

99 سورة القصص ، الآيات 23 – 24

100 سورة القصص، الآية 23

101 محمد بن جرير الطبري – جامع البيان – مرجع سابق، ص63

وإكراماً للمرأة عموماً نزلت سورة (النساء الكبرى) وسورة (النساء الصغرى)، وهي سورة الطلاق، وفيها كل ما يتعلق بشئون النساء.

وحين سألها موسى (ما خطبكما) وكان ردهما: لا نستطيع مزاحمة الرجال والرعاة، لذلك فإننا نتأخر عن السقي (وأبانا شيخ كبير)، وهذه دلالة أيضاً على حسن التربية. وأسرع موسى بتقديم المساعدة لهما.

نعلم تماماً أن العمل الخارجي ليس ملزماً للمرأة، لأن المرأة البيت عليها وخارج البيت لها والرجل العمل عليه والبيت له. وجلب الرزق من وظيفة الرجل، ولكن لم يمنعها الدين الإسلامي العمل، وإذا كانت المرأة منذ ذلك العهد تعمل على المساعدة، وجلب الرزق في الخارج، والعمل في الداخل، فهذا نموذج محفز للمرأة، والمطلوب هو عمل الدعوة في أوساط المجتمع.

قال تعالى: (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأمِينُ)[102].

قال تعالى: (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ)[103]. قال سيد قطب: ''رأت من قوته ما يهابه الرعاء، فيفسحون له الطريق، ويسقي لهما، وهو غريب، والغريب ضعيف مهما اشتد. ورأت من أمانته ما يجعله عف اللسان والنظر، حيث توجهت بدعوته. وهي تشير على أبيها لاستئجاره ليكفيها وأختها مؤونة العمل والاحتكاك والتبذل، وهو قوي على العمل، أمين على المال، فالأمين على العرض أمين على المال، هكذا أمين على ما سواه. وهي لا تتلعثم في هذه الإشارة، ولا تضطرب، ولا تخشى سوء الظن والتهمة، ولا تتمتم ولا تجمجم وهي تعرض اقتراحها على أبيها''[104].

قال الطبري: ''القوي على حفظ أمانتك (الأمين). وروي أن أباها أحفظته الغيرة، فقال لها: وما يدريك أمانته؟ قالت: إنه نظر حين أقبلت عليه، وشخصت له، فلما علم أني امرأة، صوب رأسه فلم يرفعه، ولم ينظر إلي حتى بلغته رسالتك، ثم قال لي: أمشي خلفي، وانعتي الطريق، فلم يفعل ذلك إلا وهو أمين''[105].

[102] سورة القصص ، الآية 26
[103] سورة القصص، الآية 26
[104] سيد قطب – في ظلال القرآن – مرجع سابق، ص2687
[105] محمد بن جرير الطبري – مختصر تفسير الإمام الطبري – مرجع سابق، ص437

نجد أن الآية أوضحت لنا صفتا القوة والأمانة، فالآية لا تعني فقط الاعتراف بقوته التي تساوي قوتيهما، إنما فيها أيضاً معاني وعبر كثيرة. وأستحضر هنا حديث عبد الله بن مسعود حين قال: أفرس الناس ثلاثة، صاحب يوسف حين قال لامرأته: أكرمي مثواه. وصاحبة موسى حين قالت لأبيها: (يا أبت استأجره، إن خير من استأجرت القوي الأمين). وأبو بكر رضي الله عنه حين استخلف عمر بن الخطاب.

ونجد أن والدها استجاب للعرض الذي أدلت به ابنته، ولم يرفض طلبها، ويشير إبداء الرأي على دلالة توفر مبدأ الشورى في المنزل، وأنها صاحبة القرار فيما تتمتع به من حرية، وذلك يدل على حسن التربية من ذلك الرجل الصالح، حيث لا يحرم ابنته من حق إبداء الرأي فيما هو خير لها في ذلك تربيتها الحكيمة، إذ أنها لم تتلعثم فيما تكلمت به أمام والدها، ولم تخش من سوء الظن، لأن والدها كفل لها الحرية التامة.

قال تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)[106]. القوامة هنا ليست تجبر واستعلاء، إنما وظيفة تتفق وتكوين الرجل الجسماني لتحمل الشدائد والأعمال الشاقة.

قال تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا)[107].

قال القرطبي: ''(الرجال قوامون على النساء) ابتداء وخبر، أي يقومون بالنفقة عليهن ويذب عنهن، وأيضاً فإن فيهم الحكام والأمراء ومن يغزو، وليس ذلك في النساء، ويقال بسببها في أن أم سلمة ووجه النظم تكلمن في تفضيل الرجال على النساء في الإرث فنزلت: (ولا تتمنوا ما فضل الله بعضكم على بعض) ثم بين تعالى أن تفضيلهم عليهن في الإرث بما على الرجال من المهر والإنفاق.

---

[106] سورة النساء، الآية 34
[107] سورة النساء، الآية 34

ثم فائدة تفضيلهم عائدة إليهن لما للرجال زيادة قوة في النفس والطبع ما ليس للنساء، لأن طبع الرجال غلب عليه الحرارة واليبوسة، فيكون فيه قوة وشدة، وطبع النساء غلب عليه الرطوبة والبرودة فيكون فيه جانب اللين (وبما أنفقوا من أموالهم)، فهم العلماء من ذلك أنه متى عجز عن نفقتها لم يكن قواماً عليها، وإذا لم يكن قواماً عليها كان لها فسخ العقد، لزوال المقصود الذي شرع لأجله النكاح؛ وفيه دلالة واضحة علي يدل علي ثبوت فسخ النكاح عند الإعسار في النفقة والكسوة وهو مذهب الإمامين مالك والشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يفسخ لقوله تعالى: (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة)[108]. (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله). هذا كله خير، ومقصوده الأمر بطاعة الزوج والقيام بحقه في ماله وفي نفسها في حالة غياب الزوج. وفي مسند أبو داود الطيالسي، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: (ألا أخبرك بخير ما يكنزه المرء؛ المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته)[109].

وفي مصحف ابن مسعود (فالصوالح قوانت حوافظ)[110]. قال الطبري: ''(الرجال قوامون على النساء): أهل قيام على نسائهم في تأديبهن، والأخذ على أيديهن، فيما يجب عليهن لله، ولأنفسهن بما فضل الله الرجال على النساء، من سوق المهر، والنفقة، وكفاية المؤونة، (فالصالحات): المستقيمات العاملات بالخير، (قانتات): مطيعات، (حافظات): للأزواج، (للغيب): في مالها وفرجها''[111].

قال سيد قطب: ''إن موضع سورة النساء هو تنظيم مؤسسة الأسرة، وضبط الأمور فيها، وتوزيع الاختصاصات، وتحديد الواجبات، وبيان الإجراءات التي تتخذ

[108] أبي عبد الله محمد بن احمد القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – مرجع سابق، ص168 – 169
[109] أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين مع التخليص، كتاب الزكاة، ج1، الرياض: مكتبة ومطابع النصر الحديثة، بدون تاريخ، ص409
[110] القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – مرجع سابق، ص170
[111] محمد بن جرير الطبري – مختصر تفسير الإمام الطبري – مرجع سابق، ص91

لضبط أمور هذه المؤسسة، والمحافظة عليها من زعزعة الأهواء والخلافات، والبعد عن عناصر التهديم والهدم. إن الذي خلق هذا الإنسان جعل من فطرته شأنه شأن كل خلقه في هذا الوجود ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[112]. وأن يكون لقاء الشطرين لقاء مودة ورحمة وهدوء وسكن، والمنهج الرباني يراعي هذا ويراعي العدالة في توزيع الأعباء على شطري النفس الواحدة المسلمة، ابتداء إن الرجل والمرأة كليهما من خلق الله سبحانه وتعالى، لا يظلم أي طرف منهما. ومن ثم زودت المرأة بخصائص الرأفة والعطف وسرعة الانفعال، والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة، وفي المقابل زود الرجل فيما زود من الخصائص بالخشونة والصلابة وبطء الانفعال والاستجابة، وهذه الخصائص تجعله أقدر على القوامة، وأفضل في مجالها، كما أن تكليفه بالإنفاق يجعله بدوره أولى بالقوامة، لأن تدبير المعاش للأسرة ومن فيها داخل هذه القوامة، والإشراف على تصريف المال أقرب إلى طبيعة وظيفته فيها"[113].

القوامة ليس من شأنها إلغاء شخصية المرأة في البيت، ولا في المجتمع الإنساني، وإنما هي وظيفة داخل كيان الأسرة لإدارة هذه الأسرة الكبيرة، وصيانتها وحمايتها ووجود القيم في مؤسسة لا يلغي وجود شخصية ولا حقوق الشركاء فيها، والعاملين في وظائفها، فقد حدد الإسلام في مواضع كثيرة أخرى صفة قوامة الرجل وما يصاحبها من عطف ورعاية وصيانة وتكاليف في نفسه وماله، وآداب في سلوكه مع زوجته وعياله. إذاً هي فعلاً ليست تجبر ولا استعلاء، إنما هي وظيفة، وإذا نظرنا الآن إلى المرأة في عصرنا الحالي هي شريكة له في القيام بوظيفته إلى جانب وظيفتها في البيت.

قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[114]. هذا إذا حصل الطلاق إن كان به حمل لها نفقتها من الرجل حتى تضع، وعليها

---

[112] سورة الذاريات، الآية 49

[113] سيد قطب – في ظلال القرآن – مرجع سابق، ص650 – 651

[114] سورة البقرة، الآية 228

أن تعترف بالحمل المنسوب للرجل، وهو صاحب العطاء من ماله لإعاشتها، وسد حاجتها هذه هي الدرجة المعنية.

قال تعالى: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[115]. قال القرطبي: ''فيها ثلاث مسائل، **الأولى:** (ولهن) أي لهن من الحقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن؛ ولهذا قال ابن عباس: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي، وما أحب أن استنظف[116] كل حقي الذي لي عليها فتستوجب بحقها الذي لها علي إلا أن الله تعالى قال: (ولهن مثل الذي عليهم بالمعروف)، أي الزينة من غير مأثم. وعنه أيضاً، أي لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذي عليهن من الطاعة فيما أوجبه عليهن لأزواجهن. وقيل: إن لهن على أزواجهن ترك مضارتهن كما ذلك عليهن لأزواجهن.

قال الطبري: ''وقال ابن زيد: تتقون الله فيهن، كما عليهن أن يتقين الله عز وجل فيكم، والمعنى متقارب. والآية تعم جميع ذلك من حقوق زوجية.

المسألة الثانية: قول ابن عباس: إني لأتزين لامرأتي. قال العلماء: أما زينة الرجال فعلى تفاوت أحوالهم، فإنهم يعملون على ذلك على اللبق[117] والوفاق، فربما يعمل العمل اللائق والوفاق ليكون عند امرأته في زينة تسرها ويعفها من غيره من الرجال، ثم أن يتوخى حاجتها إلى الرجال، ويغنيها عن التطلع إلى غيره[118].

المسألة الثالثة: قوله تعالى: (وللرجال عليهن درجة) أي منزلة. ومدرجة الطريق: قارعته. وقال ابن عباس: الدرجة إشارة إلى حق الرجال على حسن المعاشرة، والتوسع للنساء في المال والخلق، أي أن الأفضل ينبغي أن يتعامل على نفسه. وقال ابن عطية: هذا قول حسن بارع. قال الشعبي: الدرجة: الصداق، (والله

---

[115] سورة البقرة، الآية 228

[116] استنظف الشيء أي أخذه كله

[117] اللبق بالفتح: اللباقة والحذق

[118] أبي عبد الله محمد بن احمد القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – مرجع سابق، ص123 – 124

عزيز) أي منبع السلطان لا معترض عليه، (حكيم) أي عالم معين فيما يفعل[119].

قال أبو شقة: هي من النصوص المتماثلة؛ تقرر الآية أن للنساء حقوقاً مثل ما عليهن من واجبات، وهذا يعني أن كل حق للمرأة يقابله حق للرجل؛ فالحقوق إذن متماثلة. وقد أورد الطبري في تفسيره في عدة روايات في تأويل هذه الآية:

قال بعضهم: ولهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن، مثل الذي عليهن لهم من الطاعة، فيما أوجب الله تعالى ذكره له عليها.

فعن الضحاك[120]: إذا أطعن الله وأطعن أزواجهن، فعليه أن يحسن صحبتها، ويكف عنها أذاه، وينفق عليها من سعته.

وعن ابن زيد: ويتقون الله فيهن كما عليهن أن يتقين الله فيهم.

وقال آخرون: ولهن على أزواجهن من التصنع والمواتاة مثل الذي عليهن لهم من ذلك.

فعن ابن عباس كما قلنا قال: إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي، لأن الله تعالى يقول: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)، والذي اختاره الطبري من تلك: أن الذي على كل واحد منها لصاحبه من ترك مضارته مثل الذي على صاحبه من ذلك[121].

قال الإمام محمد عبده[122]: هذه كلمة جليلة جداً، جمعت على إيجازها ما لا يؤدي بالتفصيل إلا في كبير. ففي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق، إلا أمراً واحداً عبر بقوله تعالى: (وللرجال عليهن درجة)، وقد أحال في معرفة ما لهن وما عليهن على المعروف بين الناس في معاشرتهن ومعاملتهن في أهليهم، فهذه الجملة تعطي الرجل ميزاناً يزن به معاملته لزوجه في جميع الشئون والأحوال، فإذا هم بمطالبتها بأمر من الأمور، يتذكر أنه يجب عليه مثله بازائه، ولهذا قال ابن عباس: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي، لهذه الآية[123].

---

[119] القرطبي، نفس المرجع، ص125

[120] الضحاك الشيباني: أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر النبيل بن أبي عاصم الظاهري (206 – 287)

[121] عبد الحليم محمد أبو شقة – تحرير المرأة في عصر الرسالة – الجزء الخامس، الكويت، دار القلم، تفسير الطبري فضلا من مرجعه، ص93 – 94

[122] محمد عبده: ابن حسن خير الله الشيخ (1266 – 1323هـ)، خير الدين الزركلي – الأعلام – الجزء الثاني، ط 3، لبنان، دار العالم للملايين، ص325

[123] عبد الحليم محمد أبو شقة – مرجع سابق، ص94

وليس المراد بالمثل، المثل بأعيان الأشياء وأشخاصهما، وإن المراد أن الحقوق بينهما، وأنهما أكفاء، فما من عمل تعمله المرأة للرجل إلا الحقوق بينهما متبادلة، وأنهما أكفاء. فما من عمل تعمله المرأة للرجل وإلا وللرجل عمل يقابله لها، وإن لم يكن مثله هي شخصه فهو له في جنسه. فهما متماثلان في الحقوق والأعمال، كما أنهما متماثلان في الذات والإحساس والشعور والعقل، أي كلاً منهما لبشر تام له عقل يفكر في مصالحه، وقلب يحب ما يلائمه ويسر به، ويكره ما لا يلائمه وينفر منه. فليس من العدل أن يتحكم أحد الصنفين بالآخر، ويتخذه عبداً له يستذله ويستخدمه في مصالحه، ولا سيما بعد عقد الزوجية والدخول في الحياة المشتركة، التي لا تكون سعيدة إلا باحترام الزوجين للآخر والقيام بحقوقه[124].

وأورد الطبري عدة روايات في تأويل قوله تعالى: (وللرجال عليهن درجة) قال: ''قال بعضهم: معنى الدرجة الفضل الذي فضلهم الله عليهن في الميراث والجهاد. قال الطبري وأولى هذه الأقوال بتفسير الآية ما قاله ابن عباس، وهو أن (الدرجة) التي ذكر الله تعالى ذكره في هذا الموضع، الصفح من الرجل لامرأته عن بعض الواجب عليها، وإضاؤه لها عنها، وأداء كل الواجب لها عليه، وذلك أن الله تعالى ذكره (وللرجال عليهن درجة) عقيب قوله تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) ثم ندب الرجال إلى الأخذ عليهن بالفضل، إذا تركن أداء بعض ما أوجب الله لهم عليهن، فمعناه ندب الرجال إلى الأخذ على النساء بالفضل، ليكون لهم عليهن فضل درجة''[125].

وقال الأستاذ محمود شاكر محقق تفسير الطبري: ''لم يكتب أبو جعفر الطبري ما كتب، على سبيل الموعظة، بل كتب بالبرهان والحجة الملزمة، واستخرج من ذلك سياق الآيات المتشابهة، "ففيها بيان" تعادل حقوق الرجل على المرأة وحقوق المرأة على الرجل، ثم أتبع ذلك بندب الرجال إلى فضيلة من فضائل الرجولة، لا ينال المرء نيلها إلا بالعزم والتسامي، وهو أن يتغاضى عن بعض

[124] عبد الحليم محمد أبو شقة -مرجع سابق، نفس الصفحة
[125] عبد الحليم محمد أبو شقة -مرجع سابق، ص95

حقوقه لامرأته، فإذا فعل ذلك فقد بلغ من مكارم الأخلاق منزلة تجعله على درجة على امرأته، ومن أجل هذا الربط الدقيق بين معاني هذا الكتاب البليغ، جعل أبو جعفر هذه الجملة حثاً وندباً للرجال، على السمو إلى الفضل، لا خبراً عن فضل قد جعله الله مكتوباً له، أحسنوا فيما أمرهم به أم أساءوا"[126].

تتفق الباحثة وتعتقد أن تفسير الطبري قد أنصف وحلل وشرح هذه الآية وأعطاها معناها الحقيقي، فإذا الموضوع أصلاً هو تفاهم وحياة ممتدة، يحقق كل منها للآخر أسباب الدعة والراحة فيما يرضي الله تعالى، ويحترم كل منهما الآخر في حقوقه وواجباته، وليس المعنى أنه صاحب عطاء كما ذكر، لأن العطية أصلاً من الله سبحانه وتعالى، والرزق على الله سبحانه وتعالى، وانما نحن إلا أدوات تنفذ بما قد خلقنا له في هذه الأرض، وندرك تماماً ما خلقنا له، وهو في قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ)[127].

(وللرجال عليهن درجة) أي في الفضيلة والخلق والمنزلة وطاعة الأمر والإنفاق والقيام بالمصالح والفضل في الدنيا والآخرة. والآية هنا تتحدث عن حال النساء مع أزواجهن، وأن لهم عليهن القوامة والطاعة والقيام بالمصالح، وهذا لا يعني أن المرأة ناقصة عاجزة عن بلوغ المعالي، ولا أن تصلح لتكون قدوة في أمورها وأحوالها.

قال تعالى: (وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى)[128].

هذا قضاء الله الذي خلق الذكر والأنثى ويعرف مؤهل وقدر كل منهما، فالمرأة المؤمنة تقول له سمعاً وطاعة.

قال تعالى: (وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى)[129].

---

[126] عبد الحليم محمد أبو شقة -مرجع سابق، ص95 – 96

[127] سورة الذاريات ، الآية 56

[128] سورة البقرة، الآية 282

[129] سورة البقرة ، من الآية 282

قال سيد قطب: '' (واستشهدوا شهيدين من رجالكم، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء، إن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) إنه لا بد من شاهدين على العقدين (ممن ترضون من الشهداء)، ولكن ظروف معينة قد لا تجعل وجود شاهدين أمراً ميسوراً. فهنا يسر التشريع فيستدعي النساء للشهادة، وهو إنما دعا الرجال لأنهم هم الذين يزاولون الأعمال عادة في المجتمع المسلم السوي، الذي لا تحتاج المرأة فيه أن تعمل لتعيش، (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى)، والضلال هنا ينشأ من أسباب كثيرة، فقد ينشأ من قلة خبرة المرأة بموضوع المتعاقد، مما يجعلها لا تستوعب كل دقائقه وملابساته، ومن ثم لا يكون الوضوح في عقلها بحيث تؤدي عنه شهادة دقيقة عن الاقتضاء، فتذكرها الأخرى بالتعاون معاً على تذكر ملابسات الموضوع كله. وقد ينشأ من طبيعة المرأة الانفعالية، فإن وظيفة الأمومة العضوية البيلوجية تستدعي مقابلاً نفسياً في المرأة حتماً تستدعي أن تكون المرأة شديدة الاستجابة الوجدانية الانفعالية لتلبية مطالب طفلها بسرعة وحيوية لا ترجع فيهما إلى التفكير البطيء، وذلك من فضل الله على المرأة وعلى الطفولة''[130].

قال القرطبي: ''(واستشهدوا شهيدين من رجالكم) الاستشهاد طلب الشهادة، وقد اختلف الناس هل هي فرض أو ندب؟ والصحيح إنه ندب على ما يأتي بيانه. قوله تعالى (شهيدين) رتب الله سبحانه وتعالى الشهادة بحكمته في الحقوق المالية والبدنية والحدود، وجعل في كل شيء شهيدين إلا في الزنا. وقوله تعالى (من رجالكم) نص في رفض الكفار والصبيان والنساء، وأما العبيد فاللفظ يتناولهم. وقال مجاهد: المراد الأحرار. وقد اختلف العلماء في شهادة العبيد، فقال ترجح وعثمان البتي وأحمد واسحق، وأبو ثور شهادة العبيد جائزة إذا كان عدلاً فقلبوا نص الآية. وقال مالك وأبو حنيفة والشافعي: لا تجوز شهادة العبيد. وغلبوا نص الرق وأجازها الشعبي والنخعي في الشيء اليسير. والصحيح قول الجمهور لقوله تعالى: (يا أيها

---

[130] سيد قطب – في ظلال القرآن – مرجع سابق، ص335 – 336

الذين آمنوا إذا تداينتم بدين)، وساق الخطاب إلى قوله تعالى (من رجالكم)، فظاهر الخطاب يتناوله الذين يتداينون، والعبيد لا يملكون ذلك دون إذن السادة''[131].

وقوله تعالى: (فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان)، المعنى إذا لم يأت الطلب برجلين فليأت برجل وامرأتين. هذا قول الجمهور فـ (رجل) رفع بالابتداء، (وامرأتان) عطف عليه والخبر محذوف، أي فرجل وامرأتان يقومان مقامهما، فجعل تعالى شهادة المرأتين مع الرجل جائزة مع وجود الرجلين في هذه الآية، ولم يذكرها في غيرها، فأجيزت في الأموال خاصة في قول الجمهور أن يكون معهما رجل، إنما ذلك في الأموال دون غيرها، لأن الأموال كثر الله أسباب توثيقها لكثرة جهات تحصيلها، وعموم البلوى بها وتكررها، فجعل التوثق تارة بالكتابة وتارة بالإشهاد وتارة بالرهن وتارة بالضمان. وأدخل في جميع ذلك بشهادة النساء مع الرجال. وأجاز العلماء شهادتهن منفردات فيما لا يطلع عليه غيرهن للضرورة[132].

قوله تعالى: (ممن ترضون من الشهداء) في موضع رفع على الصفة لرجل وامرأتين. قال ابن كثير وغيره: هذه مخاطبة للحكام. ابن عطية وهذا غير نبيل، وانما الخطاب لجميع الناس، لكن المتلبس بهذه القضية إنما هم الحكام، وهذا كثير في كتاب الله، يعمم الخطاب فيما يتلبس به البعض.

قوله تعالى: (أن تضل إحداهما) قال أبو عبيد: ''معنى تضل: تنسى، والضلال عن الشهادة إنما هو نسيان جزء منها وذكر جزء، ويبقى المرء حيران بين ذلك ضالاً. ومن نسي الشهادة جملة فليس يقال ضل فيها''[133].

وقوله تعالى: (فتذكر) قال سفيان بن عيينة وأبو عمر بن العلاء: ''وفيه بعد؛ إذ لا يحصل مقابلة الضلال الذي معناه النسيان إلا الذكر، وهو معنى قراءة الجماعة (فتذكر) بالتشديد، أي تنبهها إذا غفلت ونسيت''[134].

إن ذلك من الفوارق بين الرجل والمرأة في الشهادة في الحقوق المالية شهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين في الحدود، وذلك لطبيعتها النفسية، لأن المرأة لا

---

[131] أبي عبد الله محمد بن احمد القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - مرجع سابق، ص389

[132] القرطبي، المرجع نفسه، ص391 - 395

[133] أبي عبد الله محمد بن احمد القرطبي، المرجع نفسه، ص398

[134] أبي عبد الله محمد بن احمد القرطبي، المرجع نفسه، ص398

تتعامل دائماً مع المال والعمل الورقي كثيراً، بالأخص في الزمن السابق، ولكن شهادتها فيما لا يطلع عليه غيرها وحدها لإثبات الولادة وخصوصيات المرأة وحدها.

فالمرأة الآن تعمل وتخرج لتغير متطلبات المجتمع ووضع الرجل في مناطق كثيرة حيث تخرج المرأة للعمل، وهي تتعامل بالأوراق المالية في السوق ومحل وظيفتها وغيرها. ولأن المرأة عاطفتها في دواخلها التي اختصها بها الله، ولكن يمكن أن تكون المرأة قاضية، وتدلي بشهادتها ويؤخذ بها، وعملها في هذا المجال لأن القضاء لا عطف ولا شفقة فيه، إنما هي نصوص تقرأ وتفهم وتطبق، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[135]. قضى الله تعالى للمرأة نصف الميراث يعني الرجل ضعف المرأة، هذا حكم الله، والله عزيز حكيم، يضع الأمور في وضعها الصحيح.

''إن للسلفيين بنات عديدات محجبات وعالمات بواجب دينهم، ثم إنهن يقمن بواجب الدعوة في حقوق النساء، ولعلك إذا اطلعت على هذه الآيات التي جمعتها كلها وأعددتها بدقة تحريت فيها وضع المرأة في المجتمع المسلم وفي أوساط السلفيين بصفة خاصة''[136].

قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[137].

قال الشوكاني: ''(وإن كانوا) أي من يرث بالأخوة (إخوة رجالاً ونساءً) أي مختلطين ذكوراً وإناثاً، (فللذكر) منهم مثل (حظ الانثيين) تعصيباً، (يبين الله لكم

[135] سورة النساء، من الآية 176

[136] وثيقة من إعداد محمد هاشم الهدية، الأمين العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان، فبراير 2005م

[137] سورة النساء، الآية 176

أن تضلوا) أي يبين لكم حكم الكلالة وسائر الأحكام كراهة أن تضلوا. هكذا حكاه القرطبي عن البصريين، (والله بكل شيء عليم) من الأشياء التي هذه الأحكام المذكورة منها، (عليم) أي كثير العلم''[138].

يقول ابن كثير في قوله تعالى: (فإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الانثيين): ''هذا حكم العصبات من البنين وبني البنين والإخوة إذا اجتمع ذكورهم واناثهم، أعطي الذكر مثل حظ الانثيين. وقوله تعالى: (ويبين لكم) أي يفرض عليكم فرائضه، ويحدد لكم حدوده، ويوضح لكم شرائعه. وقوله: (أن تضلوا) أي لئلا تضلوا عن الحق بعد البيان، (والله بكل شيء عليم) أي هو عالم بعواقب الأمور ومصالحها وما فيها من خير لعباده، وما يستحقه كل واحد من القرابات بحسب قربه من المتوفى''[139].

قال سيد قطب: ''(فإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الانثيين. يبين الله لكم أن تضلوا، والله بكل شيء عليم) أي أن تعدد الإخوة والأخوات، فللذكر مثل حظ الأنثيين حسب القاعدة العامة في الميراث، والإخوة والأخوات والأشقاء يحجبون الإخوة والأخوات لأب حين يجتمعون. (يبين الله لكم أن تضلوا، والله بكل شيء عليم) صيغة جامعة شاملة بكل شيء من الميراث وغير الميراث من علاقات الأسر وعلاقات الجماعات من الأحكام والتشريعات؛ فإما اتباع بيان الله في كل شيء، وإما الضلال؛ طريقان اثنان لحياة الناس لا ثالث لهما، طريق بيان الله فهو الهدى، وطريق من عداه فهو الضلال''[140].

لا يخفى أن الآية في الميراث للمرأة تختلف باختلاف وضعها، فهي كزوجة ترث الربع، وهي أم ترث الثلث، وإن كانت أخت ومعها أخ يشتركان في الإرث (فللذكر مثل حظ الانثيين) لأن الدين يفرض على الرجال القيام بالالتزامات المالية والنفقات، والمرأة معفية من ذلك. وبالنظر للأعباء المالية المنوطة بالرجل يبرز رجحان نصيبه الذي يأخذه من الميراث، والمرأة هي الغانمة من وجهة نظر النظام

---

[138] الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني – فتح القدير – ج1، ط1، القاهرة، دار الحديث، 1413هـ- 1993م، ص812
[139] ابن كثير – تفسير ابن كثير – مرجع سابق، ص473
[140] سيد قطب – في ظلال القرآن – مرجع سابق، ص824

الإسلامي الذي يجعل حق النفقة من نصيب الرجل الذي تشترك معه في الميراث مع احتفاظها بنصيبها، بل ترث النصف (ولها نصف ما ترك إن لم يكن لها أخ) أي كانت واحدة وقولها سمعاً وطاعة حققت مكسب لها.

قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا)[141]. معنى ذلك أي أمر صدر في القرآن والسنة المطهرة واجب الطاعة، ومخالفته يعرض للعذاب الأليم.

قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا)[142].

قال القرطبي: ''فيها أربعة مسائل:

الأولى: روى ابن عباس ومجاهد سبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب زينب بنت جحش، وكانت بنت عمته، فظنت أن الخطبة لنفسه، فلما تبين أنه يريدها لزيد كرهت وأبت وامتنعت، فنزلت الآية، فأذعنت زينب حينئذ وتزوجته. وقيل إنها نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، فزوجها من زيد بن حارثة، فكرهت ذلك هي وأخوها، وقالا: إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا غيره، فنزلت الآية[143].

الثانية: لفظه (وما كان وما ينبغي) ونحوهما معناه الحظر والمنع، فتجب لحظر الشيء عقلاً كقوله تعالى: (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة).

الثالثة: في هذه الآية دليل، بل نص في أن الكفاءة لا تعتبر إلا في الأحساب، وانما تعتبر في الأديان.

---

[141] سورة الأحزاب ، الآية 36
[142] سورة الأحزاب ، الآية 36
[143] أبي عبد الله محمد بن احمد القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – مرجع سابق، ص186

الرابعة: قوله تعالى: (أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)، قرأ الكوفيون: (أن يكون) بالياء، لأنه فرق بين المؤنث وفعله. الباقون بالتاء؛ لأن اللفظ مؤنث، فتأنيث فعله حسن والتذكير على أن الخيرة بمعنى التخيير، فالخيرة مصدر بمعنى الاختيار. وهذا أدل دليل ذهب إليه الجمهور من فقهائنا، وفقهاء أصحاب الإمام الشافعي وبعض الأصوليين. إن صيغة "أفعل" الوجوب في أصل وضعها؛ لأن الله تعالى نفى خيرة المكلف عند سماع أمره وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم[144].

قال سيد قطب: ''إن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش[145] – رضي الله عنها – حينما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يحطم الفوارق الطبقية الموروثة في الجماعة المسلمة، فيرد الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى. وكان الموالي هم الرقيق المحرر؛ أدنى من السادة، ومن هؤلاء زيد بن حارثة – مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي تبناه – فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم تزويجه من شريفة بني هاشم؛ قريبته صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش[146].

قال ابن كثير: ''قال ابن عباس – رضي الله عنه – قوله تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق ليخطب لزيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش فخطبها له صلى الله عليه وسلم، فقالت: لست بناكحته! فقال صلى الله عليه وسلم: (بلى فانكحيه)، قالت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أؤمر في نفسي؟ فبينما هما يتحدثان أنزل الله تعالى تلك الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم). قالت: رضيته لي يا رسول الله منكحاً؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم. قالت: إذاً لا أعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم. قد أنكحته نفسي''[147].

---

[144] ابي عبد الله محمد بن احمد القرطبي – المرجع نفسه – ص187 – 188

[145] زينب بنتجحش بن رئاب ابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من المهاجرات الأول، من سادة النساء ديناً وورعاً وجوداً ومعروفاً، وحديثها في الكتب الستة، توفيت سنة عشر، وصلى عليها عمر

[146] سيد قطب – في ظلال القرآن– مرجع سابق، ص2865

[147] ابن كثير، نقلاً من سيد قطب/في ظلال القرآن، ص2865 - 2866

(أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) فاستسلموا لقضاء الله وقدره، وهذا التوازن المطلق بقدر الله، والعمل الجاهد بكل ما في الطاقة، هو السمة التي طبعت حياة تلك المجموعة الأولى وميزتها، وهي التي أهلتها لحمل أمانة العقيدة الضخمة التي تنوء بها الجبال.

تعتقد الباحثة أن كل شيء مقدر ومكتوب من عند الله تعالى، وليس المعنى أن المرأة متعنتة في أمرها، ولكن دائماً مسائل الزواج هي خاصة بالبنت في نفسها، لأن البكر تأمر في نفسها، وتستشار الثيب، ولكن عظمة الموقف برغم معارضتها في البداية لأن الأمر هو تقرير مصير، وهي حياة ممتدة تؤثم أو تثاب عليها.

ولكن أكبر شاهد نراه حينما قالت زينب بنت جحش: سمعاً وطاعة يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلك هو الأدب المطلوب في التعامل. وأيضاً نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحاور معها حتى أنزل الله تعالى ما يفصل هذا النقاش في قوله تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة)، فنجد أن الله لم يخاطب المرأة المؤمنة وحدها، إنما الخطاب جاء عاماً لجميع المؤمنين، وهذه هي مرتبة أعلى وأعظم. إذاً هي من المؤمنات، لأننا نعلم تماماً معنى الإيمان وعظمته والسعي من جانب كل المسلمين لتحقيقه، فهو كما قال الإمام الحسن البصري : (الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل). ونحن كلنا بشر لا خيار لنا في هذه الحياة، ولا اعتراض على أوامر الله سبحانه وتعالى فيما قدره لنا في هذه الحياة، أي ما وجدناه في الكتاب والسنة من قواعد ثابتة. ولكن ما أريد أن أذكر به أنه يجب أن نعي تماماً أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وخيره بين طريق الخير – وهو طريق الجنة – وطريق الشر الذي يقود صاحبه إلى النار، وذلك في قوله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ {8} وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ {9 } وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)[148].

قال الشوكاني: (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما (ولساناً) ينطق به (وشفتين) يستر بهما ثغره. قال الزجاج: المعنى ألم نفعل له ما يدل على أن الله

---

[148] سورة البلد ، الأيات 8 – 9 – 10

قادر على أن يبعثه، والشفه محذوفة اللام، وأصلها شفه بدليل تصغيرها على شفيهة (وهديناه النجدين) النجد: الطريق في ارتفاع. قال المفسرون: بينا له طريق الخير وطريق الشر، مبينتين كتبيين الطريقتين العاليتين[149].

إذاً الرؤية واضحة للإنسان لما منحه الله من عقل ميزه به عن سائر المخلوقات.

قال تعالى: (فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى)[150]. معنى ذلك أن الزوج هو الذي غرس الأساس وواجبه رعايته بمعنى النفقة على الزوجة التي تقوم بالرضاعة، وهو أساس نشأة الطفل، ذكر وأنثى.

قال تعالى: (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى)[151]. قال الشوكاني: ''(فإن أرضعن لكم) أي أولادكم بعد ذلك، (فآتوهن أجورهن) أي أجور رضاعتهن، والمعنى: إن المطلقات إذا أرضعن أولاد الأزواج المطلقين لهن منهن فلهن أجورهن على ذلك، (وأتمروا بينكم بمعروف) هو خطاب للأزواج والزوجات، أي تشاوروا بينكم بما هو معروف غير منكر، وليقبل بعضكم من بعض من المعروف والجميل، وأصل معناها ليأمر بعضكم بعضاً بما هو متعارف بين الناس غير منكر عندهم. قيل ليتراضى الأب والأم على أجر مسمى. قيل والمعروف الجميل من الزوج أن يوفر لها الأجر''[152].

قال سيد قطب: ''في الآية هذا هو البيان لتفصيل مسألة الإقامة في البيوت، والإنفاق في فترة العدة، على اختلاف مدتها، فالمأمور به هو أن يسكنوهن مما يجدون هم من سكنى، لا أقل مما هم عليه في سكناهم، وما يستطيعونه حسب

---

[149] الشوكاني – فتح القدير – مرجع سابق، ص637 – 338

[150] سورة الطلاق ، الآية 6

[151] سورة الطلاق ، الآية 6

[152] الإمام محمد بن علي محمد الشوكاني – فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير – الجزء الخامس، ط1، القاهرة، دار الحديث، 1413هـ - 1993م، ص349

مقدرتهم وغناهم، غير عامدين إلى صغارتهم، سواء بالتضييق عليهن في فسحة المسكن أو مستواه، أو في المعاملة فيه. وخص ذوات الأحمال بذكر النفقة – مع وجوب النفقة لكل معتدة – لتوهم أن طول مدة الحمل يحدد زمن الإنفاق ببعضه دون بقيته، أو بزيادة عنه إذا قصرت مدته. فأوجب النفقة حتى الوضع، وهو موعد انتهاء العدة لزيادة الإيضاح التشريعي. ثم فصل مسألة الرضاعة فلم يجعلها واجباً على الأم بلا مقابل، فما دامت ترضع الطفل المشترك بينهما، فمن حقها أن تنال أجراً على رضاعته تستعين به على حياتها وعلى إدرار اللبن للصغير. وهذا منتهى المراعاة للأم في الشريعة. وفي الوقت ذاته أمر الأب والأم أن يأتمرا بينهما بالمعروف في شأن هذا الوليد، ويتشاوروا في أمره، ورائدهما مصلحته، وهو أمانة بينهما، فلا يكون فشلهما في الحياة في حياتهما نكبة على الصغير البريء فيها. وهذه هي المياسرة التي يدعوهما الله إليها. فإما إذا تعاسرا، ولم يتفقا بشأن الرضاعة وأجرها، فالطفل مكفول الحقوق (فسترضع له أخرى) دون اعتراض من الأم، ودون تعطيل حق الطفل في الرضاعة، بسبب تعاسرهما بعد فشلهما''[153].

نجد أن أمهاتنا لم يطالبوا يوماً من الأيام أي من الرجال بحق الرضاعة، لأن ذلك من فطرة الأم، تحب دائماً بما حباها الله من عطف وشفقة على ابنها، وتريد أن تربيه على المنهج القويم السليم، فالأم هي التي وصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سأله أحد الشبان عن أي الناس أحق بحسن صحابته، فقال صلى الله عليه وسلم: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك[154].

فأحب أن أذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحب التأكيد على الأشياء الهامة ثلاث مرات. وهنا جاءت أربعة مرات، ثلاثة الأم وواحدة الأب. فاستحضر هنا كلام أحد شيوخ الحركة الإسلامية، قال: ''إني لم أفسر هذا الحديث إلا بعد زواجي من المرأة الثانية، ولم أعطيه معناه الصحيح وفهمه، فأبوك رجل وقد يكون له أربع أزواج، أمك مصاحباك اليوم الأول والثاني والثالث والرابع أبوك.

---

153 سيد قطب – في ظلال القران – مرجع سابق، ص3603

154 سبق تخريجه ، ص

فالأم هي الحانية التي لا تدع ابنها، فنحن إذا نظرنا للرجل عندما يطلق الزوجة أو يموت يترك أولاده فتربيهم أمهم وتضحي من أجلهم، فمعنى الأم عظيم، فهي التي حملت الطفل كرهاً ووضعته كرهاً وفصاله في عامين، وتسهر في راحته دائماً. قال صلى الله عليه وسلم: (ما أكرمهن إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم)[155]. ويجب على الرجل أن يعينها ويستوصي بها خيراً. وفي ذلك قيل: إنه جاء رجل إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يشكوا إليه خلق زوجته، فوقف ببابه ينتظره، فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها، وهو ساكت، لا يرد عليه، فانصرف الرجل قائلاً: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكيف حالي؟! فخرج عمر فرآه وناداه: ما حاجتك؟ فقال: جئت أشكو إليك خلق زوجتي، فسمعت زوجتك كذلك، فرجعت! وقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته، فكيف حالي؟. فقال عمر: تحملتها لحقوق لها علي، فإنها طباخة لطعامي، خبازة لخبزي، غسالة لثيابي، ومرضعة لولدي، وليس ذلك بواجب عليها، وسكن قلبي بها عن الحرام، وأنا أتحملها لذلك. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، وكذلك زوجتي. قال: فتحملها يا أخي، فإنما هي مدة يسيرة[156].

155 محمد بن محمد الحسيني الزبيدي – إتحاف السادة المتقين – ج5 (36/4)
156 طه عبد الرزوف سعد، ثلاثمائة قصة من قصص الصالحين – ط1، القاهرة، مكتبة الصفا 1420 هـ - 2000م، ص 52

الخاتمة

أولاً:

أ. النتائج:

خلصت الباحثة إلي نتائج من خلال البحث توردها فيما يلي:

1. إذا كان لا بد للمرأة من الدعوة في زمن دخل فيه العالم القرن الحادي والعشرين ومتسابقاً في التنافسات المادية والصراعات المذهبية ... فإنه لا بد للمرأة المسلمة في نهوض أمتها وتعمل ما بإستطاعتها لمواجهة التحديات العالمية وتساهم في بناء الحضارة الإسلامية وفي إعادة الدور القيادي للمرأة المسلمة والمرأة المسلمة كما كانت في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم في القرون الإسلامية.[1]
2. النماذج النسائية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم تؤكد على أن المرأة لها القدرة على القيام بالعمل الدعوي وتطبيق مناهج الدعوة، فقد كن رضوان الله عليهن نماذج للداعية، قمن بتطبيق مناهج وأساليب الدعوة.
3. توجد مشاركات فاعلة للمرأة في المجال العلمي والخيري، كما أنها أثبتت مقدرة على إدارة المؤسسات الدعوية، إلا أننا نجد قصوراً واضحاً في المجال الفكري، وما زالت تعتمد على الرجل في هذا المجال.
4. شخصية الداعية المتحلية بالصفات الدعوية تعينها على أداء الدعوة بسهولة ويسر.
5. من خلال البحث اطلعت على نماذج للمرأة المعاصرة إلا أن هيمنة بعض الحركات، وعدم إعطاء المرأة حقها الكامل في كل مجالات العمل الإسلامي داخل الحركات.
6. تاريخ المرأة الدعوي مليء بالنماذج الدعوية التي كان لها عظيم الدور في نشر الدعوة الإسلامية.
7. بالرغم من أهمية قضية المرأة عموماً، فإن الفكر الإسلامي لا يزال يفتقر إلى دراسات علمية متخصصة، تعالج المشكلات والتحديات المعاصرة، وتؤسس

---

[1] لبث العالم ستة قرون الأولي والمرأة تشارك الرجال في كل شئون الحياة وتعقد النساء العالمات الفضليات مجالس العلم والأدب والمناظرة والمساجلة بين الرجال والنساء على السواء ويحكمن بين العلماء والأدباء.

لرؤية إسلامية قائمة على العقل والمبادرة الإيجابية والشمول والعمق والمعاصرة، ولا تزال معالجات الحركات الإسلامية تتسم بالكثير من ردود الفعل، والسطحية، والإفراط والتفريط والتأثر.

8. توجد معوقات لعمل المرأة داخل بعض الحركات، مثل الجماعة السلفية، يرجع للعقلية الذهنية الجامدة، وانخفاض الوعي وسط الجماعة.

9. التوفيق بين عمل المرأة العام والعمل الخاص داخل الأسرة هو مشكلة، لكن الطليعيات اللائي دخلن هذا المدخل أخوات قادرين على هذا النضال الدعوي الاجتماعي.

10. الإنتاج الفكري والثقافي ما زال ضعيفاً، باستثناء مركز دراسات المرأة بالخرطوم الذي يسهم في بث الوعي بين النساء وتزويدهن بالمعرفة والعمل على نهضة المرأة فكرياً ومركز دراسات الأسرة الذي يهتم بشئون الأسرة وجمعية أم عطية الأنصارية التي تسعى لتقديم الدعوة بصورة وافية، ومراكز أخرى قامت لمساندة قضايا المرأة.

ثانياً:

ب. التوصيات:

من خلال ما توصلت إليه الباحثة من نتائج تورد التوصيات الآتية:

1. مراعاة متطلبات العصر، فقد قرر المحققون أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال والعرف، وأضرب مثلاً بالإمام الشافعي الذي غير مذهبه في مدة وجيزة، وكان له مذهب قديم ومذهب جديد، وأصحاب أبي حنيفة خالفوه في أكثر المذهب لاختلاف عصرهم عن عصره، وقالوا: لو رأى صاحبنا ما رأينا لقال بمثل ما قلنا، وأكثر.
2. الدفاع عن دين الإسلام وتخليصه من دعاوى العلمانيين، الذين يتاجرون بقضية المرأة، ويحاولون أن يلصقوا بالإسلام ما هو بريء منه؛ وهو أنه جار على المرأة، وعطل مواهبها، ويحتجون لذلك بممارسات بعض العصور المتأخرة، وبأقوال بعض المتشددين المعاصرين.
3. على الحركات الإسلامية تأهيل واعداد الداعية إعداداً علمياً وفقهياً في الأمور الدينية والدنيوية، وأن تؤسس مراكز أو معاهد تتعهد بتعليم المرأة وتدريبها على الجانب الفكري، حتى يتسنى تأهيل المرأة دعوياً، لتنهض وتعنى بما يقتضيه جانب التمكين.
4. ضرورة وحدة المسلمين، وأن تجتمع كل الحركات الإسلامية في حركة إسلام واحدة، وأن تجتمع الأمة الإسلامية، فالأمة لا تجتمع إلا على الإسلام وشريعته، ولا تتحد إلا بالإسلام وقوته.
5. نشر الوعي الإسلامي، والفهم الصحيح للإسلام بين النساء، وانشاء مؤسسات دعوية، وحلقات للدراسات الإسلامية للمرأة في المناطق الريفية.
6. توعية المجتمع المسلم، وتصحيح الأفكار الخاطئة في حق المرأة، حيث جعلوا منها قضية يتداولها المجتمع باسم الإسلام، والإسلام بريء منها.
7. ضرورة وجود حركة نسائية تدرس أوضاع المرأة والأسرة، دراسة أكاديمية مستنيرة، تبنى على أسس علمية دعوية تؤصل الحياة المعاصرة برؤى واعية؛

واجتهادات صائبة؛ وتحليل فقهي رصين وأهمية الحركة النسائية نحتاج حركة نسائية حتى لا تهمش المرأة في الحياة، ولا يرمى لها بالفتات، ولا تكون ديكور في المحافل والمناسبات، ولا ترقيعاً لأنظمة وحكومات من غير إعطائها دوراً فعلياً وفاعلاً.

8. أهمية الحركة النسائية الإسلامية لتدافع عن حقوق المرأة من منطلق الشرع، وتساهم بإخلاص في نهضة المرأة المسلمة، وتعيد صياغة همومها وشخصيتها، وتعيد لها أدوار أول داعية بعد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ خديجة الكبرى، وأول شهيدة في الإسلام سمية، وأول أمينة على سر الهجرة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، تعيد لنا أمثال الفقيهات والمجاهدات والطبيبات والشاعرات والآمرات بالمعروف والناهيات عن المنكر، اللاتي كان مجتمع الرسول صلى الله عليه وسلم يعج بها.

9. الحركة النسائية تتصدي للحركات المتطرفة التي تشوه فطرة المرأة وعدالة قضيتها.

10. لا بد للعاملين في حقل الدعوة من التخطيط الدعوى لعمل المرأة وفقاً لمقتضيات العصر، والتطبيق العملي حتى يتم تجاوز العقبات والمشاكل التي تواجه الدعوة الإسلامية.

11. لا بد من القيام بمراجعة شاملة لفكرنا وثقافتنا ، لقوانيننا ودساتيرنا المعاصرة ، ونطهرها من كل تمييز ضد المرأة حتى يتثني لنا أن نواجه هذه الأفكار بقوة وحتى لا ندع فرصة لتعالج قضايا المرأة المسلمة بتلك المفاهيم والمعالجات التي لا صلة لها بالإسلام.

12. لا بد من تطهير مجتمعها وممارساتنا العملية في المجتمع والأسرة والمؤسسات من التمييز والاجحاف أيضاً ، لأن هذا هو الخطوة الجوهرية وهذا هو الأثر المباشر للنقطة السابقة.

13. إنشاء مؤسسات متخصصة لتربية كوادر وقيادات من المرأة في مختلف المجالات، وإيجاد رعاية خاصة من للنوابغ والمبدعات منهن بتوفير فرص التعليم والتدريب لهن.

14. ينبغي تفعيل الروابط الإسلامية النسوية علي مستوي العالم، وعقد لقاءات وندوات واقامة مؤتمرات وأنشطة مشتركة لبلورة رأي وموقف قوي وواضح وموحد سواء كان من داخل الحركات الإسلامية أو جمعيات للوقوف ضد التحديات التي تواجه المرأة المسلمة محلياً وعالمياً، ولتوحيد الرؤي والتنسيق في المواقف عندما تقام مؤتمرات عالمية لمناقشة قضايا المرأة والسكان والتنمية وغيرها.

15. أهمية مراجعة الفكر الإسلامي المعاصرالذي تبنته الحركات الإسلامية التي نعتمد عليها في تغيير أوضاعنا الفكرية والاجتماعية والسياسية ولا بد لهذه الحركات أن تعي قضية المرأة بشكل أعمق ، وأن تلتفت لدورالمرأة الحاسم في كل تغيير دوري وحقيقي ولا بد لهذه الحركات أن لا تمارس التمييز السلبي ضد المرأة داخل برامجها وأنشطتها ، واهتماماتها ومواقع اتخاذ القرارات فيها ، وأيضاً ينبغي أن لا يمارس الرجال دورالوصاة علي المرأة كما في بعض الحركات الإسلامية التي أوردناها في البحث ، ولا يخصص الرجال بما ليس خاصاً بهم بنص قاطع ، فليس هناك في ديننا إسلام رجالي وإسلام نسائي ولا مسلم درجة أولي ودرجة ثانية ، وبالتالي ليس هناك عضوية درجة أولي ودرجة ثانية داخل الحركات الإسلامية.

المصادر و المراجع

المصادر والمراجع

أولاً:

1. القرآن الكريم

ثانياً: المراجع العامة:

2. ابن الأثير – الكامل في التاريخ – بيروت، دار صادر: 1402هـ – 1982م
3. ابن الجوزي – أحكام النساء – تحقيق: أحمد شويحات، ط1 دمشق ، مطبعة القوال:
4. جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي – صفة الصفوة ، ط1– حلب ، الناشر دار الوعي ، جمادي الأولى 1393م
5. ابن تيمية – مجمع الفتاوى – ط1، القاهرة، 1404هـ
6. ابن قيم الجوزية – إعلام الموقعين عن رب العالمين – بيروت، دار الفكر: بدون تاريخ
7. ابن هشام – السيرة النبوية – ط2، القاهرة، دار الحديث، نشر المكتبة التوفيقية: 1998م
8. أبو الحسن أحمد بن فارس – معجم مقاييس اللغة – بيروت، دار الجيل: ط 1411هـ – 1991م
9. أبو القاسم هبة الله بن الحسين منصور اللالكائي – شرح السنة – دار طيبة للنشر، مطبعة الرياض، 1418هـ
10. أبو حامد محمد الغزالي – إحياء علوم الدين – دار المعرفة: بيروت
11. أبو زهرة – تاريخ المذاهب الإسلامية – بيروت، دار الفكر: بدون تاريخ
12. أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير – النهاية في غريب الحديث – ط1، بيروت، دار إحياء علوم التراث: بدون تاريخ
13. أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي – دلائل النبوة – ط1، بيروت، دار الكتب العلمية: 1405هـ

14. أحمد الجبالي – من أشهر النساء في التاريخ – القاهرة، 1985م
15. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – فتح الباري بشرح صحيح البخاري – الرياض ، إنتاج بيت الأفكار الدولية، توزيع المؤتمر للتوزيع
16. أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبا بطين – المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها ومسئوليتها في الدعوة – ط1، الرياض، دار عالم الكتب: 1411هـ – 1991م
17. أحمد عيسى عاشور – حسن البنا نظرات في إصلاح النفس والمجتمع – القاهرة ، مكتبة الاعتصام
18. بنت الشاطئ – تراجم سيدات بيت النبوة – ط1، القاهرة،
19. جابر الشال – قصص النساء في القرآن الكريم – القاهرة، دار الجيل: بيروت، نكتبة التراث الإسلامي: 1405هـ – 1985م
20. جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور – لسان العرب – بيروت، 1375هـ – 1956م
21. حسن البنا – حديث الثلاثاء – القاهرة، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع: بدون تاريخ
22. حسن البنا – رسالة المؤتمر الخامس – مصر، شركة الإخوان للطباعة والنشر: 1371هـ – 1952م
23. حسن البنا – مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا – ط3، بيروت، المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر: 1403هـ – 1983م
24. حسن البنا – مذكرات الدعوة والداعية – بيروت، دار التوزيع للنشر الإسلامية: 1968م
25. الحسن بن محمد – العباب الزاخر – بيروت، بدون تاريخ
26. خير الدين الزركلي – الأعلام – توزيع الشركة اللبنانية للموسوعات العالمية، ط3، لبنان ، دار العلم ل 210

27. الراغب الأصفهاني – مفردات ألفاظ القرآن – بيروت، دار القلم: دمشق، الدار السامية: ط 1412هـ – 1996م
28. زكريا سليمان بيومي – الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية المصرية – ط1، القاهرة، الناشر مكتبة وهبة: 1399هـ – 1979م
29. زينب الغزالي – مسيرة وجهاد وحديث من الذكريات – القاهرة، دار الاعتصام للنشر والتوزيع: بدون طبعة
30. زينب الغزالي – هموم المرأة المسلمة والداعية – دار الاعتصام
31. زينب بنت يوسف – الدر المنثور في طبقات ربات الخدور – ط2، بيروت ، دار المعرفة
32. سعيد هاشم – دور المرأة الرسالية في دولة النبوة – ط1، لندن، مؤسسة الفجر: 1417هـ – 1996م
33. السيد الجميلي – نساء حول الرسول – بدون طبعة
34. سيد قطب – معالم في الطريق – الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية: ط3، الكويت، 1985م
35. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي – سير أعلام النبلاء – ط7، بيروت، مؤسسة الرسالة: 1410هـ – 1990م
36. شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر – الإصابة في تمييز الصحابة – القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر
37. صادق أمين – الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية – مؤسسة مصري للتوزيع
38. الطبري – تاريخ الأمم والملوك – ط1، بيروت ، دار القلم
39. طه عبد الرؤوف سعد– ثلاثون قصة من قصص الصالحين – ط1، القاهرة، مكتبة الصفا: 1420هـ – 211

40. عباس السيسي – حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية – الإسكندرية، دار القبس: 1982م
41. عبد الحليم محمد أبو شقة – تحرير المرأة في عصر الرسالة – ط5، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع: 1420هـ – 1999م
42. عبد الحليم محمود – وسائل التربية عند الإخوان المسلمين – ط4، المنصورة، دار الوفاء: 1413هـ – 1990م
43. عبد الحميد إبراهيم محمد – المرأة في الإسلام – مطابع الدار القومية للطباعة والنشر
44. عبد الرحمن أبو عميرة – رجال ونساء أنزل الله فيهن قرآناً – ط1، دار اللواء للنشر والتوزيع، 1338هـ – 1978م
45. عبد الله بدران ومحي الدين بوابيجي – سمير المؤمنات وأنيس الصالحات – ط2، دار الخير للطباعة والنشر، 1418هـ – 1998م
46. عبد الله عفيفي – المرأة العربية – القاهرة، دار الاعتصام: 1880م
47. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، ط1، بيروت مؤسسة الرسالة، 1411هـ
48. عز الدين بن الأثير – أسد الغابة في معرفة الصحابة – بيروت ، دار الفكر للنشر والتوزيع:
49. عمر أشقر – أسماء الله وصفاته – ط2، دار النفائس، 1414هـ
50. عمر رضا كحالة – أعلام النساء – ط10، سوريا، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع: بيروت، 1412هـ – 1991م
51. فتحي يكن – الموسوعة الحركية – مؤسسة الرسالة، ط1، 1400هـ – 1980م
52. محمد إبراهيم شقرة – هي السلفية نسبة وعقيدة ومنهجاً – ط1، مكة المكرمة، 1413هـ – 1992م 212

53. محمد الغزالي – قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة – القاهرة، دار الشروق: 1990م
54. محمد بن أحمد السفاريني – لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المعنية في قصيدة الفرقة المرضية – المؤسسة السعودية، مطبعة المدني: القاهرة، مصر، بدون تاريخ
55. محمد بن علي الشوكاني – نيل الأوطار – بيروت، دار الجيل: 1973م
56. محمد سعيد مبيض – ط1، موسوعة حياة الصحابيات –توزيع مؤسسة الريان، نشر مكتبة الغزالي، 1421هـ – 2000م
57. محمد سليم العوا – الإسلاميون والمرأة – ط1، دار الوفاء، 1421هـ – 2000م
58. محمد شوقي زكي – الإخوان المسلمون والمجتمع المصري – ط3، دار الأنصار، ط2، 1980م، بيروت، المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر: 1403هـ – 1983م
59. محمد صالح العثيمين – شرح العقيدة الواسطة – دار أبناء الجوزي: الدمام، المملكة العربية السعودية، ط2، 1415هـ
60. محمد عبد الحكيم الخيال ومحمود محمد الجوهري – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية – ط2، الإسكندرية، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع: 1413هـ – 19993م
61. محمد عبده – نساء حول الرسول – المنصورة، مكتبة الإيمان
62. محمد فتحي علي سعيد – في دعوة الإخوان المسلمين – ط1، جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع: 1405هـ – 1985م
63. محمد نور سويد – منهج التربية النبوية للطفل – ط2، دمشق، دار ابن كثير: 1999م

64. محمود الجوهري – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية – ط2، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع: 1409هـ – 1989م
65. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أباي ، القاموس المحيط ، الجزء الأول ، بيروت دار المعرفة،
66. محمود سالم عبيدات – أثر الجماعيات الإسلامية الميداني خلال القرن العشرين – ط1، الأردن، الناشر مكتبة لارسالة الحديثة: 1409هـ – 1989م
67. محمود عبد الحليم – الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ – الإسكندرية، دار الدعوة: 1948
68. مصطفى الطحان – المرأة في موكب الدعوة – ط1، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامي: 1420هـ – 1985م
69. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة – ط2، الندوة العالمية للشباب الإسلامي –1409هـ – 1989م
70. احمد محمد طاهر عمر – جماعة أنصار السنة المحمدية – ط1 – المنصورة – دار الهدي النبوي للنشر والتوزيع – 1425هـ–2004م
71. محمد حامد الفقي – نور من القرآن الكريم – جمع محمد رشد خليل – القاهرة – مطابع دار الطباعة للنشر الإسلامية – 1384هـ
72. جماعة أنصار السنة – نشأتها واهدافها – إدارة الدعوة والإعلام بالمركز العام للجماعة – ط3 – القاهرة – مطبعة السنة المحمدية – 1369هـ
73. حسين بن محمد بن علي جابر – الطريق إلي جماعة المسلمين – ط1– دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – 1407هـ–1987م

ثالثاً: كتب التفسير:

74. ابي بركات عبد الله بن أحمد محمود النسفي – تفسير النسفي – القاهرة، مطبعة المدني: 1385هـ – 1966م

75. أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي – تفسير ابن كثير – ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1417هـ – 1996م

76. أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ط17، مؤسسة مناهل العرفان، 1412هـ – 1992م

77. سيد قطب – في ظلال القرآن– المجلد الثالث، ط17، دار الشروق، 1412هـ – 1992م

78. محمد بن جرير الطبري – جامع البيان – بيروت، دار الفكر: 1408هـ – 1988م

79. محمد بن جرير الطبري – مختصر تفسير الطبري – مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية: قطر

80. محمد بن علي بن محمد الشوكاني – فتح القدير – بيروت، در الفكر للطباعة والنشر: 1403هـ – 1983م

81. محمد علي الصابوني – صفوة التفاسير – بيروت ، دار القرآن الكريم:

رابعاً: كتب الحديث:

82. أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول – موسوعة أطراف الحديث – منشورات محمد علي بيضون، بيروت ، دار الكتب العلمية:

83. أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري – صحيح مسلم – دار الحديث

84. أبي السعادات بن محمد الجزري بن الأثير – النهاية في غريب الحديث – طبعة إحياء علوم التراث: بيروت، بدون تاريخ

85. أبي داود سليمان بن الأشعث – سنن أبي داود – بيروت ،دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع:
86. أبي داود سليمان بن الأشعث – موسوعة الكتب الستة وشروحها – ط2، بيروت ، الناشران: دار سحنون،
87. أبي عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري – المستدرك على الصحيحين – منشورات محمد علي بيضون، بيروت ، دار الكتب العلمية
88. أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجة – سنن ابن ماجة – دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ
89. أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي – الاستيعاب في معرفة الأصحاب – دار الكتب العلمية ،ط1،بيروت، 1415هـ – 1995م
90. أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة – سنن الترمذي – ط1، القاهرة، دار الحديث: 1419هـ – 1999م
91. أحمد بن محمد بن حنبل ، مسند الإمام احمد بن حنبل ،ط4– دار المعارف
92. إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي – كشف الخفا ومزيل الألباس ،حلب، مطبعة الفنون: نشر وتوزيع مكتبة التراث الإسلامي
93. السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي ، إتحاف السادة المتقين ، ج 3، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، 1414–1994م
94. جلال الدين السيوطي والسندي – سنن النسائي – ط 4، القاهرة ،دار الحديث، 1414هـ–1994م
95. علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهاني فوري – كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال – منشورات مكتبة التراث الإسلامي: حلب، مطبعة البلاغة

96. شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي – المستدرك على الصحيحين – الرياض ،الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة
97. محمد بن سعد كاتب الواقدي – الطبقات الكبرى – القاهرة، دار التحرير للطبع والنشر: 1388هـ – 1968م
98. نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المصري – مجمع الزوائد – منشورات محمد علي بيضون، بيروت ،دار الكتب العلمية

خامساً: المجلات:

99. مجلة الأزهر – شعبان 1376هـ – يوليو 1985م
100. مجلة الاستجابة – العدد (5)، السنة الثانية، جمادي الأولى 1407هـ
101. مجلة الدعوة – العدد (92)، 1404هـ – 1984م
102. مجلة الصيحة – العدد (4)، 1425هـ – 2004م
103. مجلة القلم الصريح – العدد التاسع عشر ، 1939/2/9م
104. مجلة النذير – العدد الثاني ، المجلد الرابع والعشرون ،25 ربيع أول 1358هـ 1982م
105. مجلة الهدي النبوي – العدد الثاني – جمادي الأولي 1356هـ السنة الأولي
106. مجلة الهدي النبوي – العدد الأول – ربيع الثاني 1356هـ السنة الأولي
107. مجلة الهدي النبوي – جمادي الآخر 1359هـ
108. مجلة الهدي النبوي البريطانية – العدد العاشر – شوال 1417هـ–1996م السنة الأولي
109. مجلة لواء الإسلام – العدد (10)، السنة الثانية والأربعون، جمادي الآخر 1408هـ – يناير 1988م
110. مجلة نور الإسلام – العدد الحادي عشر ، السنة الثانية ، محرم 1356هـ
111. جريدة الشعب – 8رجب 1378هـ الموافق 17/يناير/1959م

سادساً : المقابلات:

112. لقاء مع الشيخ محمد هاشم الهدية أمين عام جماعة أنصار السنة المحمدية ، يوم 2005/3/5م ويوم 2005/12/15م

113. لقاء مع شيخ أبو زيد محمد حمزة – قيادي في جماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان – يوم 2005/3/15م ويوم 2005/12/10م

سابعاً : الوثائق:

114. وثيقة من إعداد محمد هاشم الهدية الأمين العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان فبراير 2005م

الملاحق

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] ١٩٩٦ م

[illegible] التي اقترحت الجزيرة

[illegible] الحياة [illegible]

[illegible]

[illegible] لتعرفوا إن أكرمكم عند [illegible]

[illegible] شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند [illegible]

[illegible]

[illegible] مودة ورحمة [illegible]

[illegible] والسكينة [illegible]

[illegible] أكرمكم [illegible] الأخوة [illegible]

[illegible] والرجل [illegible]

[illegible] بمعروف [illegible]

[illegible] على الزوج

[illegible]

[illegible]

[illegible] ثم امرأتين [illegible] تزوجتا

[illegible] وابوها شيخ كبير [illegible] فسقى لهما ثم تولى

[illegible] القصص

[illegible] الرجل الذي زاحم الرعاة يسقي [illegible]

[illegible] سقيت لنا [illegible]

[illegible] القصص

[illegible] وبما انفقوا من اموالهم [illegible]

[illegible] الرجل الحساني [illegible]

[illegible] البقرة [illegible]

[illegible] حتى تعشر [illegible] ان تعترف [illegible]

[illegible] هذه هي الدرجة المقصية [illegible]

[illegible] ترضون من [illegible]

[illegible] البقرة [illegible]

[illegible] كل منها قاعدة المعرفة

[illegible]

[illegible] الانثيين [illegible]

[illegible] والله عزيز حكيم

[illegible]

[illegible] يقتضي [illegible]

[illegible] الآيات التي [illegible]

[illegible]

[illegible]

المرأة

أعطى الإسلام المرأة حقوقها اجتماعيا وارثه بعد أن كانت تورث وأبقى عليها بعد أن كانت توأد وهي طفلة، وحدد الله لها مسؤولياتها في حدود كرامتها وحفظ عفتها وخلقيا وهي ابنة، وجعلها أولى الناس [illegible] الأول مع ثلاثة مرات والرابعة أبوه وهي بنت والنشء في رعاية والدها وهي طفلة يرعاها ويعلمها ثم إذا تزوجت فهي سكن [illegible] والدها [illegible] حاجتها ويدفعها على تربية أولادها، وإذا ترملت رجعت تحت كفالة والدها، وهي أخت [illegible] ملء السمع والبصر لأخوانها والأهم من ذلك كله أن المرأة في الإسلام عورة يجب المحافظة عليها، يفرض الدين عليها الستر ورعاية سلوكها العام والخاص لحفظ النسل الذي يعتز به المسلم، وإهدار [illegible] حقوق المرأة من العلمانيين فقد جعلوها سلعة في يد الرجل [illegible] يتمتع بها ويستغلها [illegible] عرضها وشرفها لتكون عارضة أزياء وراقصة في الصالات ومغنية في دور اللهو

بقلم/ محمد هاشم الهدية

رئيس عام جماعة انصار السنة المحمدية) في المرأة

الفهارس العامة

فهارس الموضوعات

الموضـوع	الصفحة
الاستهلال	أ
الإهداء	ب
الشكر والتقدير	ج
الإطار المنهجي للدراسة	2
الفصل الأول: مشاركة المرأة في الدعوة	8
المبحث الأول: المرأة في القرآن الكريم	9
المطلب الأول: حكم وجوب الدعوة على النساء	10
المطلب الثاني: السيدة مريم بنت عمران	25
المطلب الثالث: أم موسى عليها السلام	30
المطلب الرابع: آسيا بنت مزاحم رضي الله عنها	34
المطلب الخامس: خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها	40
المبحث الثاني: المرأة في العهد النبوي	42
المطلب الأول: إكرام النبي صلى الله عليه وسلم للمرأة	43
المطلب الثاني: المرأة والعلم	54
المطلب الثالث: مشاركة المرأة في إرساء قواعد الدين والدولة	61
المبحث الثالث: المرأة في عهد الخلافة الراشدة	70
المطلب الأول: مشاركة المرأة في الحياة العلمية	71
المطلب الثاني: مشاركة المرأة في الحياة السياسية	74
المطلب الثالث: السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها	76
المطلب الرابع: السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما	80
المطلب الخامس: السيدة أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها	84
الفصل الثاني: دور المرأة الدعوى في حركة الإخوان المسلمين	87
المبحث الأول: نشأة وأهداف حركة الإخوان المسلمين	88
المطلب الأول: مؤسس الحركة	89
المطلب الثاني: أهداف الحركة	92

المطلب الثالث: تقييم عام للحركة	102
المبحث الثاني: المرأة في حركة الإخوان المسلمين	105
المطلب الأول: نشأة فرقة الأخوات المسلمات	106
المطلب الثاني: جهود الأخوات المسلمات في الدعوة والتغيير الاجتماعي	113
المطلب الثالث: الصعوبات التي واجهت الأخوات المسلمات	122
المبحث الثالث: نماذج المرأة في حركة الإخوان المسلمين	131
المطلب الأول: لطيفة (زوجة حسن البنا)	132
المطلب الثاني: أمينة علي	134
المطلب الثالث: أحلام الحسن	138
الفصل الثالث: دور المرأة الدعوي في الجماعة السلفية	142
المبحث الأول: تعريف ونشأة وأهداف جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر	143
المطلب الأول: مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية	144
المطلب الثاني: أصول جماعة أنصار السنة المحمدية وأهدافها	147
المطلب الثالث: وسائل جماعة أنصار السنة المحمدية وجهودها في الدعوة	151
المطلب الرابع: رؤية الجماعة للمرأة	154
المبحث الثاني: تعريف ونشأة وأهداف الجماعة السلفية	157
المطلب الأول: تعريف السلف	158
المطلب الثاني: نشأة السلفية	161
المطلب الثالث: أهداف الدعوة السلفية	162
المبحث الثالث: المرأة في الجماعة السلفية	168
المطلب الأول: مكانة المرأة في الجماعة السلفية من حيث الخلق والتكوين	169
المطلب الثاني: مكانة المرأة في الجماعة السلفية من حيث الأدوار الدعوية والاجتماعية والسياسية	183
الخاتمة	203
النتائج	203
التوصيات	205
المصادر والمراجع	209

المجلات	217
المقابلات	218
الوثائق	218
الملاحق	219
الفهارس العامة	220
فهرس الآيات	224
فهرس الأحاديث	227
فهرس الأعلام	230

فهارس الآيات

رقم السورة	اسم السورة	الآيـــة	رقم الآية	رقم الصفحة
2	البقرة	(إني جاعل في الأرض خليفة)	30	11
2	البقرة	(وإذ نجيناكم من آل فرعون)	49	100
2	البقرة	(صبغة الله)	138	99
2	البقرة	(وكذلك جعلناكم أمة وسطاً)	143	164
2	البقرة	(نساؤكم حرث لكم)	223	175
2	البقرة	(والمطلقات يتربصن بأنفسهن)	228	192–130
2	البقرة	(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)	228	188-173-129
2	البقرة	(فله ما سلف)	275	158
3	آل عمران	(إن الله اصطفى آدم ونوحاً)	33	36
3	آل عمران	(وإذ قالت امرأة عمران)	36 – 35	177-52-35
3	آل عمران	(فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها)	36	37
3	آل عمران	(فتقبلها ربها بقبول حسن)	37	28
3	آل عمران	(وتلك الأيام نداولها بين الناس)	140	1
3	آل عمران	(وإذ قالت الملائكة يا مريم)	47 – 42	36
3	آل عمران	(يا مريم اقنتي لربك)	43	28
3	آل عمران	(واعتصموا بحبل الله جميعاً)	103	165
3	آل عمران	(ولتكن منكم أمة)	104	115-16
3	آل عمران	(كنتم خير أمة)	110	17
3	آل عمران	(فاستجاب لهم ربهم)	195	173-129-150-23
4	النساء	(يا أيها الناس اتقوا ربكم)	1	171-172-34-12-10
4	النساء	(إلا ما قد سلف)	22	158
4	النساء	(الرجال قوامون على النساء)	34	185-46
4	النساء	(فلا وربك لا يؤمنون)	65	165
4	النساء	(ومن يعمل من الصالحات من ذكر	124	33

		وأنثى)		
195-194	176	(يستفتونك قل الله يفتيكم)	النساء	4
12	189	(هو الذي خلقكم من نفس)	الأعراف	7
161	26	(واذكروا إذ أنتم قليل)	الأنفال	8
199	67	(المنافقون والمنافقات)	التوبة	9
53-52-14-13-12-11-1	71	(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)	التوبة	9
130	32	(فماذا بعد الحق)	يونس	10
19	108	(قل هذه سبيلي)	يوسف	12
161	1	(كتاب أنزلناه إليك)	إبراهيم	14
173	58	(وإذا بشر أحدهم بالأنثى)	النحل	16
173-110-23	97	(من عمل صالحاً من ذكر وأنثى)	النحل	16
10	70	(ولقد كرمنا بني آدم)	الإسراء	17
36	34 – 16	(واذكر في الكتاب مريم)	مريم	19
36	28 – 27	(واحلل عقدة من لساني)	طه	20
34	39 – 38	(إذ أوحينا إلى أمك)	طه	20
37-36	47	(فأتياه فقولا إنا رسول ربك)	طه	20
30	13 – 1	(طسم تلك آيات الكتاب)	القصص	28
31	7	(ولما ورد ماء مدين)	القصص	28
37-34	9	(وقالت امرأة فرعون)	القصص	28
35	12	(وحرمنا عليه المراضع)	القصص	28
383	23	(ولما ورد ماء مدين)	القصص	28
181-180	25	(فجاءته إحداهما تمشي على استحياء)	القصص	28
184	26	(يا أبت استأجره)	القصص	28
174	21	(ومن آياته أن خلق)	الروم	30
171	7	(وبدأ خلق الإنسان)	السجدة	32

3	34	(واذكرن ما يتلى)	الأحزاب	33
20	35	(إن المسلمين والمسلمات)	الأحزاب	33
196	36	(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة)	الأحزاب	33
13	58	(والذين يؤذون)	الأحزاب	33
150	36	(سبحان الذي خلق)	يس	36
144	49	(يهب لمن يشاء إناثاً)	الشورى	42
158	56	(فجعلناهم سلفاً ومثلاً)	الزخرف	43
169-13	13	(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى)	الحجرات	49
187-173	49	(ومن كل شيء خلقنا زوجين)	الذاريات	51
191	56	(وما خلقت الجن والإنس)	الذاريات	51
40	1	(قد سمع الله قول التي تجادلك)	المجادلة	58
85-63	10	(يا أيها الذين آمنوا)	الممتحنة	60
210-61	3 – 2	(ومن يتق الله)	الطلاق	65
57	4	(وأولات الأحمال أجلهن)	الطلاق	65
199	6	(فإن أرضعن لكم فآتوهن)	الطلاق	65
38-34	11	(وضرب الله مثلاً للذين آمنوا)	التحريم	66
176	20	(وما تقدموا لأنفسكم)	المزمل	73
170	37	(ألم يك نطفة من مني)	القيامة	75
170	21 – 20	(ألم نخلقكم من ماء مهين)	المرسلات	77
177-10	9 – 8	(وإذا الموؤدة سئلت)	التكوير	81
170	7 – 6	(خلق من ماء دافق)	الطارق	86
199	10 – 8	(ألم نجعل له عينين)	البلد	90
34	10 – 3	(وما خلق الذكر والأنثى)	الليل	92
54	1	(اقرأ باسم ربك)	العلق	96

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم المتسلسل	طرف الحديث	الصفحة
1	أتى جبريل عليه السلام	78
2	اجتمعن في يوم كذا وكذا	49
3	أفلا كنتم أذنتموني به	52-47
4	ستوصوا بالنساء خيراً	130
5	ألا أخبرك بخير ما يكنزه	186
6	أما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا	73
7	إن استأذنكم نساؤكم	51
8	إن الرجل ليدفع عن باب الجنة	59
9	إن الناس كانوا يأتونها	58
10	إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف	48
11	إن النساء قد اكتنين فكنني	80
12	إن أم سليم اتخذت يوم حنين	68
13	إن رسول الله بشر خديجة	77
14	إنك أول أهلي لحوقاً بي	158
15	إنكم بنو آدم	170
16	إنه لما كان يوم أحد	81
17	إني لا أصافح النساء	61
18	أولاد المسلمين في جبل	44
19	أي الناس أعظم حقاً	45
20	أيها الناس	50
22	تعالوا بايعوني	62
23	خير الناس قرني	18
25	خير نساء ركبن الإبل	69
26	خيركم خيركم لأهله	130
27	خيركم قرني	159
28	دخل بيتها يوم فتح مكة	56
29	رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لحماً	75

30	رحم الله نساء الأنصار	49
31	السلام عليكم يا أهل القبور	158
32	سووا بين أولادكم	46
33	صبراً آل ياسر	65
34	طلب العلم فريضة	54
35	طوبى لمن رآني	18
36	غزوت مع رسول الله	68
39	فأرسلت إليه بقدح لبن	48
40	فاطمة بضع مني	130-43
41	فأيكم يستطع ما كان	51
42	فضل عائشة على النساء	83
43	فضلت خديجة على نساء أمتي	180
44	قتل زوج سبيعة	57
45	كلكم راع	44
46	كمل من الرجال كثير	39
47	كمل من الرجال كثير	180
48	كن نساء المؤمنات يشهدن	47
49	كنا نؤمر أن نخرج	50
50	كيف بكم إذا طغا نساؤكم	128
51	لا تتحن	62
52	لا يكون اللعانون شفعاء	58
53	لم يؤثر عن امرأة أنها كذبت	59
54	لن يفلح قوماً ولوا	127
55	لو جمع علم عائشة	81
56	لو كنت آمراً بشر	45
57	ما أشكل علينا أصحاب رسول الله	81
58	ما أكرمهن إلا كريم	201
59	ما قام الإسلام إلا بسيف علي	62
61	ما من بني مولود يولد	178

62	مرحباً ولهلاً يا أم هاني	46
64	من أحدث في أمرنا	59
65	من أحق الناس بحسن صحابتي	45
66	من أحق الناس بحسن صحابتي	75
67	من التمس رضاء الله	83
68	من رأي منكم منكراً	19
69	من سعادة بني آدم	45
70	من سلك طريقاً	56
71	مه مه، عليكم من العمل	48
72	النساء شقائق الرجال	43
73	هذا جبريل يقرأ عليك السلام	81
74	هل سمعتم مقال امرأة	55
75	والله إنا كنا في الجاهلية	171
76	وجب أجري	56
77	وكان لها خباء في المسجد	52
78	يا أم سليم، إذا صليتي المكتوبة فقولي	55
79	يا أمتاه	80
80	يا أيها الناس	13
81	يا أيها الناس إني رسول	43
82	يا أيها الناس قولوا	43
83	يا خديجة، هذا جبريل	44
84	يا معشر قريش	20
85	يا نساء المؤمنين عليكن بالتهليل	54
86	يخرج العواتق وذوات الخدور	49
87	يصلي وهو يحمل أمامة	46

فهرس الأعلام

الرقم المتسلسل	العلم	الصفحة
1	ابن هشام	44
2	أحمد بن حنبل	166
3	بهز بن حكيم	117
4	أميمة بنت رقيقة	61
5	أسماء بنت عميس	62
8	أم كلثوم بنت عقبة	4
9	زينب الغزالي	106
10	زينب بنت محمد صلى الله عليه وسلم	62
11	الشفاء بنت عبد الله	63
12	صفية بنت عبد المطلب	63
13	ليلى بنت أبي حثمة	63
14	أسماء بنت أبي بكر	63
15	خولة بنت الأزور	66
16	أم عطية	49
17	رملة بنت أبي سفيان	69
18	أم أيمن	75
19	أم سليم	68
20	ابن حجر	68
21	محجنة	46
22	بريرة	56
23	خولة بنت ثعلبة	40
24	الجارود	40
25	ابن الجوزي	54
26	أسماء بنت يزيد	55
27	أم هاني بنت أبي طالب	56
28	أم سلمة	58
29	أبو سلمة	57

30	عبد الملك بن مروان	58
31	الحافظ المزي	58
32	أم الدرداء الصغرى	58
33	الحافظ الذهبي	59
34	أم الفضل بنت الحارث	48
35	أبو سعيد الخدري	49
36	علقمة بن مرثد	50
37	كعب بن مالك	74
38	أبو الطفيل	75
39	خديجة بنت خويلد	76
40	عائشة بنت أبي بكر	80
41	مسروق	80
42	الشعبي	80
43	الزهري	82
44	فاطمة بنت الخطاب	86
45	حسن البنا	89
46	عمران	159
47	أساء بنت عمرو	63
48	أم عمارة بنت كعب	71
49	ابن القيم	160
50	زينب بنت جحش	197
51	ابن كثير	164
52	سعيد بن المسيب	178
53	الضحاك	189
54	محمد عبده	190
57	حنقيل	36

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة الذاتية

الاسم: زينب محمد إبراهيم كرار الشيخ بدر
مكان وتاريخ الميلاد: رفاعة - 1979م
الجنسية: سودانية
المراحل الدراسية:

- الأساس: مدرسة الزهراء الابتدائية
- الثانوي: مدرسة رفاعة الأميرية للبنات
- الجامعة: جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

الشهادات:
بكالوريوس دعوة وإعلام (إذاعة وتلفاز) – التخرج 2001م تمهيدي ماجستير بتقدير جيد جداً
الكورسات:
كمبيوتر Office
تصوير فوتوغرافي – فيديو
اللغات:
اللغة العربية
اللغة الإنجليزية
الخبرات:
عملت بمنظمة سلام العزة في الفترة من 2001-2003م بوظيفة مسئول إعلام
تلفون: 0915055845 – 0545855896
العنوان: الخرطوم (2) جوار حديقة إشراقة التجاني